كتاب البخلاء

تأليف

من أجمع الأدباء المتقدمون والمتأخرون على تقليده

زعامة الإجادة فى التحرير

ورئاسة الإفادة فى التسطير علامة زمانه ووحيد أوانه

أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ

وفى آخره

فهرسان للقوافى والأسماء

مكتبة جزيرة الورد بالمنصورة

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م

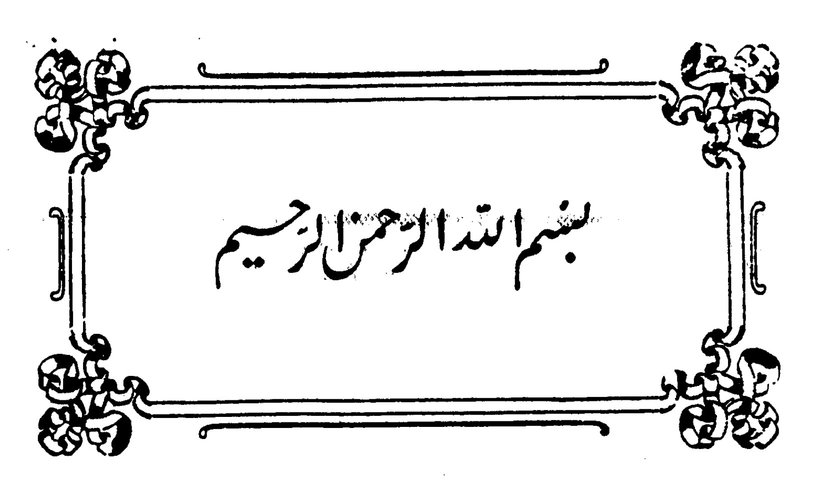
مكتبة جزيرة الورد بالمنصورة

نقاطع شارع الهادى مع عبد السلام عارف

تليفون ٣٥٧٨٨٢

فهرست الكتاب

الموضوع	الصفحة



﴿ رب انعمت فزد ﴾

تولاك الله بحفظه واعانك على شكره ووفقك لطاعته وجعلك من الفائزين برحمته . ذكرت حفظك الله انك قرأت كتابي في تصنيف حيل لصوص النهار وفي تفصيل حيل سراق الليل وانك سددت به كل خلل وحصنت به كل عورة وتقدمت بما افادك من لطائف الخدع ونبهك عليه من غرائب الحيل فيما عسى ان لا يبلغه كيد ولا يحوزه مكر وذكرت أن موقع نفعه عظيم وان التقدم في درسه واجب وقلت اذكر لي نوادر البخلاء واحتجاج الاشحاء وما يجوز من ذلك في باب الهزل وما يجوز منه في باب الجد لاجعل الهزل مستراحا والراحة جماما فان للجد كدا يمنع من معاودته ولا بدلمن التمس نفعه من مراجعته وذكرت ملح الحزامي واحتجاج الكندى ورسالة سهل بن هارون وكلام ابن غزوان وخطبة الحارثى وكل ماحضرنى من اعاجيبهم واعاجيب غيرهم ولم سموا البخل صلاحا والشح اقتصادا ولم حاموا على المنع ونسبوه الى الحزم ولم نصبوا للمواساة وقرنوها بالتضييع ولم

جعلوا الجود سرفا والأثرة جهلا ولم زهدوا فى الحمد وقل احتفالهم فى الذم
ولم استضعفوا من هش للذكر وارتياح للبذل ولم حكموا بالقوة لمن لا يميل
الى الثناء ولا ينحرف عن هجاء ولم احتجوا بتالف العيش على لينه وبحلوه على
مره ولم لم يستحيوا من رفض الطيبات فى رحالهم مع استهتارهم بها فى رحال
غيرهم ولم تتايعوا في البخل ولم اختاروا ما يوجب ذلك الاسم مع انفتهم من
ذلك الاسم ولم رغبوا فى الكسب مع زهدهم فى الاتفاق ولم عملوا فى
الغنى عمل الخائف من زوال الغنى ولم يعملوا فى الغنى عمل الراجى لدوام الغنى
ولم وفروا نصيب الخوف وبخسوا نصيب الرجاء مع طول السلامة وشمول
العافية والمعافى اكثر من المبتلى وليست الحوائج اقل من الفوائد بل كيف
يدعو الى السعادة من خص نفسه بالشقوة فكيف ينتحل نصيحة العامة من
بدأ بغش الخاصة ولم احتجوا مع شدة عقولهم بما اجمعت الامة على تقبيحه
ولم فخروا مع اتساع معرفتهم بما اطبقوا على تهجينه وكيف يفطن عند
الاعتلال له ويتغلغل عند الاحتجاج عنه الى الغايات البعيدة والمعانى اللطيفة
ولا يفطن لظاهر قبحه وشناعة اسمه وخمول ذكره وسوء أثره على اهله
وكيف وهو الذى يجمع له بين الكد وقلة المرفق وبين السهر وخشونة
المضجع وبين طول الاغتراب وطول قلة الانتفاع ومع علمه بأن وارثه اعدى
له من عدوه وانه احق بماله من وليه او ليس لو اظهر الجهل والغباوة
وانتحل الغفلة والحماقة ثم احتج بتلك المعانى الشداد وبالالفاظ
الحسان وجودة الاختصار وتقريب المعنى وبسهولة المخرج واصابة الموضع
فكان ماظهر من معانيه وبيانه مكذبا لما ظهر من جهله حصانه ولم حاز ن

مصر بعقله البعيد الغامض ويعمى عن القريب الجليل وقلت فبين لى ما الشئ
الذى خبل عقولهم وافسد اذهانهم واغشى تلك الابصار ونقض ذلك الاعتدال
وما الشئ الذى له عاندوا الحق وخالفوا الامم وما هذا التركيب المتضاد
والمزاج المتنافي وما هذا الغباء الشديد الذى الى جنبه فطنة عجيبة وما هذا
السبب الذى خفى به الجليل الواضح وادرك به الدقيق الغامض (وقلت) وليس
عجبي ممن خلع عذاره فى البخل وابدى صفحته للذم ولم يرض من القول الا
بمقارعة الخصم ولا من الاحتجاج الا بما رسم في الكتب ولا عجبي من
مغلوب على عقله مسخر لاظهار عيبه كعجبي ممن قد فطن لبخله وعرف افراط
شحه وهو في ذلك يجاهد نفسه ويغالب طبعه ولربما ظن ان قد فطن له وعرف
ما عنده فموه شيئا لا يقبل التمويه ورقع خرقا لا يقبل الرقع فلو انه كما فطن لعيبه
وفطن لمن فطن لعيبه فطن لضعفه عن علاج نفسه وعن تقويم اخلاطه وعن
استرجاع ما سلف من عاداته وعن قلبه اخلاقه المدخولة الى ان تعود سليمة
لترك تكلف ما لا يستطيعه ولربح الانفاق على من يذمه ولما وضع على نفسه
الرقباء ولا احضر مائدته الشعراء ولا خالط برد الآفاق ولا لابس الموكلين
بالاخبار ولا ستراح من كد الكلفة ودخل فى غمار الامة وبعد فما باله يفطن
لعيوب الناس اذا اطعموه ولا يفطن لعيب نفسه اذا اطعمهم وان كان عيبه
مكشوفا وعيب من اطعمهم مستورا ولم سخت نفس احدهم بالكثير من التبر
وشحت بالقليل من الطعم وقد علم ان الذى منع يسير في جنب ما بذلوا وانه
لو شاء ان يحصل بالقليل مما جاد به اضعاف ما بخل به كان ذلك عتيدا ويسيرا
موجودا (وقلت) ولا بد من ان تعرفنى الهنات التي عمت على المتكلفين ودلت

على حقائق المتموهين وهتكت عن استار الادعياء وفرقت بين الحقيقة والرياء وفصلت بين المبهرج المتزخرف والمطبوع المبتهل لتقف زعمت عندها ولتعرض نفسك عليها ولتتوهم مواقعها وعواقبها فان نبهك التصفح لها على عيب قد اغفلته عرفت مكانه فاجتنبته فان كان عتيدا ظاهرا معروفا عندك نظرت فان كان احتمالك فاضلا على بخلك دمت على اطعامهم وعلى اكتساب المحبة بموءاكلتهم وان كان اكثر اثك غامر الاجتهاد سترت نفسك وانفردت بطيب زادك ودخلت مع الغمار وعشت عيش المستورين وان كانت الحروب بينك وبين طباعك سجالا وكانت اسبابكما امثالا واشكالا اجبت الحزم الى ترك التعرض واجبت الاحتياط الى رفض التكلف ورأيت ان من حصل السلامة من الذم فقد غنم وان من آثر الثقة على التغرير فقد حزم وذكرت انك الى معرفة هذا الباب احوج وان ذا المروءة الى هذا العلم افقر واني ان حصنت من الذم عرضك بعد ان حصنت من اللصوص مالك فقد بلغت لك مالم يبلغه اب بار ولا ام رؤوم وسألت أن اكتب لك علة خباب في نفي الغيرة وان بذل الزوجة داخل في باب المواساة والأثرة وان فرج الامة في العارية كحكم الخدمة وان الزوجة في كثير من معانيها كالامة وان الامة مال كالذهب والفضة وان الرجل احق ببيته من الغريب واولى باخيه من البعيد وان البعيد احق بالغيرة والقريب اولى بالانفة وان الاستزادة في النسل كالاستزادة في الحرث الا ان العادة هي التي اوحشت منه والديانة هي التي حرمته ولان الناس يتزيدون ايضا في استعظامه وينتحلون اكثر مما عندهم في استشناعه وعلة الجهجاه في تحسين الكذب بمرتبة الصدق في مواضع وفي تقبيح

الصدق فى مواضع وفي الحاق الكذب بمرتبة الصدق وفي حط الصدق الى موضع الكذب وان الناس يظلمون الكذب بتناسى مناقبه وتذكر مثالبه ويحابون الصدق بتذكر منافعه وبتناسى مضاره وانهم لو وازنوا بين مرافقهما وعدلوا بين خصالهما لما فرقوا بينهما هذا التفريق ولما رأوهما بهذه العيون ومذهب صحصح فى تفضيل النسيان على كثير من الذكر وان الغباء في الجملة اقمع من الفطنة فى الجملة وان عيش البهائم احسن موقعا من النفوس من عيش العقلاء وانك لو اسمنت بهيمة ورجلا ذا مروءة او امرأة ذات عقل وهمة واخرى ذات غباء وغفلة لكان الشحم الى البهيمة اسرع وعن ذات العقل والهمة ابطأ ولان العقل مقرون بالحذر والاهتمام ولان الغباء مقرون بفراغ البال والامن فلذلك البهيمة تفنو شحما فى الايام اليسيرة ولا تجد ذلك لذى الهمة البعيدة ومتوقع البلاء فى البلاء وان سلم منه والعاقل في الرجاء الى ان يدركه البلاء ولولا انك تجد هذه الابواب واكثر منها مصورة فى كتابى الذى سمى كتاب المسائل لاتيت على كثير منه في هذا الكتاب فاما ما سألت من احتجاج الاشحاء ونوادر احاديث البخلاء فساوجدك ذلك في قصصهم ان شاء الله تعالى مفرقا وفى احتجاجاتهم مجملا فهو اجمع لهذا الباب من وصف ما عندى دون ما انتهى الى من اخبارهم على وجهها وعلى ان الكتاب ايضا يصير اقصر ويصير العار فيه اقل ونبتدئ برسالة سهل بن هارون ثم بطرف اهل خراسان لاكثار الناس فى اهل خراسان ولك فى هذا الكتاب ثلاثة اشياء تبين حجة طريفة أو تعرف حيلة لطيفة او إستفادة نادرة عجيبة وانت فى ضحك منه اذا شئت وفى لهو اذا ملات الجد وانا ازعم ان البكاء صالح

للطبائع ومحمود المغبة اذا وافق الموضع ولم يجاور المقدار ولم يعدل عن الجهة ودليل على الرقة والبعد من القسوة وربما عد من الوفاء وشدة الوجد على الاولياء وهو من اعظم ماتقرب به العابدون واسترحم به الخائفون وقال بعض الحكماء لرجل اشتد جزعه من بكاء صبي له لا تجزع فانه افتح لجرمه واصح لبصره وضرب عامر بن عبد قيس بيده على عينه فقال جامدة شاخصة لاتندى وقيل لصفوان بن محرز عند طول بكائه وتذكر احزانه ان طول البكاء يورث العماء فقال ذلك لها شهادة فبكى حتى عمى وقد مدح بالبكاء ناس كثير منهم يحيى البكاء وهيثم البكاء وكان صفوان بن محرز يسمى البكاء و اذا كان البكاء مادام صاحبه فيه فانه في بلاء وربما اعمى البصر وافسد الدماغ ودل على السخف وقضى على صاحبه بالهلع وشبه بالامة اللكعاء وبالحدث الضرع كذلك فما ظنك بالضحك الذى لا يزال صاحبه فى غاية السرور الى ان ينقطع عنه سببه ولو كان الضحك قبيحا من الضاحك وقبيحا من المضحك لما قيل للزهرة والحبرة والحلى والقصر المبنى كانه يضحك ضحكا وقد قال الله جل ذكره وانه هو أضحك وابكى وانه هو أمات واحيي فوضع الضحك بحذاء الحيوة ووضع البكاء بحذاء الموت وانه لايضيف الله الى نفسه القبيح ولا يمن على خلقه بالنقص وكيف لايكون موقعه من سرور النفس عظيما ومن مصلحة الطباع كبيرا وهو شيء فى اصل الطباع وفي اساس التركيب لان الضحك اول خير يظهر من الصبي وقد تطيب نفسه وعليه ينبت شحمه ويكثر دمه الذى هو علة سروره ومادة قوته ولفضل خصال الضحك عند العرب تسمى اولادها بالضحاك وبسام وبطلق وبطليق وقد ضحك النبي صلعم وفرح وضحك

الصالحون ومرحوا واذامدحوا قالوا هو ضحوك السن وبسام العشيات وهش الى صيف وذو اريحية واهتزاز واذا ذموا قالوا هو عبوس وهو كالح وهو قطوب وهو شتيم المحيا وهو مكفهر ابدا وهو كريه ومقبض الوجه وحامض الوجه وكانما وجهه بالخل منضوح وللضحك موضع وله مقدار وللمزح موضع وله مقدار متي جازهما احد وقصر عنهما احد صار الفاضل خطلا والتقصير نقصا فالناس لم يعيبوا الضحك الا بقدر ولم يعيبوا المزح الا بقدر ومتي اريد بالمزح النفع وبالضحك الشئ الذى له جعل الضحك صار المزح جدا والضحك وقارا وهذا كتاب لا اغرك منه ولا استر عنك عيبه لانه لايجوز ان يكمل لما تريده ولا يجوز ان توفي حقه كما ينبغي له لان ههنا احاديث كثيرة متي اطلعنا منها حرفا عرف اصحابها وان لم نسمهم ولم نرد ذلك بهم وسواء سميناهم او ذكرنا مايدل على اسمائهم منهم الصديق والولى والمستور والمتحمل وليس يفي حسن الفائدة لكم بقبح الجناية عليهم فهذا باب يسقط البتة ويختل به الكتاب لامحالة وهو اكثرها بابا واعجبها منك موقعا واحاديث أخر ليس لها شهر ولو شهرت لما كان فيها دليل على اربابها ولاهي مقيدة اصحابها وليس يتوفر ابدا حسنها الا بان تعرف اهلها وحتي تتصل بمستحقها وبمعادنها واللائقين بها وفي قطع مابينها وبين عناصرها ومعانيها سقوط نصف الملحة وذهاب شطر النادرة ولو ان رجلا الزق نادرة بابي الحارث جمين والهيثم بن مطهر وبمزبد وابن احمر ثم كانت باردة لجرت على احسن مايكون ولو ولد نادرة حارة في نفسها مليحة فى معناها ثم اضافها الى صالح بن حنين والى ابن النواء والى بعض البغضاء لعادت باردة ولصارت فاترة فان الفاتر شر من البارد

وكما انك لو ولدت كلاما في الزهد وموعظة للناس ثم قلت هذا من كلام بكر بن عبد الله المزنى وعامر بن عبد قيس العنبرى ومورق العجلى ويزيد الرقاشى لتضاعف حسنه ولاحدث له ذلك النسب نضارة ورفعة لم تكن له ولو قلت قالها ابو كعب الصوفي أو عبد المؤمن او ابو نواس الشاعر أو حسين الخليع لما كان لها الا مالها في نفسها وبالحرى ان تغلط في مقدارها فتبخس من حقها وقد كتبنا لك احاديث كثيرة مضافة الى اربابها واحاديث كثيرة غير مضافة الى اربابها اما بالخوف منهم واما بالاكرام لهم ولولا انك سألتنى هذا الكتاب لما تكلفته ولما وضعت كلامى موضع الضيم والنقمة فان كانت لائمة أو عجز فعليك وان كان عذر فلى دونك

رسالة سهل بن هارون ابى محمد بن راهيون الى بنى عمه من آل راهيون حين ذموا مذهبه في البخل وتتبعوا كلامه في الكتب

(بسم الله الرحمن الرحيم) اصلح الله امركم وجمع شملكم وعلمكم الخير وجعلكم من اهله قال الاحنف بن قيس يامعشر بنى تميم لاتسرعوا الى الفتنة فان اسرع الناس الى القتال اقلهم حياء من الفرار وقد كانوا يقولون اذا اردت ان ترى العيوب جمة فتأمل عيابا فانه انما يعيب بفضل مافيه من العيب واول العيب ان تعيب ماليس بعيب وقبيح ان تنهى عن مرشد اوتغرى بمشفق وما اردنا بما قلنا الا هدايتكم وتقويمكم والا اصلاح فسادكم وابقاء النعمة عليكم ولئن اخطأنا سبيل ارشادكم فما أخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم ثم قد تعلمون انا ما اوصيناكم الا بما قد اخترناه لانفسنا قبلكم وشهرنا به في الآفاق دونكم فما كان احقكم في تقديم حرمتنا بكم ان

ترعوا حتى قصدنا بذلك اليكم وتنبيهنا على ما اغفلنا من واجب حقكم فلا
العذر المبسوط بلغتم ولا بواجب الحرمة قمتم ولو كان ذكر العيوب براً وفضلاً
لرأينا ان في انفسنا عن ذلك شغلاً وان من اعظم الشقوة وابعد من السعادة
الا يزال يتذكر زلل المعلمين ويتناسى سوء استماع المتعلمين ويستعظم غلط
العاذلين ولا يحفل بتعمد المعذولين عبتموني بقولي لخادمي اجيدي عجنه خميرا
كما اجدته فطيرا ليكون اطيب لطعمه وازيد في ريعه وقد قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ورحمه لاهله املكوا العجين فانه اريع الطحنتين وعبتم على
قولي من لم يعرف مواقع السرف في الموجود الرخيص لم يعرف مواقع
الاقتصاد في الممتنع الغالي فلقد اتيت من ماء الوضوء بكيلة يدل حجمها على
مبلغ الكفاية واشف من الكفاية فلما صرت الى تفريق اجزائه على الاعضاء
والى التوفير عليها من وظيفة الماء وجدت في الاعضاء فضلاً على الماء
فعلمت أن لو كنت مكنت الاقتصاد في اوائله ورغبت عن التهاون به في ابتدائه
لخرج آخره على كفاية اوله ولكان نصيب العضو الاول كنصيب
الآخر فعبتموني بذلك وشنعتموه بجهدكم وقبحتموه وقد قال الحسن
عند ذكر السرف انه ليكون في الماء وفي الماء والكلا فلم يرض
بذلك الماء حتى اردفه بالكلا وعبتموني حين ختمت على سد عظيم وفيه شيء
ثمين من فاكهة نفيسة ومن رطبة غريبة على عبد نهم وصبي جشع وامة
لكعاء وزوجة خرقاء وليس من اصل الادب ولا في ترتيب الحكم ولا في
عادات القادة ولا في تدبير السادة ان يستوي في نفيس المأكول وغريب
المشروب وثمين الملبوس وخطير المركوب والناعم من كل فن واللباب من

كل شكل التابع والمتبوع والسيد والمسود كما لا تستوى مواضعهم فى المجلس ومواقع اسمائهم في العنوانات ومايستقبلون به من التحيات وكيف وهم لا يفقدون من ذلك مايفقد القادر ولا يكترثون له اكتراث العارف من شاء اطعم كلبه الدجاج المسمن واعلف حماره السمسم المقشر فعبتمونى بالختم وقد ختم بعض الائمة على مزود سويق وختم على كيس فارغ وقال طينة خير من طية فامسكتم عمن ختم على لا شئ وعبتم من ختم على شئ وعبتمونى حين قلت للغلام اذا زدت في المرق فزد فى الانضاج لتجمع بين التأدم باللحم والمرق ولتجمع مع الارتفاق بالمرق الطيب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا طبختم لحما فزيدوا فى الماء فان لم يصب احدكم لحما اصاب مرقا وعبتمونى بخصف النعال وبتصدير القميص وحين زعمت ان المخصوفة ابقى واوطأ واوقى وانفى للكبر واشبه بالنسك وان الترقيع من الحزم وان الاجتماع مع الحفظ وان التفرق مع التضييع وقد كان النبي صلعم يخصف نعله ويرقع ثوبه ويلطع اصبعه ويقول لو اتيت بذراع لاكلت ولو دعيت الى كراع لاجبت ولقد لفقت سعدى بنت عوف ازار طلحة وهو جواد قريش وهو طلحة الفياض وكان في ثوب عمر رقاع ادم وقال من لم يستحى من الخلال خفت مؤنته وقل كبره وقالوا لا جديد لمن لا يلبس الخلق وبعث زياد رجلا يرتاد له محدثا واشترط على الرائد ان يكون عاقلا مسددا فاتاه به موافقا فقال اكنت ذا معرفة به قال لا ولا رأيته قبل ساعته قال افناقلته الكلام وفاتحته الامور قبل ان توصله الى قال لا قال فلم اخترته على جميع من رأيته قال يومنا يوم قائظ ولم ازل اتعرف عقول الناس بطعامهم ولباسهم فى مثل هذا اليوم ورأيت ثياب الناس جددا

وثيابه لبسا فظننت به الحزم وقد علمنا ان الجدد فى موضعه دون الخلق وقد
جعل الله عز وجل لكل شئ قدرا وبوأ له موضعا كما جعل لكل دهر رجالا
ولكل مقام مقالا وقد احيي بالسم وامات بالغذاء واغص بالماء وقتل بالدواء
فترقيع الثوب يجمع مع الاصلاح التواضع وخلاف ذلك يجمع مع الاسراف
التكبر وقد زعموا ان الاصلاح احد الكسبين كما زعموا ان قلة العيال احد
اليسارتين وقد جبر الاحنف يد عنز وامر بذلك النعمان وقال عمر من اكل
بيضة فقد اكل دجاجة وقال رجل لبعض السادة اهدى اليك دجاجة وقال
ان كان لابد فاجعلها بياضة وعد ابو الدرداء العراق جزر البهيمة وعبتمونى
حين قلت لايغترن احد بطول عمره وتقوس ظهره ورقة عظمه ووهن قوته
ان يرى اكرومته ولا يخرجه ذلك الى اخراج ماله من يديه وتحويله الى ملك
غيره والى تحكيم السرف فيه وتسليط الشهوات عليه فلعله ان يكون معمرا
وهو لايدرى وممدودا له في السن وهو لايشعر ولعله ان يرزق الولد على اليأس
او يحدث عليه بعض مخبيات الدهور مما لايخطر على البال ولا تدركه العقول
فيسترده ممن لا يرده ويظهر الشكوى الى من لا يرحمه اضعف ما كان عن الطلب
واقبح مايكون به الكسب فعبتمونى بذلك وقد قال عمرو بن العاص اعمل
لدنياك عمل من يعيش ابدا واعمل لآخرتك عمل من يموت غدا وعبتمونى
حين زعمت ان التبذير الى مال القمار ومال الميراث والى مال الالتقاط وحباء
الملوك اسرع وان الحفظ الى المال المكتسب والغنى المجتلب والى مايعرض
فيه لذهاب الدين واهتضام العرض ونصب البدن واهتمام القلب اسرع وان
من لم يحسب ذهاب نفقته لم يحسب دخله ومن لم يحسب الدخل فقد اضاع

الاصل وان من لم يعرف للغنى قدره فقد اذن بالفقر وطاب نفسا بالذل وزعمت ان كسب الحلال مضمن بالانفاق في الحلال وان الخبيث ينزع الى الخبيث وان الطيب يدعو الى الطيب وان الانفاق فى الهوى حجاب دون الحقوق وان الانفاق في الحقوق حجاز دون الهوى فعبتم عليّ هذا القول وقد قال معاوية لم ار تبذيرا قط الا والى جانبه حق مضيع وقد قال الحسن اذا اردتم ان تعرفوا من اين اصاب ماله فانظروا فى اى شيء ينفقه فان الخبيث ينفق فى السرف وقلت لكم بالشفقة منى عليكم وبحسن النظر لكم وبحفظكم لآبائكم ولما يجب فى جوار كم وفى مما لحتكم وملابستكم وانتم في دار الآفات والحوائج غير مأمونات فان احاطت بمال احدكم آفة لم يرجع الى بقية فاحرزوا النعمة باختلاف الامكنة فان البنية لا تجرى فى الجميع الا مع موت الجميع وقد قال عمر رضه فى العبد والامة وفي ملك الشاة والبعير وفى الشيء الحقير اليسير فرقوا بين المنايا وقال ابن سيرين لبعض البحريين كيف تصنعون باموالكم قال نفرقها في السفن فان عطب بعض سلم بعض ولو لا ان السلامة اكثر لما حملنا خزائننا فى البحر قال ابن سيرين تحسبها خرقاء وهى صناع وقلت لكم عند اشفاقى عليكم ان للغنى سكرا وان للمال لنزوة فمن لم يحفظ الغنى من سكر الغنى فقد اضاعه ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر فقد اهمله فعبتمونى بذلك وقال زيد بن جبلة ليس احد افقر من غنى أمن الفقر وسكر الغنى اشد من سكر الخمر وقلتم قد لزم الحث على الحقوق والتزهيد فى الفضول حتى صار يستعمل ذلك فى اشعاره بعد رسائله وفى خطبه بعد سائر كلامه فمن ذلك قوله فى يحيى بن خالد

عدو تلاد المال فيما ينوبه   منوع اذا ما منعه كان احزما

ومن ذلك قوله في محمد بن زياد

وخليقتان تقى وفضل تحرم   واهانة فى حقه للمال

وعبتموني حين زعمت انى اقدم المال على العلم لان المال به يغاث العالم وبه تقوم النفوس قبل ان تعرف فضيلة العلم وان الاصل احق بالتفضيل من الفرع وانى قلت وان كانت بين الامور بالنفوس فانا بالكفاية نستبين وبالخلة نعمى وقلتم وكيف تقول هذا وقد قيل لرئيس الحكماء ومقدم الادباء العلماء افضل ام الاغنياء قال بل العلماء قيل فما بال العلماء يأتون ابواب الاغنياء اكثر مما يأتى الاغنياء ابواب العلماء قال لمعرفة العلماء بفضل الغنى ولجهل الاغنياء بفضل العلم فقلت حالهما هى القاضية بينهما وكيف يستوى شئ ترى حاجة الجميع اليه وشئ يغنى بعضهم فيه عن بعض وعبتموني حين قلت ان فضل الغنى على القوت انما هو كفضل الآلة تكون فى الدار ان احتيج اليها استعملت وان استغنى عنها كانت عدة وقد قال الحضين بن المنذر وددت ان لى مثل أحد ذهبا لا انتفع منه بشئ قيل فما ينفعك من ذلك قال لكثرة من يخدمنى عليه وقال ايضا عليك بطلب الغنى فلو لم يكن لك فيه الا انه عز فى قلبك وشبهة فى قلب غيرك لكان الحظ فيه جسيما والنفع فيه عظيما ولسنا ندع سيرة الانبياء وتعليم الخلفاء وتاديب الحكماء لاصحاب الاهواء كان رسول الله صلعم يأمر الاغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج وقال درهمك لمعاشك ودينك لمعادك فقسموا الامور كلها على الدين والدنيا ثم جعلوا احد قسمى الجميع الدرهم وقال ابو بكر الصديق رضى عنه انى لابغض اهل البيت ينفقون رزق الايام فى اليوم وكانوا يبغضون اهل البيت اللحمين وكان

هشام يقول ضع الدرهم على الدرهم يكون مالا ونهى ابو الاسود الدئلى وكان حكيما اديبا وداهيا اريبا عن جودكم هذا المولد وعن كرمكم هذا المستحدث فقال لابنه اذابسط الله لك فى الرزق فابسط واذاقبض فاقبض ولا تجاود الله فان الله اجود منك وقال درهم من حل يخرج فى حق خير من عشرة آلاف قبضا وتلقط عرندا من بزيم فقال تضيعون مثل هذا وهو قوت امرئ مسلم يوما الى الليل وتلقط ابو الدرداء حبات حنطة فنهاه بعض المسرفين فقال ايهن ابن العبسية ان مرفقة المرء رفقه فى معيشته فلستم على تردون ولا رايى تقتدون فقدموا النظر قبل العزم وتذكروا ما عليكم قبل ان تذكروا مالكم والسلام

﴿نبدأ﴾ باهل خراسان لاكثار الناس فى اهل خراسان ونخص بذلك اهل مرو بقدر ماخصوا به قال اصحابنا يقول المروزى للزائر اذا اتاه وللجليس اذا طال جلوسه تغديت اليوم فان قال نعم قال لولا انك تغديت لغديتك بغداء طيب وان قال لا قال لو كنت تغديت لسقيتك خمسة اقداح فلا يصير فى يده على الوجهين قليل ولا كثير وكنت فى منزل ابن ابى كريمة واصله من مرو فرآنى اتوضأ من كوز خزف فقال سبحان الله تتوضأ بالعذب والبئر لك معرضة قلت ليس بعذب انما هو من ماء البئر قال فتفسد علينا كوزنا بالملوحة فلم ادر كيف اتخلص منه وحدثنى عمرو بن نهيوى قال تغديت يوما عند الكندى فدخل عليه رجل كان له جارا وكان لى صديقا فلم يعرض عليه الطعام ونحن نأكل وكان ابخل من خلق الله قال فاستحييت منه فقلت سبحان الله لو دنوت فاصبت معنا مما نأكل قال قد والله فعلت فقال الكندى ما بعد الله شئ قال عمرو

وكتفه والله كتفا لا يستطيع معه قبضا ولا بسطا وتركه ولو مد يده لكان كافرا او لكان قد جعل مع الله جل ذكره شيئا وليس هذا الحديث لاهل مرو ولكنه من شكل الحديث الاول وقال ثمامة لم أر الديك فى بلدة قط الا وهو لاقط يأخذ الحبة بمنقاره ثم يلفظها قدام الدجاجة الا ديكة مرو فانى رأيت ديكة مرو تسلب الدجاج مافى مناقيرها من الحب قال فعلمت أن بخلهم شئ فى طبع البلاد وفى جواهر الماء فمن ثمّ عمّ جميع حيوانهم فحدّثت بهذا الحديث أحمد بن رشيد فقال كنت عند شيخ من أهل مرو وصبيّ له صغير يلعب بين يديه فقلت له اماعابثا واماممتحنا أطعمنى من خبزكم قال لا تريده هو مرّ فقلت فأسقنى من مائكم قال لا تريده هو مالح قلت هات من كذا وكذا قال لا تريده هو كذا وكذا الى أن عددت أصنافا كثيرة كل ذلك يمنعنيه ويبغضه الىّ فضحك أبوه وقال ما ذنبنا هذا من علمه ما تسمع يعنى أن البخل طبع فيهم وفى أعراقهم وطينتهم وزعم أصحابنا ان خراسانية ترافقوا فى منزل وصبروا عن الارتفاق بالمصباح ما أمكن الصبر ثم انهم تناهدوا وتخارجوا وأبى واحد منهم أن يعينهم وان يدخل فى الغرم معهم فكانوا اذا جاء المصباح شدوا عينه بمنديل ولا يزال ولا يزالون كذلك الى ان يناموا ويطفئوا المصباح فاذا أطفؤا أطلقوا عينيه ورأيت أنا حمارة منهم زهاء خمسين رجلا يتغدون على مباقل بحضرة قرية الاعراب فى طريق الكوفة وهم حجاج فلم أر من جميع الخمسين رجلين يأكلان معا وهم فى ذلك متقاربون يحدث بعضهم بعضا وهذا الذى رأيته منهم من غريب مايتفق للناس حدثنى مويس بن عمران قال قال رجل منهم لصاحبه وكانا اما متزاملين واما مترافقين

لم لا نتطاعم فان يد الله مع الجماعة وفى الاجتماع البركة وما زالوا يقولون طعام الاثنين يكفى الثلاثة وطعام الثلاثة يكفى الاربعه فقال له صاحبه لولا اعلم انك آكل منى لادخلت لك هذا الكلام فى باب النصيحة فلما كان الغد وأعاد عليه القول قال له ياعبد الله معك رغيف ومعى رغيف ولولا أنك تريد أكثر ما كان حرصك على مؤاكلتي تريد الحديث والمؤانسة اجعل الطبق واحدا ويكون رغيف كل منا قدام صاحبه وما اشك أنك اذا اكلت رغيفك ونصف رغيفى ستجده مباركا انما كان ينبغى ان اكون اجده أنا ولا انت وقال خاقان بن صبيح دخلت على رجل من اهل خراسان ليلا واذا هو قد اتانا بمسرجة فيها فتيلة فى غاية الدقة واذا هو قد القى فى دهن المسرجة شيئا من ملح وقد علق على عمود المناره عودا بخيط وقد حز فيه حتى صار فيه مكان للرباط فكان المصباح اذا كاد يطفى شخص راس الفتيلة بذلك قال فقلت له ما بال العود مربوطا قال هذا عود قد تشرب الدهن فان ضاع ولم يحفظ احتجنا الى واحد عطشان فاذا كان هذا دأبنا ودأبه ضاع من دهننا فى الشهر بقدر كفاية ليلة قال فبينا انا اتعجب فى نفسى واسال الله جل ذكره العافية والستر اذ دخل شيخ من اهل مرو فنظر الى العود فقال يابا فلان فررت من شئ ووقعت فى شبيه به أما تعلم ان الريح والشمس تأخذان من سائر الاشياء اوليس قد كان البارحة عند اطفاء السراج رويا وهو عند اسراجك الليلة أعطش قد كنت انا جاهلا مثلك حتى وفقنى الله الى ما هو ارشد اربط عافاك الله بدل العود ابرة او مسلة صغيرة ... العود والخلال والقصبة ربما تعلقت بها الشعرة من قطن الفتيلة اذا ...

بها فتشخص معها وربما كان ذلك سببا لانطفاء السراج والحديد املس وهو مع
ذلك غير نشاف قال خاقان ففي تلك الليلة عرفت فضل اهل خراسان على
سائر الناس وفضل اهل مرو على سائر أهل خراسان قال مثنى بن بشير
دخل ابوعبد الله المروزي على شيخ من أهل خراسان واذ هو قد استصبح
في مسرجة خزف من هذه الخزفية الخضر فقال له الشيخ لايجئ والله منك
أمر صالح أبدا عاتبتك في مسارج الحجارة فأعتبتني با لخزف اوما علمت أن
الخزف والحجارة يحسوان الدهن حسوا قال جعلت فداك دفعتها الى صديق
لي دهان فالقاها في المصفاة شهرا حتي رويت من الدهن ريا لاتحتاج معه
أبدا الى شئ قال ليس هذا أريد هذا دواؤه يسير وقد وقعت عليه ولكن
ماعلمت أن موضع النار من المسرجة في طرف الفتيلة لا ينفك من احراق
النار وتجفيفه وتنشيف مافيه ومتي ابتل بالدهن وتسقاه عادت النار عليه فاكلته
هذا دأبهما فلو قست ما يشرب ذلك المكان من الدهن بما يستمده ظرف
الفتيلة منه لعلمت أن ذلك أكثره وبعد هذا فان ذلك الموضع من الفتيلة
والمسرجة لا يزال سائلا جاريا ويقال انك متي وضعت مسرجة فيها مصباح
وأخرى لامصباح فيها لم تلبث الا ليلة أو ليلتين حتي ترى السفلى ملآنة دهنا
واعتبر ايضاذلك بالملح الذى يوضع تحت المسرجة والنخالة التي توضع هناك
لتسويتها وتصويبها كيف تجدهما ينعصران دهنا وهذا كله خسران وغبن
لايتهاون به الا اصحاب الفساد على أن المفسدين انما يطعمون الناس ويسقون
الناس وهم على حال يستخلفون شيئا وان كان رونا وانت انما تطعم النار
وتسقي النار ومن أطعم النار جعله الله يوم القيامة طعاما للنار قال الشيخ فكيف

أصنع جعلت فداك قال تتخذ قنديلا فان الزجاج أحفظ من غيره والزجاج
لا يعرف الرشح ولا النشف ولا يقبل الاوساخ التي لا تزول الا بالدلك
الشديد أو باحراق النار وأيهما كان فانه يعيد المسرجة الى العطش الاول
والزجاج أبقى على الماء والتراب من الذهب الابريز وهو مع ذلك مصنوع
والذهب مخلوق فان فضلت الذهب بالصلابة فضلت الزجاج بالصفاء والزجاج
مجل والذهب ستار ولان الفتيلة انما تكون فى وسطه فلا تحمى جوانبه بوهج
المصباح كما تحمى بموضع النار من المسرجة واذا وقع شعاع النار على جوهر
الزجاج صار المصباح والقنديل مصباحا واحدا ورد الضياء كل واحد منهما
على صاحبه واعتبر ذلك بالشعاع الذى يسقط على وجه المرآة أو على وجه
الماء أو على الزجاجة ثم انظر كيف يتضاعف نوره وان كان سقوطه على عين
انسان اعشاه وربما أعماه وقال جل ذكره الله نور السموات والارض مثل
نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى
يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء والزيت فى الزجاجة نور
على نور وضوء على ضوء مضاعف هذا مع فضل حسن القنديل على حسن
مسارج الحجارة والخزف وأبو عبد الله هذا كان من أطيب الخلق
وأملحهم بخلا وأشدهم ادبا دخل على ذى اليمينين طاهر بن الحسين وقد كان
يعرفه بخراسان بسبب الكلام فقال له منذ كم أنت مقيم بالعراق يا ابا عبد
الله فقال انا بالعراق منذ عشرين سنة وأنا أصوم الدهر منذ أربعين سنة قال
فضحك طاهر وقال سألناك يا ابا عبد الله عن مسئلة وأجبتنا عن مسئلتين ومن

أعاجيب أهل مرو ما سمعناه من مشائخنا على وجه الدهر وذلك ان رجلا
من أهل مرو كان لا يزال يحج ويتجر وينزل على رجل من اهل العراق
فيكرمه ويكفيه مؤنته ثم كان كثيرا ما يقول لذلك العراقى ليت انى قد رأيتك
بمرو حتي أكافيك لقديم احسانك وما تجدد لى من البر فى كل قدمة فاما
هنا فقد أغناك الله عنى قال فعرضت لذلك العراقى بعد دهر طويل حاجة فى
تلك الناحية فكان مما هون عنيه مكابدة السفر ووحشة الاغتراب مكان
المروزى هناك فلما قدم مضى نحوه فى ثياب سفره وفى عمامته وقلنسوته
وكسائه ليحط رحله عنده كما يصنع الرجل بثقته وموضع أنسه فلما وجده
قاعدا فى أصحابه أكب عليه وعانقه فلم يره أثبته ولا سأل به سؤال من رآه
قط قال العراقى فى نفسه لعل انكاره اياى لمكان القناع فرمى بقناعه وابتدأ
مسألته فكان له أنكر فقال لعله أن يكون انما أوتى من قبل العمامة فنزعها
ثم انتسب وجدد مسألته فوجده أشد ما كان انكارا قال فلعله انما أوتى من
قبل القلنسوة وعلم المروزى انه لم يبق شئ يتعلق به المتغافل والمتجاهل قال
لو خرجت من جلدك لم أعرفك وترجمة هذا الكلام بالفارسية (گر از پوست
بارون بيائى نشناسيم) وزعموا أنهم ربما ترافقوا وتزاملوا فتناهدوا وتلازقوا
فى شراء اللحم فاذا اشتروا اللحم قسموه قبل الطبخ وأخذ كل انسان منهم
نصيبه فشكه بخوصة أو بخيط ثم أرسله فى خل القدر والتوابل فاذا طبخوا
تناول كل انسان خيطه وقد علمه بعلامة ثم اقتسموا المرق ثم لا يزال احدهم
يسل من الخيط القطعة بعد القطعة حتي يبقى الحبل لا شئ فيه ثم يجمعون
خيوطهم فان اعادوا الملازقة أعادوا تلك الخيوط لانها قد تشربت الدسم

ورويت وليس تاهدهم من طريق الرغبة في المشاركة ولكن لان بضاعة كل
واحد منهم لا يبلغ مقدار الذى يحتمل أن يطبخ وحده ولان المؤنة تخف ايضا
فى الحطب والخل والثوم والتوابل ولان القدر الواحدة أمكن من أن يقدر
كل واحد منهم على قدر ويختارون السكباج لا نه أبقى على الايام وابعد
من الفساد.حدثنى أبو اسحاق ابراهيم بن السيار النظام قال قلت مرة لجار
كان لى من أهل خراسان أعرنى مقلاكم فانى احتاج اليه قال قد كان لنا
مقلى ولكنه سرق فاستعرت من جار لى آخر فلم يلبث الخراسانى ان سمع
نشيش اللحم في المقلى وشمّ الطباهج فقال لى كالمغضب ما فى الارض اعجب
منك لو كنت خبرتنى انك تريده للحم اولشحم لوجدتنى اسرع انما خشيتك
تريده للباقلى وحديد المقلى يحترق اذا كان الذى يقلى فيه ليس بدسم وكيف
لا اعيرك اذا اردت الطباهج .والمقلى بعد الردّ من الطباهج احسن حالا منه
وهو فى البيت وقال ابو اسحاق ابراهيم بن سيار النظام دعانا جار لنا فاطعمنا
تمرا وسمنا سلاء ونحن على خوان ليس عليه الا ما ذكرت والخراسانى معنا
يأ كل فرأيته يقطر السمن على الخوان حتي اكثر من ذلك فقلت لرجل الى
جنبي ما لأبى فلان يضيع سمن القوم ويسيء المؤاكلة ويغرف فوق الحق قال
وماعرفت علته قلت لا والله قال الخوان خوانه فهو يريد ان يدسمه ليكون
كالدبغ له ولقد طلق امرأته وهي ام اولاده لانه رآها غسلت خوانا له بماء
حار فقال لها هلا مسحته.وقال ابو نواس كان معنا فى السفينة ونحن نريد
بغداد رجل من اهل خراسان وكان من عقلائهم وفهمائهم وكان يأ كل وحده
فقلت له لم تأ كل وحدك قال ليس علىّ فى هذا الموضع مسئلة انما المسئلة

على من اكل مع الجماعة لان ذلك هو التكلف واكلى وحدى هو الاصل
وا كلى مع غيرى زيادة فى الاصل وحدثنى ابراهيم بن السندى قال كان على ربع
الشاذروان شيخ لنا من اهل خراسان وكان مصحما بعيدا من الفساد ومن
الرشاء ومن الحكم بالهوى وكان حفيا جدا وكذلك كان فى امساكه وفي
بخله وتدنيقه فى نفقاته وكان لا يأكل الا ما لا بدّ منه ولا يشرب الا ما لا بد
له منه غير انه كان في غداة كل جمعة حمل معه منديلا فيه جرذقتان وقطع
لحم سكباج مبرد وقطع جبن وزيتونات وصرة فيها ملح واخرى فيها
اشنان واربع بيضات ليس منها بدّ ومعه خلال ومضى وحده حتي
يدخل بعض بساتين الكرخ وطلب موضعا تحت شجرة وسط خضرة
وعلى ماء جار فاذا وجد ذلك جلس وبسط بين يديه المنديل واكل من هذا
مرّة ومن هذا مرة فان وجد قيم ذلك البستان رمى اليه بدرهم ثم قال
اشترلى بهذا او اعطنى بهذا رطبا ان كان في زمان الرطب أو عنبا ان كان
فى زمان العنب ويقول له اياك اياك ان تحابيني ولكن تجود لى فانك ان
فعلت لم آكله ولم اعد اليك واحذر الغبن فان المغبون لا محمود ولا مأجور
فان اتاه به اكل كل شئ معه وكل شئ أتى به ثم تخلل وغسل يديه ثم يمشى
مقدار مائة خطوة ثم يضع جنبه فينام الى وقت الجمعة ثم ينتبه فيغتسل ويمضى
الى المسجد هذا كان دأبه كل جمعة قال ابراهيم فبينا هو يوما من ايامه يأكل
فى بعض المواضع اذ مرّ به رجل فسلم عليه فرد السلام ثم قال هلمّ عافاك
الله فلما نظر الى الرجل قد انثنى راجعا يريد أن يطفر الجدول او يعدى النهر
قال له مكانك فان العجلة من عمل الشيطان فوقف الرجل فاقبل عليه الخراسانيّ

وقال تريد ماذا قال اريد ان اتغدى قال ولم ذلك وكيف طمعت فى هذا ومن اباح لك مالى قال الرجل اوليس قد دعوتنى قال ويلك لو ظننت انك هكذا احمق ما رددت عليك السلام الا فيما نحن فيه ان تكون اذا كنت انا الجالس وانت المار تبدأ انت فتسلم فاقول انا حينئذ مجيبا لك وعليكم السلام فان كنت لا آكل شيئا سكت انا وسكت انت ومضيت انت وقعدت انا على حالى وان كنت آكل فهاهنا بيان آخر وهو ان ابدأ انا فاقول هلم وتجيب انت فتقول هنيا فيكون كلام بكلام فأما كلام بفعال وقول بأكل فهذا ليس من الانصاف وهذا يخرج علينا فضلا كثيرا قال فورد على الرجل شىء لم يكن فى حسابه فشهر بذلك فى تلك الناحية وقيل له قد اعفيناك من السلام ومن تكلف الردّ قال مابى الى ذلك حاجة انما هو ان اعفى انا نفسى من هلمّ وقد استقام الامر ومثل هذا الحديث ما حدثنى به محمد بن بشير عن وال كان بفارس اما ان يكون خالد اخو مهرويه او غيره قال بينا هو يوما فى مجلس وهو مشغول بحسابه وامره وقد احتجب جهده اذ نجم شاعر من بين يديه فانشده شعرا مدحه فيه وقرظه ومجده فلما فرغ قال قد احسنت ثم اقبل على كاتبه فقال اعطه عشرة آلاف درهم ففرح الشاعر فرحا قد يستطار له فلما رأى حاله قال وانى لارى هذا القول قد وقع منك هذا الموقع اجعلها عشرين الف درهم وكاد الشاعر يخرج من جلده فلما رأى فرحه قد تضاعف قال وان فرحك ليتضاعف على قدر تضاعف القول اعطه يافلان اربعين الفا فكاد الفرح يقتله فلما رجعت اليه نفسه قال له انت جعلت فداك رجل كريم وانا اعلم انك كلما رأيتنى قد ازددت فرحا زدتنى فى الجائزة وقبول هذا منك لا يكون

الا من قلة الشكر له ثم دعا له وخرج قال فاقبل عليه كاتبه فقال سبحان الله هدا كان يرضى منك باربعين درهما تأمر له باربعين الف درهم قال ويلك وتريد ان تعطيه شيئا قال ومن انفاذ امرك بدّ قال يا احمق انما هذا رجل سرنا بكلام وسررناه بكلام هو حين زعم انى احسن من القمر واشد من الاسد وان لسانى اقطع من السيف وان امرى انفذ من السنان جعل في يدى من هذا شيئا أرجع به الى شئ السنانعلم انه قد كذب ولكنه قد سرنا حين كذب لنا فنحن ايضا نسره بالقول ونأمر له بالجوائز وان كان كذبا فيكون كذب بكذب وقول بقول فاما ان يكون كذب بصدق وقول بفعل فهذا هو الخسران الذى ماسمعت به ويقال ان هذا المثل الذى قد جرى على السنة العوام من قولهم ينظر الىّ شزرا كانى اكلت اثنين واطعمته واحدا انما هو لاهل مرو قال وقال المروزى لولا انى ابنى مدينة لبنيت آريا لدابتى قال وقلت لاحمد بن هشام وهو يبنى داره ببغداد اذا اراد الله ذهاب مال رجل سلط عليه الطين والماء قال لا بل اذا اراد الله ذهاب مال رجل جعله يرجو الخلف والله ما اهلك الناس ولا افقر بيوتهم ولا ترك دورهم بلاقع الا الايمان بالخلف وما رأيت جنة قط توقى من الناس قال وسمع رجل من المراوزة الحسن وهو يحث الناس على المعروف ويأمر بالصدقة ويقول مانقص مال قط من زكوة ويعدهم سرعة الخلف فتصدق بماله كله فافتقر فانتظر سنة وسنة فلما لم ير شيئا بكر على الحسن فقال حسن ماصنعت بى ضمنت لى الخلف فانفقت على عدتك وانا اليوم مذ كذا وكذا سنة انتظر ما وعدت لا ارى منه قليلا ولا كثيرا هدا يحل لك اللص كان يصنع بى اكثر من هذا والخلف

يكون معجلا ومؤجلا ومن تصدق وتشرط الشروط استحق الحرمان ولو كان هذا على ما توهمه المروزى لكانت المحنة فيه ساقطة ولترك الناس التجارة ولما بقى فقير ولذهبت العبادة ، اصبح ثمامة شديد الغم حين احترقت داره وكان كلما دخل عليه انسان قال الحريق سريع الخلف فلما كثر ذلك القول منهم قال فلنستحرق الله اللهم انى استحرقك فاحرق كل شئ لنا وليس هذا الحديث من حديث المراوزة ولكنا ضمنناه الى ما يشاكله . قال سجادة وهو ابو سعيد سجادة ان اناسا من المراوزة اذا لبسوا الخفاف في الستة الاشهر التي لا ينزعون فيها خفافهم يمشون على صدور اقدامهم ثلاثة اشهر وعلى اعقاب ارجلهم ثلاثة اشهر حتي يكون كأنهم لم يلبسوا خفافهم الا ثلاثة اشهر مخافة ان تنجرد نعال خفافهم أو تنقب ﴿وحكى﴾ ابو اسحاق ابراهيم بن سيار النظام عن جاره المروزي انه كان لا يلبس خفا ولا نعلا الى ان يذهب النبق اليابس لكثرة النوى فى الطريق والاسواق قال ورآنى مرة مصصت قصب سكر فجمعت ما مصصت ماءه لارمى به فقال ان كنت لا تنور لك ولا عيال فهبه لمن له تنور وعليه عيال واياك ان تعود نفسك هذه العادة فى أيام خفة ظهرك فانك لا تدرى ما ياتيك من العيال .

﴿ قصة اهل البصرة من المسجديين ﴾

قال اصحابنا من المسجديين اجتمع ناس فى المسجد ممن ينتحل الاقتصاد فى النفقة والتنمية للمال من اصحاب الجمع والمنع وقد كان هذا المذهب صار عندهم كالنسب الذى يجمع على التحاب وكالحلف الذى يجمع على التناصر وكانوا اذا التقوا فى حلقهم تذاكروا هذا الباب وتطارحوه وتدارسوه

تماسا للفائدة واستمتاعا بذكره فقال شيخ منهم ماء بئرنا كما قد علمتم ملح اجاج لا يقربه الحمار ولا تسيغه الابل وتموت عليه النخل والنهر منا بعيد وفي تكلف العذب علينا مؤنة فكنا نمزج منه للحمار فاعتل عنه وانتقض علينا من اجله فصرنا بعد ذلك نسقيه العذب صرفا وكنت انا والنعجة كثيرا ما نغتسل بالعذب مخافة ان يعترى جلودنا منه مثل مااعترى جوف الحمار فكان ذلك الماء العذب الصافي يذهب باطلا ثم انفتح لى فيه باب من الاصلاح فعمدت الى ذلك المتوضا فجعلت في ناحية منه حفرة وصهرجتها وملستها حتي صارت كانها صخرة منقورة وصوبت اليها المسيل فنحن الآن اذا اغتسلنا صار الماء اليها صافيا لم يخالطه شئ ولولا التعبد لكان جلد المتوظ احق بالنتن من جلد الجنب فمقادير طيب الجلود واحدة والماء على حاله والحمار ايضا لا تقزز له من ماء الجنابة وليس علينا حرج في سقيه منه وما علمنا ان كتابا حرمه ولا سنة نهت عنه فربحنا هذه منذ ايام واسقطنا مؤنة عن النفس والمال مال القوم وهذا بتوفيق الله ومنه فاقبل عليهم شيخ فقال هل شعرتم بموت مريم الصناع فانها كانت من ذوات الاقتصاد وصاحبة اصلاح قالوا فحدثنا عنها قال نوادرها كثيرة وحديثها طويل ولكني اخبركم عن واحدة فيها كفاية قالوا وما هى قال زوجت ابنتها وهى بنت اثنتي عشرة فحلتها الذهب والفضة وكستها المروى والوشى والقز والخز وعلقت المعصفر ودقت الطيب وعظمت امرها في عين الختن ورفعت من قدرها عند الاحماء فقال لها زوجها أنى هذا يامريم قالت هو من عند الله قال دعى عنك الجملة وهاتي التفسير والله ماكنت ذات مال قديما ولا ورثته حديثا وما انت بخائنة في نفسك ولا في مال بعلك الا ان تكونى

قد وقعت على كنز وكيف دار الامر فقد اسقطت عنى مؤنة وكفيتنى هذه النائبة قالت اعلم انى منذ يوم ولدتها الى ان زوجتها كنت ارفع من دقيق كل عجنة حفنة وكنا كما قد علمت نخبز فى كل يوم مرة فاذا اجتمع من ذلك مكوك بعته قال زوجها ثبت الله رأيك وارشدك ولقد اسعد الله من كنت له سكنا وبارك لمن جعلت له الفا ولهذا وشبهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من الذود الى الذود ابل وانى لارجو ان يخرج ولدك على عرقك الصالح وعلى مذهبك المحمود وما فرحى بهذا منك باشد من فرحى بما يثبت الله بك فى عقبى من هذه الطريقة المرضية فنهض القوم باجمعهم الى جنازتها وصلوا عليها ثم انكفؤا الى زوجها فعزوه على مصيبته وشاركوه فى حزنه . ثم اندفع شيخ منهم فقال ياقوم لا تحقروا صغار الامور فان اول كل كبير صغير ومتى شاء الله ان يعظم صغيرا عظمه وان يكثر قليلا كثره وهل بيوت الاموال الا درهم الى درهم وهل الذهب الا قيراط الى جنب قيراط وليس كذلك رمل عالج وماء البحر وهل اجتمعت اموال بيوت الاموال الا بدرهم من هنا ودرهم من ههنا فقد رأيت صاحب سفط قد اعتقر مائة جريب فى ارض العرب ولربما رأيته يبيع الفلفل بقيراط والحمص بقيراط فاعلم انه لم يربح فى ذلك الفلفل الا الحبة والحبتين من خشب الفلفل فلم يزل يجمع من الصغار الكبار حتى اجتمع ما اشترى به مائة جريب . ثم قال اشتكيت اياما صدرى من سعال كان اصابنى فامرنى قوم بالفانيذ السكرى واشار على آخرون بالحريرة تتخذ من الشاهنج والسكرود هن اللوزواشباه ذلك فاستثقلت المؤنة وكرهت الكلفة ورجوت العافية فبينا انا ادافع الايام اذ قال لى بعض الموفقين عليك

بماء النخالة حسه حارا فحسوت فاذا هو طيب جدا واذا هو يعصم فما
جعت ولا اشتهيت الغداء في ذلك اليوم الى الظهر ثم ما فرغت من غدائى
وغسل يدى حتي قاربت العصر فلما قرب وقت غدائى من وقت عشائى طويت
العشاء وعرفت قصدى فقلت للعجوز لم لا تطحنين لعيالنا فى كل غداة نخالة فان
ماءها جلاء للصدر وقوتها غذاء وعصمة ثم تجففين بعد النخالة فتعود كما كانت
فتبيعين اذا الجميع بمثل الثمن الاول ونكون قد ربحنا فضل ما بين الحالين
قالت ارجو ان يكون الله قد جمع بهذا السعال مصالح كثيرة لما فتح الله لك
بهذه النخالة التي فيها صلاح بدنك وصلاح معاشك وما اشك ان تلك المشورة
كانت من التوفيق. قال القوم صدقت مثل هذا لا يكتسب بالرأى ولا
يكون الا سماويا. ثم اقبل عليهم شيخ فقال كنا نلقى من الحراق والقداحة جهدا
لان الحجارة كانت اذا انكسرت حروفها واستدارت كلت ولم تقدح قدح
خير واصلدت فلم تور وربما اعجلنا المطر والوكف وقد كان الحجر ايضا يأخذ
من حروف القداحة حتي يدعها كالقوس فكنت اشترى المرقشيتا بالغلاء
والقداحة الغليظة بالثمن الموجع وكان علينا ايضا فى صنعة الحراق وفى معالجة
القطنة مؤنة وله ريح كريهة والحراق لا يجئ من الخرق المصبوغة ولا من
الخرق الوسخة ولا من الكتان ولا من الخلقان فكنا نشتريه باغلى الثمن
فتذاكرنا منذ ايام اهل البدو والاعراب وقدحهم النار بالمرخ والعفار فزعم
لنا صديقنا الثورى وهو ما علمت احد المرشدين ان عراجين الاعذاق تنوب
عن ذلك اجمع وعلمنى كيف تعالج ونحن نؤتى بها من ارضنا بلا كلفة فالخادم
اليوم لا تقدح ولا تورى الا بالعرجون قال القوم قد مرت بنا اليوم فوائد

كثيرة ولهذا قال الاول « مذاكرة الرجال تلقح الالباب » ثم اندفع شيخ منهم فقال لم ار في وضع الامور مواضعها وفي توفيتها غاية حقوقها كمعاذة العنبرية قالوا وما شأن معاذة هذه قال اهدى اليها العام ابن عم لها اضحية فرأيتها كئيبة حزينة مفكرة مطرقة فقلت لها مالك يا معاذة قالت انا امرأة ارملة وليس لي قيم ولا عهد لي بتدبير لحم الاضاحي وقد ذهب الذين كانوا يدبرونه ويقومون بحقه وقد خفت ان يضيع بعض هذه الشاة ولست اعرف وضع جميع اجزائها في اماكنها وقد علمت ان الله لم يخلق فيها ولا في غيرها شيئا لا منفعة فيه ولكن المرء يعجز لا محالة ولست اخاف من تضييع القليل الا انه يجر تضييع الكثير اما القرن فالوجه فيه معروف وهو ان يجعل فيه كالخطاف ويسمر في جذع من جذوع السقف فيعلق عليه الزبل والكيران وكل ما خيف عليه من الفار والنمل والسنانير وبنات وردان والحيات وغير ذلك واما المصران فانه لاوتار المندفة وبنا الى ذلك اعظم الحاجة واما قحف الرأس واللحيان وسائر العظام فسبيله ان يكسر بعد ان يعرق ثم يطبخ فما ارتفع من الدسم كان للمصباح وللادام وللعصيدة ولغير ذلك ثم تؤخذ تلك العظام فيوقد بها فلم ير الناس وقودا قط اصفى ولا احسن لهبا منه واذا كانت كذلك فهي اسرع في القدر لقلة ما يخالطها من الدخان واما الاهاب فالجلد نفسه جراب وللصوف وجوه لا تدفع واما الفرث والبعر فحطب اذا جفف عجيب ثم قالت بقي الآن علينا الانتفاع بالدم وقد علمت ان الله عز وجل لم يحرم من الدم المسفوح الا اكله وشربه وان له مواضع يجوز فيها ولا يمنع منها وان انا لم اقع على علم ذلك حتي يوضع موضع الانتفاع به صار كية في قلبي وقذى في عيني وهما لا

يزال يعاودنى فلم البث ان رأيتها قد تطلقت وتبسمت فقلت ينبغى ان يكون قد انفتح لك باب الرأى فى الدم قالت اجل ذكرت ان عندى قدورا شامية جددا وقد زعموا انه ليس شئ ادبغ ولا ازيد فى قوتها من التلطيخ بالدم الحار الدسم وقد استرحت الآن اذ وقع كل شئ موقعه قال ثم لقيتها بعد ستة اشهر فقلت لها كيف كان قديد تلك الشاة قالت بابى انت لم يجئ وقت القديد بعد. لنا فى الشحم والالية والجنوب والعظم المعرق وغير ذلك معاش ولكل شئ ابان فقبض صاحب الحمار والماء العذب قبضة من حصى ثم ضرب بها الارض ثم قال لاتعلم انك من المسرفين حتي تسمع باخبار الصالحين

﴿ قصة زبيدة بن حميد ﴾

واما زبيدة بن حميد الصيرفى فانه استلف من بقال كان على باب داره درهمين وقيراطا فلما قضاه بعد ستة اشهر قضاه درهمين وثلاث حبات شعير فاغتاظ البقال فقال سبحان الله انت رب مائة الف دينار وانا بقال لا املك مائة فلس وانما اعيش بكدى وباستفضال الحبة والحبتين صاح على بابك حمال والماء لم يحضرك وغاب وكيلك فنقدت عنك درهمين واربع شعيرات فقضيتنى بعد ستة اشهر درهمين وثلاث شعيرات فقال زبيدة يا مجنون اسلفتنى فى الصيف فقضيتك فى الشتاء وثلاث شعيرات شتوية ندية ارزن من اربع شعيرات يابسة صيفية وما اشك ان معك فضلا وحدثنى ابو الاصبغ بن ربعى قال دخلت عليه بعد أن ضرب غلمانه يوم فقلت له ما هذا الضرب المبرح وهذا الخلق السئ هؤلاء غلمان ولهم حرمة وكفاية وتربية وانما هم ولد هؤلاء كانوا الى غير هذا احوج قال انك لست تدرى انهم اكلوا كل جوارش

كان عندى قال ابو الاصبغ فخرجت الى رئيس غلمانه فقلت ويلك مالك وللجوارش ومارغبتك فيه قال جعلت فداك ما اقدر ان اكلمك من الجوع الا وانا متكئ الجوارش ما اصنع به هو نفسه ليس يشبع ولا نحتاج الى الجوارش ونحن الذين انما نسمع بالشبع سماعا من افواه الناس ما نصنع بالجوارش .واشتد على غلمانه في تصفية الماء وفي تبريده وتزميله لاصحابه وزواره فقال له غازى ابو مجاهد جعلت فداك مر بتزميل الخبز وتكثيره فان الطعام قبل الشراب وقال مرّة ياغلام هات خوان النرد وهو يريد تخت النرد فقال له غازى نحن الى خوان الخبز احوج . وسكر زبيدة ليلة فكسى صديقا له قميصا فلما صار القميص على النديم خاف البدوات وعلم ان ذلك من هفوات السكر فمضى من ساعته الى منزله فجعله برشكانا لامرأته فلما اصبح سأل عن القميص وتفقده فقيل له انك قد كسوته فلانا فبعث اليه ثم اقبل عليه فقال ما علمت ان هبة السكران وشراءه وبيعه وصدقته وطلاقه لايجوز وبعد فانى اكره ان لايكون لى حمد وان يوجه الناس هذا منى على السكر فردّه علىّ حتي اهبه لك صاحيا عن طيب نفس فانى اكره ان يذهب شئ من مالى باطلا فلما رآه قد صمم اقبل عليه فقال يا هناه ان الناس يمزحون ويلعبون ولا يؤاخذون بشئ من ذلك فرد القميص عافاك الله قال له الرجل انى والله قد خفت هذا بعينه فلم اضع جنبي الى الارض حتي جيبته لامراتى وقد زدت فى الكمين وحذفت المقاديم فان اردت بعد هذا كله ان تأخذه فخذه فقال نعم آخذه لانه يصلح لامرأتى كما يصلح لامرأتك قال [illegible] الصباغ قال فبأته قال ليس [illegible] فلما علم انه قد وقع [illegible] بلى [illegible]

رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول جمع الشر كله في بيت وأغلق عليه فكان مفتاحه السكر

﴿ قصة ليلى الناعطية ﴾

واما ليلى الناعطية صاحبة الغالية من الشيعة فانها ما زالت ترقع قميصا لها وتلبسه حتي صار القميص الرقاع وذهب القميص الاول ورفت كساءها ولبسته حتي صارت لا تلبس الا الرفو وذهب جميع الكساء وسمعت قول الشاعر

البس قميصك ما اهتديت لجيبه فاذا اضلك جيبه فاستبدل

فقالت اني اذا لخرقاء انا والله احوص الفتق وفتق الفتق وارقع الخرق وخرق الخرق ومضيت انا وابو اسحاق النظام وعمرو بن نهيوى نريد الحديث في الجفاف ولنتناظر في شئ من الكلام فمررنا بمجلس وليد القرشي وكان على طريقنا فلما رآنا تمشى معنا فلما جاوزنا الخندق وجلسنا في فناء حائطه وله ظل شديد السواد بارد ناعم وذلك لثخن الساتر واكتناز الاجزاء ولبعد مسقط الشمس من اصل حائطه فطال بنا الحديث فجرينا في ضروب من الكلام فما شعرنا الا والنهار قد انتصف ونحن في يوم قائظ فلما صرنا في الرجوع ووجدت مس الشمس ووقعها على الراس ايقنت بالبرسام فقلت لابي اسحاق والوليد الى جنبي يسمع كلامي الناطة منا بعيدة وهذا يوم منكر ونحن في ساعة تذيب كل شئ والرأى ان نميل الى منزل الوليد فنقيل فيه ونأكل ماحضر فانه يوم تخفيف فاذا ابردنا تفرقنا والا فهو الموت ليس دونه شئ قال الوليد رافعا صوته اما على هذا الوجه فلا يكون والله ابدا فضعه في سويداء قلبك فقلت له هذا الوجه الذي تنكره عينا رحمك الله هل ههنا الا الحاجة والضرورة قال انك

اخرجته مخرج الهزء وقلت وكيف اخرجه مخرج الهزء وحياتي في يدك مع
معرفتي بك فغضب وتتر يده من ايدينا وفارقنا ولا والله ما اعتذر الينا مما
ركبنا به الى الساعة ولم ار من يجعل الاسى حجة في المنع الا هو والا ما كان
من ابي مازن الى جبل العمر وكان جبل خرج ليلا من موضع كان فيه فخاف
الطائف ولم يأمن المستقى فقال لو دققت الباب على ابي مازن فبت عنده في
ادنى بيت او في دهليزه ولم الزمه من مؤنتي شيئا حتى اذا انصدع عمود
الصبح خرجت في اوائل المدلجين فدق عليه الباب دق واثق ودق مدل
ودق من يخاف ان يدركه الطائف او يقفوه المستقى وفي قلبه عز الكفاية
والثقة باسقاط المؤنة فلم يشك ابو مازن انه دق صاحب هدية فنزل سريعا
فلما فتح الباب وبصر بجبل بصر بملك الموت فلما رآه جبل واجما لا يحير
كلمة قال له اني خفت معرة الطائف وعجلة المستقى فلت اليك لأبيت
عندك فتساكر ابو مازن واراه ان وجومه انما كان بسبب السكر فخلع جوارحه
وخبل لسانه وقال سكران والله انا والله سكران قال له جبل كن كيف شئت
نحن في ايام الفصل لا شتاء ولا صيف ولست احتاج الى سطح فاغم عيالك
بالحر ولست احتاج الى لحاف فاكلفك ان تؤثرني بالدثار وانا كما ترى ثمل
من الشراب شبعان من الطعام ومن منزل فلان خرجت وهو اخصب الناس
دخلا وانما اريد ان تدعني أغفي في دهليزك أغفاءة واحدة ثم اقوم في اوائل
المبكرين قال ابو مازن وارخى عينيه وفكيه ولسانه ثم قال سكران والله انا
سكران لا والله ما اعقل اين انا والله ان افهم ما تقول ثم اغلق الباب في
وجهه ودخل لا يشك ان عذره قد وضح وانه قد لطف النظر حتى وقع على

هذه الحيلة وان وجدتم في هذا الكتاب لحنا او كلاما غير معرب ولفظا معدولا عن جهته فاعلموا انا انما تركنا ذلك لان الاعراب يبغض هذا الباب ويخرجه من حده الا ان احكى كلاما من كلام متعاقلى البخلاء واشحاء العلماء كسهل بن هارون واشباهه

﴿ قصة احمد بن خلف ﴾

ومن طياب البخلاء احمد بن خلف اليزيدى ترك ابوه فى منزله يوم مات الفى الف درهم وستمائة الف درهم واربعين ومائة الف دينار فاقتسماها هو واخوه حاتم قبل دفنه واخذ احمد وحده الف الف وثلاثمائة الف درهم وسبعين الف دينار ذهبا عينا مثاقيل وازنة جيادا سوى العروض فقلت له وقد ورث هذا المال كله ما أبطأ بك الليلة قال لا والله الا انى تعشيت البارحة فى البيت فقلت لاصحابنا لولا انه بعيد العهد بالاكل في بيته وان ذلك غريب منه لما احتاج الى هذا الاستثناء والى هذه الشريطة واين يتعشى الناس الا فى منازلهم وانما يقول الرجل عند مثل هذه المسئلة لا والله الا ان فلانا حبسنى ولا والله الا ان فلانا عزم علىّ فاما ما يستثنى ويشترط فهذا ما لا يكون الا على ما ذكرناه قبل .
وقال لى مبتدئا مرة عن غير مشورة وعن غير سبب جرى انظر أن تتخذ لعيالك في الشتاء من هذه المثلثة فانها عظيمة البركة كثيرة النزل وهى تنوب عن الغداء ولها نفخة تغنى عن العشاء وكل شئ من الاحساء فهو يغنى عن طلب النبيذ وشرب الماء ومن تحسى الحار عرق والعرق يبيض الجلد ويخرج من الجوف وهى تملأ النفس وتمنع من التشهى وهى ايضا تدفئ فتقوم لك فى اجوافهم مقام فحم الكانون من خارج وحسو طارئ يغنى عن الوقود وعن

لبس الحشو والوقود يسود كل شئ ويبيسه وهو سريع فى الهضم وصاحبه معرض للحريق ويذهب فى ثمنه المال العظيم وشر شئ فيه أن من تعوده لم يدفئه شئ سواه فعليك يا ابا عثمان بالمثلثة وأعلم انها لا تكون الا فى منازل المشيخة واصحاب التجربة فخذها من حكيم مجرب ومن ناصح مشفق وكان لا يفارق منازل اخوانه واخوانه مخاصيب مناويب اصحاب تفح وترف وكانوا يتحفونه ويدللونه ويفكهونه ويحكمونه ولم يشكوا انه سيدعوهم مرة وان يجعلوا بيته نزهة ونشوة فلما طال تغافله وطالت مدافعته وعرضوا له بذلك فتغافل صرحوا له فلما امتنع قالوا اجعلها دعوة ليس لها اخت فلما بلغ منه ومنهم المجهود اتخذ لهم طعيما خفيفا شهيا مليحا لا ثمن له ولا موءنة فيه فلما اكلوا وغسلوا ايديهم اقبل عليهم فقال اسئلكم بالله الذى لا شئ اعظم منه انا الساعة ايسر واغنى أو قبل ان تأكلوا طعامى قالوا مانشك انك حين كنت والطعام فى ملكك أغنى وأيسر قال فانا الساعة اقرب الى الفقر ام تلك الساعة قالوا بل انت الساعة اقرب الى الفقر قال فمن يلومنى على ترك دعوة قوم قربونى من الفقر وباعدونى من الغنى وكلما دعوتهم اكثر كنت من الفقر اقرب ومن الغنى ابعد وفي قياسه هذا ان من رأيه ان يهجر كل من استسقاه شربة ماء أوتناول من حائطه لبنة ومن خايط دابته عودا ومر باصحاب الجداء وذلك في زمان التوليد فاطمعه الزمان في الرخص وتحركت شهوته على قدر امكانه عنده فبعث غلاما له يقال له ثقف وهو معروف ليشترى له جديا فوقف غير بعيد فلم يلبث ان رجع الغلام يحضر وهو يشير بيده ويومى برأسه ان اذهب ولا تقف فلم يبرح فلما دنا منه قال ويلك تهزأبى كانى مطلوب قال هذا أطرفه

الجدى بعشرة ات من ذى البابة مر الآن مرّ مرّ فاذا غلامه يرى أن من المنكر ان يشترى جدى بعشرة دراهم والجدى بعشرة انما ينكر عندنا بالبصرة لكثرة الخير ورخص السعر فاما في العساكر فان انكر ذلك منكر فانما ينكره من طريق رخصه وقلة ثمنه لا لغير ذلك ولا تقولوا الآن قد والله اساء ابو عثمان الى صديقه بل ماتناوله بالسوء حتى بدأ بنفسه ومن كانت هذه صنعته وهذا مذهبه فغير مأمون على جليسه واى الرجال المهذب . هذا والله الشيوع والنبوع والبذاء وقلة الوفاء اعلموا انى لم التمس بهذه الاحاديث عنه الا موافقته وطلب رضاه ومحبته ولقد خفت ان اكون عند كثير من الناس دسيسا من قبله وكمينا من كنائنه وذلك ان احب الاصحاب اليه ابلغهم قولا في ايأس الناس مما قبله واجودهم حسما لاسباب الطمع في ماله على انى ان احسنت بجهدى فسيجعل شكرى موقوفا وان جاوز كتابي هذا حدود العراق شكر والا امسك لان شهرته بالقبيح عند نفسه في هذا الاقليم قد اغناه عن التنويه والتنبيه على مذهبه وكيف وهو يرى ان سهل بن هارون واسماعيل بن غزوان كانا من المسرفين وان الثورى والكندى يستوجبان الحجر وبلغنى انه قال لو لم تعرفوا من كرامة الملائكة على الله الا انه لم يبتلهم بالنفقة ولا بقول العيال هات لعرفتم حالهم ومنزلتهم ﴿وحدثنى﴾ صاحب لى قال دخلت على فلان بن فلان واذا المائدة موضوعة بعد واذا القوم قد اكلوا ورفعوا ايديهم فمددت يدي لآكل فقال اجهز على الجرحى ولا تتعرض للاصحاء يقول اعرض للدجاجة التي قد نيل منها وللفرخ المنزوع الفخذ فاما الصحيح فلا تتعرض له وكذلك الرغيف الذي قد نيل منه واصابه

بعض المرق وقال لي هذا الرجل ا كنا عنده يوما وابوه حاضر وبنيّ له يجئ ويذهب فاختلف مرارا كل ذلك يرانا نأكل فقال الصبي كم تأكلون لا اطعم الله بطونكم فقال ابوه وهو جدّ الصبيّ ابني وربّ الكعبة ﴿وحدثني﴾ صاحب مساحة باب الكرخ قال قال لي صاحب الحمام الا اعجبك من صالح بن عفان كان يجئ كل سحر فيدخل الحمام فاذا غبت عن اجانة النورة مسح عانته وارفاغه ثم يتستر بالمئزر ثم يقوم فيغسله في غمار الناس ثم يجئ بعد في مثل تلك الساعة فيطلي ساقيه وبعض فخذيه ثم يجلس ويتزر بالمئزر فاذا وجد غفلة غسله ثم يعود في مثل ذلك الوقت فيمسح قطعة اخرى من جسده فلا يزال يطلي في كل سحر حتي ذهب مني بطلية قال ولقد رأيته وان في زيق سراويله نورة وكان لا يرى الطبخ في القدور الشامية ولا تبريد الماء في الجرار المذارية لان هذه ترشح وتلك تنشف ﴿حدثني﴾ ابو الجهجاه النوشرواني قال حدثني ابو الاحوص الشاعر قال كنا نفطر عند الباساني فكان يرفع يديه قبلنا ويستلقي على فراشه ويقول انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا

﴿حديث خالد بن يزيد﴾

وهذا خالد بن يزيد مولى المهالبة هو خالويه المكدى وكان قد بلغ في البخل والتكدية وفي كثرة المال المبالغ التي لم يبلغها احد وكان ينزل في شق بني تميم فلم يعرفوه فوقف عليه ذات يوم سائل وهو في مجلس من مجالسهم فادخل يده في الكيس ليخرج فلسا وفلوس البصرة كبار فغلط بدرهم بغلي فلم يفطن حتى وضعه في يد السائل فلما فطن استرده واعطاه

الفلس فقيل له هذا لا نفقته بمحل وهو بعد قبيح قال قبيح عند من انى لم اجمع هذا المال بمقولكم فافرقه بمقولكم ليس هذا من مساكين الدراهم هذا من مساكين الفلوس والله ما اعرفه الا بالفراسة قالوا وانك لتعرف المكدين قال وكيف لا اعرفهم وانا كنت كاخان فى حداثة سنى ثم لم يبق فى الارض مخطرانى ولا مسترض الاقنية ولا شحاذ ولا كاغانى ولا بانوان ولا قرسى ولا عواء ولا مشعب ولا فلور ولا مزيدى ولا اسطيل الا وقد كان تحت يدى ولقد أكلت الزكورى ثلاثين سنة ولم يبق فى الارض كمبى ولا مكد الا وقد أخذت العرافة عليه حتى خضع لى اسحاق فقال المراء ينجوبه شمر الجمل وعمرو القوقيل وجعفر كردى وكلك وفرن ابره وحموبه عين الفيل وشهرام حمار ايوب وسعدويه نال امه وانما اراد بهذا يونسهم من ماله حين عرف حرصهم وجشعهم وسوء جوارهم وكان قاصا متكلما بليغا داهيا وكان ابو سليمان الاعور وابو سعيد المدائنى القاصان من غلمانه وهو الذى قال لابنه عند موته انى قد تركت لك ما تأكله ان حفظته وما لا تأكله ان ضيعته ولما اورثتك من العرف الصالح واشهدتك من صواب التدبير وعودتك من عيش المقتصدين خير لك من هذا المال وقد دفعت اليك آلة لحفظ المال عليك بكل حيلة ثم ان لم يكن لك معين من نفسك لما انتفعت بشئ من ذلك بل يعود ذلك النهى كله اغراء لك وذلك المنع تهجينا لطاعتك قد بلغت فى البرّ منقطع التراب وفى البحر اقصى مبلغ السفن فلا عليك الا ترى ذا القرنين ودع عنك مذاهب ابن شريه فانه لا يعرف الا ظاهر الخبر ولو رآنى تميم الدارىّ لاخذ عنى صفة

الروم ولأنا اهدى من القطا ومن دعيميص ومن رافع المخش انى قد بت بالقفر مع الغول وتزوجت السعلاة وجاوبت الهاتف ورغت عن الجن الى الحن واصطدت الشق وجاوبت النسناس وصحبنى الرئى وعرفت خدع الكاهن وتدسيس العراف والى مايذهب الخطاط والعياف وما يقول اصحاب الاكتاف وعرفت التنجيم والزجر والطرق والفكر ان هذا المال لم اجمعه من القصص والتكدية ومن احتيال النهار ومكابدة الليل ولا يجمع مثله ابدا الا من معاناة ركوب البحر ومن عمل السلطان او من كيمياء الذهب والفضة قد عرفت الراس حق معرفته وفهمت كسر الاكسير على حقيقته ولولا علمى بضيق صدرك ولولا ان اكون سببا لتلف نفسك لعلمتك الساعة الشيء الذى بلغ بقارون وبه تبنكت خاتون والله ما يتسع صدرك عندى لسر صديق فكيف مالا يحتمله عزم ولا يتسع له صدر وحرز سر الحديث وحبس كنوز الجواهر اهون من خزن العلم ولو كنت عندى مأمونا على نفسك لاجريت الارواح فى الاجساد وانت تبصر ما كنت لا تفهمه بالوصف ولا تحقه بالذكر ولكنى سألقى عليك علم الادراك وسبك الرخام وصنعة الفسيفساء وأسرار السيوف القلعية وعقاقير السيوف اليمانية وعمل الفرعونى وصنعة التلطيف على وجوه ان اقامنى الله من صرعتي هذه ولست ارضاك وان كنت فوق البنين ولا اثق بك وان كنت لاحقا بالآباء لانى لم ابالغ فى محبتك انى قد لابست السلاطين والمساكين وخدمت الخلفاء والمكدين وخالطت النساك والفتاك وعمرت السجون كما عمرت مجالس الذكر وحلبت الدهر اشطره وصادفت دهرا كثير الاعاجيب فلولا انى دخلت من كل باب وجريت مع كل ريح

وعرفت السراء والضراء حتى مثلت لى التجارب عواقب الامور وقربتنى من غوامض التدبير لما امكننى جمع ماخلفه لك ولا حفظ ماحبسته عليك ولم احمد نفسى على جمعه كما حمدتها على حفظه لان بعض هذا المال لم انله بالحزم والكيس قد حفظته عليك من فتنة الابناء ومن فتنة النساء ومن فتنة الثناء ومن فتنة الرياء ومن أيدى الوكلاء فانهم الداء العياء ولست اوصيك بحفظه لفضل حبى لك ولكن لفضل بغضى للقاضى ان الله جلّ ذكره لم يسلط القضاة على اموال الاولاد الا عقوبة للاولاد لان اباه ان كان غنيا قادرا احب أن يريه غناه وقدرته وان كان فقيرا عاجزا احبّ ان يستريح من شينه ومن حمل مؤنته وان كان خارجا من الحالين احبّ ان يستريح من مداراته فلا هم شكروا من جمع لهم وكفاهم ووقاهم وغرسهم ولا هم صبروا على من اوجب الله حقه عليهم والحق لا يوصف عاجله بالحلاوة كما لا يوصف عاجل الباطل بالمرارة فان كنت منهم فالقاضى لك وان لم تكن منهم فالله لك فان سلكت سبيلى صار مال غيرك وديعة عندك وصرت الحافظ على غيرك وان خالفت سبيلى صار مالك وديعة عند غيرك وصار غيرك الحافظ عليك وانك يوم تطمع أن تضيع مالك ويحفظه غيرك لجشع الطمع مخذول الامل أحتال الآباء فى حبس الاموال على اولادهم بالوقف فاحتالت القضاة على اولادهم بالاستحجار ما اسرعهم الى اطلاق الحجر والى ايناس الرشد اذا ارادوا الشراء منهم وابطأهم عنهم اذا ارادوا ان تكون اموالهم جائزة لصنائعهم يا ابن الخبيثة انك وان كنت فوق ابناء هذا الزمان فان الكفاية قد مسختك ومعرفتك بكثرة ماأخلف قد افسدتك وزاد فى ذلك ان كنت بكرىّ وعجزت امك ان تلد

مالي لجلست قاصا اوطفت في الآفاق كما كنت مكديا اللحية وافرة بيضاء والحلق جهيرطل والسمت حسن والقبول علي واقع ان سألت عيني الدمع أجابت والقليل من رحمة الناس خير من المال الكثير وصرت محتالا بالنهار واستعملت صناعة الليل أو خرجت قاطع طريق أو صرت للقوم عينا ولهم مجهرا سل عني صعاليك الجبل وزواقيل الشام وزط الآجام ورؤس الاكراد ومردة الاعراب وفتاك نهر بط ولصوص القفص وسل عنى القيقانية والقطربه وسل عنى المتشبهة وذباحي الجزيرة كيف بطشي ساعة البطاش وكيف حيلتي ساعة الحيلة وكيف أنا عند الجولة وكيف ثبات جناني عند رؤية الطليعة وكيف يقظتي اذا كنت ربيئة وكيف كلامي عند السلطان اذا أخذت وكيف صبري اذا جلدت وكيف قلة ضجري اذا حبست وكيف رسفاني في القيد اذا أثقلت فكم من دهاس قد نمبته وكم من مطبق قد أفضيته وكم من سجن قد كابدته لم تشهدني وكردويه الا قطع أيام سندان ولا شهدتني في فتنة سرنديب ولا رأيتني أيام حرب الموليان سل عني الكتيفية والخليدية والخريبة والبلالية وبقية أصحاب صخر ومصخر وبقية أصحاب فاس ورأس ومقلاس ومن لقي أزهر أبا النقم كان آخر من صادفني حمدوية أبو الارطال وأنا عجيب مردويه بن أبي فاطمة وأنا خلعت بني هانئ وأنا أول من شرب النرى حارا والبرد باردا وأول من شرب الفرق بالكبر وجعل المنقل قرعة وأول من ضرب الشاهبرم على ورق القرع وأول من لعب بالبرمع في البذو واسقط الدف المربع من بين الدفاف وما كان النقاب الا هداما حتي نشأت وما كان الاستفاء الا استلابا حتي بلغت وأنت غلام

لسانك فوق عقلك وذكاؤك فوق حزمك لم تعجمك الضراء ولم تزل في السراء والمال واسع وذرعك ضيق وليس شئ أخوف عليك عندى من حسن الظن بالناس فانهم شمالك على يمينك وسمعك على بصرك وخف عباد الله على حسب ما ترجو الله فاول ما وقع فى روعي ان مالى محفوظ على وان النماء لازم لى وان الله سيحفظ عقبي من بعدى. انى لما غلبتني يوما شهوتى وأخرجت يوما درهما لقضاء وطرى ووقعت عيني على سكته وعلى اسم الله المكتوب عليه قلت فى نفسى انى اذا لمن الخاسرين الضالين لئن أنا اخرجت من يدى ومن بيتي شيئا عليه لااله الا الله أخذت بدله شيئا ليس عليه شئ والله ان المؤمن لينزع خاتمه للامر يريده وعليه حسبي الله او توكلت على الله فيظن انه قد خرج من كنف الله جل ذكره حتى يرد الخاتم في موضعه وانما هو خاتم واحد وانا اريد ان اخرج فى كل يوم درهما عليه الاسلام كما هو ان هذا لعظيم ومات من ساعته وكفنه ابنه ببعض خلقانه وغسله بماء البئر ودفنه من غير أن يضرح له أو يلحد له ورجع فلما صار في المنزل نظر الى جرة خضراء معلقة قال أى شئ فى هذه الجرة قالوا ليس اليوم فيها شئ قال فاى شئ كان فيها قبل اليوم قالوا سمن قال وما كان يصنع به قالوا كنا فى الشتاء نلقى له في البرمة شيئا من دقيق نعمله له فكان ربما برقه بشئ من سمن قال تقولون ولا تفعلون السمن اخو العسل وهل افسد الناس اموالهم الا فى السمن والعسل والله انى لولا ان للجرة ثمنا لما كسرتها الا على قبره قالوا فخرج فوق ابيه وما كنا نظن ان فوقه مزيدا .

الخطرانى الذى يأتيك في زى ناسك ويريك ان بابك قد قور لسانه من

اصله لانه كان مؤذنا هناك ثم يفتح فاه كما يصنع من يتثاءب فلا نرى له لسانا البتة ولسانه في الحقيقة كلسان الثور وانا أحد من خدع بذلك ولا بد للمخطرانى ان يكون معه واحد يعبر عنه أو لوح أو قرطاس قد كتب فيه شأنه وقصته والكاغانى الذى يتجنن ويتصارع ويزبد حتي لا يشك أنه مجنون لا دواء له لشدة ماينزل بنفسه وحتي يتعجب من بقاء مثله على مثل علته والبانوان الذى يقف على الباب ويسل الغلق ويقول بانوا وتفسير ذلك بالعربية يامولاى والقرسى الذى يعصب ساقه وذراعه عصبا شديدا ويبيت على ذلك ليلة فاذا تورم واختنق الدم مسحه بشئ من صابون ودم الاخوين وقطر عليه شيئا من سمن وأطبق عليه خرقة وكشف بعضه فلا يشك من رآه ان به الاكلة أو بلية شبه الاكلة والمشعب الذى يحتال للصبي حين يولد بان يعميه أو يجعله اعشم أو اعضد ليسئل الناس به اهله وربما جاءت به امه وابوه ليتولى ذلك منه بالغرم الثقيل لانه يصير حينئذ عقدة وغلة فاما ان يكتسبا به واما ان يكرياه بكراء معلوم وربما اكروا اولادهم ممن يمضى الى افريقية فيسئل بهم الطريق اجمع بالمال العظيم فان كان ثقة مليئا والا اقام بالاولاد والاجرة كفيلا والفلور الذى يحتال لخصيتيه حتي يريك انه آدر وربما اراك ان بهما سرطانا أو خراجا أو غربا وربما أرى ذلك في دبره أن يدخل فيه حلقوما ببعض الرئة وربما فعلت ذلك المرأة بفرجها والكاخان الغلام المكدى اذا واجر وكان عليه مسحة جمال وعمل العملين جميعا والعواء الذى يسئل بين المغرب والعشاء وربما طرب ان كان له صوت حسن وحلق شجي والاسطيل هو المتعامى ان شاء اراك انه منخسف العينين وان شاء اراك

ن بهما ماء وان شاء اراك انه لا يبصر للخسف ولريح السبل والمزيدى الذي يدور ومعه الدريهمات ويقول هـذه دراهم قـد جمعت لى فى ثمن قطيفة فزيدونى فيها رحمكم الله وربما احتمل صبيا على انه لقيط وربما طلب فى الكفن والمستعرض الذى يعارضك وهو ذو هيئة وفى ثياب صالحة وكانه قد هاب من الحياء ويخاف ان يراه معرفة ثم يعترضك اعتراضا ويكلمك خفيا والمتقدس الذى يقف على الميت يسئل فى كفنه ويقف فى طريق مكة على الحمار الميت والبعير الميت يدعى انه كان له ويزعم انه قـد أحصر وقد تعلم لغة الخراسانية واليمانية والافريقية وتعرف تلك المدن والسكك والرجال وهو متي شاء كان من افريقيا ومتى شاء كان من أهل فرغانه ومتى شاء كان من اى مخاليف اليمن شاء والمكدى صاحب الكداء والكعبي اضيف الى ابى كعب الموصلى وكان عريفهم بعد خالويه سنة على ماء والزكورى هو خبز الصدقة كان على سجن او على سائل هـذا تفسير ماذكر خالويه فقط وهم أضعاف ماذكرنا في العـدد ولم يكن يجوز ان تتكلف شيئا ليس من الكتاب فى شئ . رفع يحيي بن عبد الله بن خالد بن امية بن عبد الله بن خالد بن اسيـد رغيفامن خوانه بيده ثم رطله والقوم ياكلون ثم قال يزعمون ان خبزى صغار اى ابن زانيـة ياكل من هـذا الخبز رغيفين وكنت انا وابو اسحاق ابراهيم بن سيار النظام وقطرب النحوى وابو الفتح مؤدب منصور بن زياد على خوان فلان بن فلان والخوان من جزعة والغضار صينى ملمع او خلنجية كما كية والالوان طيبة شوية وغذية قدية وكل رغيف فى بياض الفضة كانه البدر وكانه مرآة مجلوة ولكنه على قدر عدد الروس فاكل كل انسان

رغيفه الا كسرة ولم يشبعوا فيرفعوا أيديهم ولم يفنذوا بشئ فيتموا اكلهم والايدى معلقة وانما هم فى تنقير وتنتيف فاما طال ذلك عليهم اقبل الرجل على ابي الفتح وتحت القصعة رقاقة فقال ياابا الفتح خذ ذاك الرغيف فقطعه وقسمه على اصحابنا فتغافل ابو الفتح ثم اعاد عليه القول فتغافل فلما اعاد عليه القول الرابعة قال مالك ويلك لا تقطعه بينهم قطع الله اوصالك قال نبتلى على يدى غيرى اصاحك الله فخجلناه مرة وضحكنا مرة وماضحكنا صاحبنا ولا خجل وزرته اناوالمكى وكنت انا على حمار مكارى والمكى على حمار مستعار فصار الحمار الى أسوأ من حال الرؤد فكلم المكي غلمانه فقال لااريد منكم التبن فما فوقه اسقوه ماء فقط فسقوه ماء بئر فلم يشربه الحمار وقد مات عطشا فاقبل المكى عليه فقال اصلحك الله انهم يسقون حمارى ماء بئر ومنزل صاحب الحمار على شارع دجلة فهولا يعرف الا المذب قال فامزجوه له ياغلام فمزجوه فلم يشربه فاعاد المسئلة فامكنه من اذن من لا يسمع الا مايشتهى وقال لى مرة ياأخى ان ناسا من الناس يغمسون اللقمة الى اصبارها في المرّىّ فاقول هؤلاء قوم يحبون الملوحة ولا يحبون الحامض فما البث ان ارى احدهم يأخذ حرف الجرذقة فيغمسها فى الخل الحاذق ويغرقها فيه وربما رأيت أحدهم يمسكها في الخل بعد التغريق ساعة فاقول هؤلاء قوم يجمعون حب الحموضة الى حب الملوحة ثم لا البث ان اراهم يصنعون مثل ذلك بالخردل والخردل لا يرام قل لى اى شيء طبائع هؤلاء واى ضرب هم وما دواءهم واى شئ علاجهم فلما رأيت مذهبه وحمقه وغلبة البخل عليه وقهره له قلت مالهم عندي علاج هو انجع فيهم من ان

يمنعوا الصباغ كله قال لا والله ان هو غيره وصديق لنا آخر كنا قد ابتلينا
بمؤاكلته وقد كان ظن انا قد عرفناه بالبخل على الطعام وهجس ذلك
فى نفسه وتوهم انا قد تذاكرنا امره فكان يتزيد فى تكثير الطعام وفى
اظهار الحرص على ان يؤكل حتي قال من رفع يده قبل القوم غرمناه دينارا
فترى بغضه ان غرم دينارا وظاهر لائمته محتمل فى رضا قلبه وما
يرجو من نفع ذلك له ولقد خبرنى خباز لبعض اصحابنا انه جلده على
انضاج الخبز وانه قال له انضج خبزى الذى يوضع بين يدى واجعل
خبز من يأكل معى على مقدار بين المقدارين واما خبز العيال والضيف
فلا تقربنه من النار الا بقدر ما يصير العجين رغيفا وبقدر ما يتماسك فقط
فكلفه العويص فلما اعجزه ذلك جلده حد الزانى الحر فحدثت بهذا الحديث
عبد الله العروضى فقال الم تعرف شان الجدى ضرب الشواء ثمانين سوطا
لمكان الانضاج وذلك انه قال له ضع الجدى فى التنور حين تضع الخوان
حتي استبطئك انا فى انضاجه وتقول انت بقى قليل ثم تجيئنا به وكانى قد
اعجلتك فاذا وضع بين ايديهم غير منضج احتسبت عليهم باحضار الجدى
فاذا لم يأكلوه اعدته الى التنور ثم احضرتناه الغد باردا فيقوم الجدى الواحد
مقام جديين فجاء به الشواء يوما نضيجا فمعل فيه القوم فجلده ثمانين جلدة
جلد القاذف الحر . حدثنى احمد بن المثنى عن صديق لى وله ضخم البدن
كثير العلم فاشى الغلة عظيم الولايات انه اذا دعى على مائدته بفضل دجاجة
أو بفضل رقاق أو غير ذلك رد الخادم مع الخباز الى القهرمان حتي يصك
له بذلك الى صاحب المطبخ ولقد رأيته مرة وقد تناول دجاجة فشقها نصفين

فالتى نصفها الى الذى عن يمينه ونصفها الى الذى عن شماله ثم قال يا غلام
جئنى بواحدة رخصة فان هذه كانت عضلة جدا فحسبت ان أقل ما عند
الرجلين ان لا يعودا الى مائدته ابدا فوجدتهما قد فخرا علىّ بما حباهما به
من ذلك دونى وكانوا رعاخصوه فوضعوا بين يديه الدراجة السمينة
والدجاجة الرخصة فانطفأت الشمعة فى ليلة من تلك الليالى فاعلى الاسوار
على بعض ما بين يديه واغتنم الظلمة وعمل على ان الليل اخفى للويل فقطن له
وماهو بالفطن الا فى هذا الباب وقال كذلك الملوك كانت لا تأكل مع
السوقة. وحدثنى احمد بن المثنى انهم كانوا يعمدون الى الجراذق التي ترفع
عن مائدته فما كان منها ملطخا دلك دلكا شديدا وما كان منها قد ذهب
جانب منه قطع بسكين من ترابيع الرغيف مثل ذلك لئلا يشك من رآه
انهم قد تعمدوا ذلك وما كان من الانصاف والارباع جعل بعضه للثريد
وقطع بعضه كالاصابع وجعل مع بعض القلايا ولقد رأيت رجلا ضخما فخم
اللفظ فخم المعانى تربية في ظل ملك مع علوّهم ولسان عضب ومعرفة
بالغامض من العيوب والدقيق من المحاسن مع شدة تسرع الى اعراض الناس
وضيق صدر بما تعرّف من عيوبهم وان تزيدته لبلقاء الا انّ بياضها ناصع
ولونها الآخر اصهب ما رأيت ذلك مرة ولا مرتين وكنت قد هممت قبل
ذلك ان اعاتبه على الشئ يستأثر به ويخصّ به وان أحتمل ثقل تلك النصيحة
وبشاعتها فى حظه وفى النظر له ورأيت انّ ذلك لا يكون الا من حاقّ
الاخلاص ومن فرط الاخاء بين الاخوان فلما رأيت اللقمة هان علىّ التحمل
والغرة ورأيت أن ترك الكلام أفضل وان الموعظة لغو وقد زعم ابو الحسن

المدائني أن ثريدة مالك بن المنذر كانت بلقاء ولعل ذلك أن يكون باطلا وأما انا فقد رأيت بعيني من هذا الرجل ما اخبرك به وهو شئ لم اره الا فيه ولا سمعت به في غيره ولسنا من تسمية الاصحاب المتهتكين ولا غيرهم من المستورين في شئ اما الصاحب فانا لا نسميه لحرمته وواجب حقه والآخر لا نسميه ليستر الله عليه ولما يجب لمن كان في مثل حاله وانما نسمي من خرج من هاتين الحالين ولربما سمينا الصاحب اذا كان ممن يمازح بهذا كثيرا ورأيناه يتظارف ويجعل ذلك الظارف سلما الى منع شيئه

﴿ قصة ابى جعفر ﴾

ولم ار مثل ابى جعفر الطرسوسى زار قوما فأكرموه وطيبوه وجعلوا في شاربه وسبلته غالية فحكت بها شفته العليا فادخل اصبعه فحكها من باطن الشفة مخافة ان ياخذ اصبعه من الغالية شيئا اذا حكها من فوق وهذا وشبهه انما يطيب جدا اذا رأيت الحكاية بعينك لان الكتاب لا يصور لك كل شئ ولا يأتى لك على كنهه وعلى حدوده وحقائقه

﴿ قصة الحزامى ﴾

واما ابو محمد الحزامى عبد الله بن كاسب كاتب مونس وكاتب داود بن ابى داود فانه كان ابخل من برأ الله واطيب من برأ الله وكان له فى البخل كلام وهو أحد من يبصره ويفضله ويحتج له ويدعو اليه وانه رآنى مرة في تشرين الاول وقد بكر البرد شيأ فلبست كساء لى قومسيا خفيفا قد نيل منه فقال لى ما أقبح السرف بالعاقل واسمج الجهل بالحكيم ما ظننت ان اهمال النفس وسوء السياسة بلغ بك ما أرى قلت وأى شئ انكرت منا مذ

اليوم وما كان هذا قولك فينا بالامس فقال لبسك هذا الكساء قبل اوانه قلت قد حدث من البرد بمقداره ولو كان هذا البرد الحادث في تموز وآب لكان ابانا لهذا الكساء قال ان كان ذلك كذلك فاجعل بدل هذه المبطنة جبة محشوة فانها تقوم هذا المقام وتكون قد خرجت من الخطا فاما لبس الصوف اليوم فهو اليوم غير جائز قلت ولم قال لان غبار آخر الصيف يتداخله ويسكن في خلله فاذا امطر الناس وندى الهواء وابتل كل شئ ابتل ذلك الغبار وانما الغبار تراب الا انه لباب التراب وهو مالح يتقبض عند ذلك عليه الكساء ويتكرش لانه صوف فينضم اجزاؤه عليه فيأكله اكل القادح ويعمل فيه عمل السوس ولهو اسرع فيه من الارضة في الجزوع النجرانية ولكن أخر لبسه حتي اذا امطر الناس وسكن الغبار وتلبد التراب وحط المطر ما كان في الهواء من الغبار وغسله وصفاه فالبسه حينئذ على بركة الله وكان يقع الى عياله بالكوفة كل سنة مرة فيشترى لهم من الحب مقدار طبيخهم وقوت سنتهم فاذا نظر الى حب هذا والى حب هذا وقام على سعر اكتال من كل واحد منها كيلة معلومة بالميزان واشترى اثقلها وزنا وكان لا يختار على البلدى والمصلى شيئا الا ان يتقارب السعر وكان على كل حال يفر من الميسانى الا ان يضطر اليه ويقول هو ناعم ضعيف ونار المعدة شيطان فانما ينبغى لنا ان نطعم الحجر وما اشبه الحجر وقلت له مرة اعلمت ان خبز البلدى ينبت عليه شئ شبيه بالطين والتراب والغبار المتراكم قال حبذا ذلك من خبز وليته قد اشبه الارض با كثر من المقدار وكان اذا كان جديد القميص ومغسوله ثم اراد بكل بخور فى الارض ثم يتبخر مخافة

ان يسود دخان العود بياض قميصه فان اتسخ فأتى بالبخور لم يرض بالتبخر واستقصاء ما في العود من القتار حتى يدعو بدهن فيمسح به صدره وبطنه وداخلة ازاره ثم يتبخر ليكون اعلق للبخور وكان يقول حبذا الشتاء فانه يحفظ عليك رائحة البخور ولا يحمض فيه النبيذ ان ترك مفتوحا ولا يفسد فيه مرق ان بقى اياما وكان لا يتبخر الا فى منازل اصحابه فاذا كان فى الصيف دعا بثيابه فلبسها على قميصه لكيلا يضيع من البخور شئ وقال مرة ان للشيب سهكة وبياض الشعر هو موته وسواده حياته الا ترى ان موضع دبرة الحمار الاسود لا ينبت الا ابيض والناس لا يرضون منا فى هذا العسكر الا بالعناق والاثام والطيب غال وعادته ردية وينبغى لمن كان ايضا عنده ان يحرسه ويحفظه من عياله وان العطار ليختمه على اخص غلمانه به فلست ارى شيئا هو خير من اتخاذ مشط صندل فان ريحه طيبة والشعر سريع القبول منه واقل ما يصنع ان ينفى سهك الشيب فصرنا فى حال لنا ولا علينا فكان عطر الحزامى الى ان فارق الدنيا مشط صندل الا ان يطيبه صديق واستسلف منه على الاسوارى مائة درهم فجاءنى وهو حزين منكسر فقلت له انما يحزن من لا يجد بدا من اسلاف الصديق مخافة الا يرجع اليه ماله ولا يعد ذلك هبة منه اورجل يخاف الشكية فهو ان لم يسلف كرما اسلف خوفا وهذا باب الشهرة فيه هى قرة عينك وانا واثق باعتزامك وتصميمك وبقلة المبالاة بتبخيل الناس لك فا وجه انكسارك واغتمامك قال اللهم غفرا ليس ذاك بى انما فى انى قد كنت اظن ان اطمع الناس قد صارت تمنزل عنى وآيسه منى وانى قد حكمت هذا الباب واتقنته واودعت

قلوبهم اليأس وقطعت اسباب الخواطر فاراني واحد منهم ان من اسباب افلاس المرء طمع الناس فيه لانهم اذا طمعوا فيه احتالوا له الحيل ونصبوا له الشرك ولاذا يئسوا منه فقد أمن وهذا المذهب من علىّ استضعاف شديد وماشك انى عنده عمر وابى كبعض من يأكل ماله وهو مع هذا خليط وعشير واذا كان مثله لم يعرفني ولم يتقرر عنده مذهبي فماظنك بالجيران بل ماظنك بالمعارف اراني انفخ فى غير فحم واقدح بزند مصلد ما اخوفني ان اكون قد قصد الى بقول مااخوفني ان يكون الله فى سمائه قد قصد الى ان يفقرني . قال ويقولون ثوبك على صاحبك احسن منه عليك فما يقولون ان كان اقصر منى اليس يتخبل فى قيصى وان كان طويلا جدا وانا قصير جدا فلابسه اليس يصير آية للسابلين فمن اسوأ أثرا على صديقه ممن جعله ضحكة للناس ماينبغى لى ان اكسوه حتي اعلم انه فيه مثلى ومتي يتفق هذا والى ذلك محيا وممات. وكان يقول اشتهى اللحم الذى قد تهرأ واشتهى ايضا الذى فيه بعض الصلابة وقلت له مرّة ما اشبهك بالذى قال اشتهى لحم دجاجتين قال وما تصنع بذلك القائل هو ذا انا اشتهى لحم دجاجتين واحدة خلاسية مسمنة وأخرى خوامزكة رخصة . وقلت له مرة قد رضيت بأن يقال عبد الله بخيل قال لا اعدمنى الله هذا الاسم قلت وكيف قال لا يقال فلان بخيل الا وهو ذو مال فسلم الىّ المال وادعنى باى اسم شئت قلت ولا يقال ايضا فلان سخى الا وهو ذو مال فقد جمع هذا الاسم الحمد والمال واسم البخل يجمع المال والذم فقد اخترت اخسهما واوضعهما قال وبينهما فرق قلت فهاته قال في قولهم بخيل تثبيت لاقامة المال فى ملكه وفي قولهم سخى اخبار عن خروج المال من

ملكه واسم البخيل اسم فيه حفظ وذم واسم السخي اسم فيه تضييع وحمد والمال
زاهر نافع مكرم لاهله معزّ والحمد ريح وسخرية واستماعك له ضعف وفسولة
وما أقل غناء الحمد والله عنه اذا جاع بطنه وعرى جلده وضاع عياله وشمت
به من كان يحسده. وكنا عند داود بن ابي داود بواسط ايام ولايته كسكر
فاتته من البصرة هدايا فيها زقاق دبس فقسمها بيننا فكل ما اخذ منها الحزامي
اعطى غيره فانكرت ذلك من مذهبه ولم اعرف جهة تدبيره فقلت للمكي
قد علمت ان الحزامي انما يجزع من الاعطاء وهو عدوه فاما الاخذ فهو
ضالته وامنيته وانه لو اعطى افاعي سجستان وثعابين مصر وحيات الاهواز
لاخذها اذا كان اسم الاخذ واقعا عليها فعساه اراد التفضيل في القسمة قال
انا كاتبه وصداقتي اقدم وما ذلك به وانّ ههنا امرا مانقع عليه فلم يلبث ان
دخل علينا فسألته عن ذلك فتعصر قليلا ثم باح بسره قال وضيعته اضعاف
ربحه وأخذه عندي من اسباب الادبار قلت اول وضائعه احتمال الشكر قال
هذا لم يخطر لي قط على بال قلت فهات اذا ما عندك قال أول ذلك كراء
الحمال ثم هو على خطر حتى يصير الى المنزل فاذا صار الى المنزل صار سببا
لطلب العصيدة والارزّ والبستندود فان بعته فرارا من هذا صيرتموني شهرة
وتركتموني عنده آية وان انا حبسته ذهب في العصائد واشباه العصائد
وجذب ذلك شراء السمن ثم جذب السمن غيره وصار هذا الدبس اضرّ
علينا من العيال وان انا جعلته نبيذا احتجت الى كراء القدور والى شراء الحب
والى شراء الماء والى كراء من يوقد تحته والى التفرغ له فان وليت ذلك
الخادم أسود ثوبها وغرمنا ثمن الاشنان والصابون وازدادت في الطمع على

قدر الزيادة فى العمل فان فسد ذهبت النفقة باطلا ولم نستخلف منها عوضا بوجه من جميع الوجوه لان خل الداذى يخضب اللحم ويغير الطعم ويسود المرق ولا يصلح الا للاصطباغ وهذا اذا استحال خلا واكثر ذلك ان يحول عن النبيذ ولايصير الى الخل وان سلم واعوذ بالله وجاد وصفا لم نجد بدا من شربه ولم تطب انفسنا بتركه فان قعدت فى البيت اشرب منه لم يمكن الا بترك سلاف الفارسى المعسل والدجاج المسمن وجداء كسكر وفاكهة الجبل والنقل الهش والريحان الغض عند من لا يغيض ماله ولا تنقطع مادته وعند من لا ابالى على اى قطريه سقط مع فوت الحديث المؤنس والسماع الحسن وعلى انى ان جلست فى البيت اشربه لم يكن لى بد من واحد وذلك الواحد لا بد له من دريهم لحم ومن طسوج نقل وقيراط ريحان ومن ابزار للقدر ومن حطب للوقود وهذا كله غرم وهو بعد هذا شؤم وحرقة وخروج من العادة الحسنة فان كان ذلك النديم غير موافق فاهل الحبس احسن حالا منى وان كان واعوذ بالله موافقا فقد فتح الله على مالى بابا من التلف لانه حينئذ يسير فى مالى كسيرى فى مال من هو فوقى واذا علم الصديق ان عندى داذيا أو نبيذا دق الباب دق المدل فان حجبناه فبلاء وان ادخلناه فشقاء وان بدا لى في استحسان حديث الناس كما يستحسنه منى من اكون عنده فقد شاركت المسرفين وفارقت اخوانى من المصلحين وصرت من اخوان الشياطين فاذا صرت كذلك فقد ذهب كسبى من مال غيرى وصار غيري يكتسب منى وانا لو ابتليت باحدهما لم اقم له فكيف اذا ابتليت بان اعطي ولا آخذ اعوذ بالله من الخذلان بعد العصمة ومن الحور بعد الكور لو كان هذا فى الحداثة كان اهون

هذا الدوشاب دسيس من الحرفة وكيد من الشيطان وخدعة من الحسود وهو
الحلاوة التي تعقب المرارة ما اخوفى ان يكون ابوسليمان قد مل منادمتي فهو
محتال لى الحيل وكنا مرة فى موضع حشمة وفى جماعة كثيرة والقوم سكوت
والمجلس كبير وهو بعيد المكان منى واقبل على المكى وقال والقوم يسمعون فقال
يا اباعثمان من ابخل اصحابنا قلت ابو الهذيل قال ثم من قلت صاحب لنا لا اسميه
قال الحزامى من بعيد اىايعنيني ثم قال حسدتم للمقتصدين تدبيرهم ونماء
اموالهم ودوام نعمتهم فالتمستم تهجينهم بهذا اللقب وادخلتم المكر عليهم
بهذا النبز تظلمون المتلف لماله باسم الجود ادارة له عن شينه وتظلمون المصلح
لماله باسم البخل حسدا منكم لنعمته فلا المفسد ينجو ولا المصلح يسلم قال ابو
عبيدة بلغ خالد بن عبدالله القسرى ان الناس يرمونه بالبخل على الطعام فتكلم
يوما فما زال يدخل كلاما في كلام حتى ادخل الاعتذار من ذلك فى
عرض كلامه فكان مما احتج به فى شدة رؤية الآكيل عليه وفي تقززه منه
ان قال نظر خالد المهزول فى الجاهلية يوما الى ناس ياكلون والى ابل تجتر
فقال لاصحابه اترونى بمثل هذه العين التي ارى بها الناس والابل قالوا نعم
فحلف بالهه ان لاياكل بقلا وان مات هزالا وكان يغتذى اللبن ويصيب من
الشراب فاضمره ذلك وايبسه فلما دق جسمه واشتد هزاله سمى المهزول
ثم قال خالد ها انا ذا مبتلى بالمضغ ومحمول على تحريك اللحيين ومضطر الى مناسبة
البهائم وتحمل ما في ذلك من السخف والعجز ما اُبالى احتملته فيمن لى منه بد
ولى عنه مذهب ليأكل كل امرئ في منزله وفي موضع أمنه وانسه ودون
ستره وبابه هذا ما بلغنا عن خالد بن عبدالله القسرى واحتجاجه فاما خالد المهزول فهو

احد الخالدين وهما سيدا بنى اسد وفيه وفى خالد بن نضلة يقول الاسود بن يعفر

وقبلك مات الخالدان كلاهما عميد بنى جحوان وابن المضلل

﴿ قصة الحارثى ﴾

وقيل للحارثى بالامس والله انك لا تصنع الطعام فتجيده وتعظم عليك النفقة وتكثر منه وانك لتغالى بالخباز والطباخ والشواء والخباص ثم انت مع هـذا كله لا تشهده عدوا لتغيظه ولا وليا فتسره ولا جاهلا لتعرفه ولا زائرا لتعظمه ولا شاكرا لتثبته وانت تعلم حين يتنحى من بين يديك ويغيب عن عينيك فقد صار نهبا مقسما ومتوزعا مستهلكا فلو احضرته من ينفع شكره ويبقى على الايام ذكره ومن يمتعك بالحديث الحسن والاستماع ومن يمتد به الاكل ويقصر به الدهر لكان ذلك اولى بك واشبه بالذى قدمته يدك وبعد فلم تبيح مصون الطعام لمن لا يحمدك ومن ان حمدك لم يحسن ان يحمدك ومن لا يفصل بين الشهي الغذى وبين الغليظ الزهم قال يمنعنى من ذلك ما قال ابو الفاتك قالوا ومن ابو الفاتك قال قاضى الفتيان وانى لم اكل مع احد قط الا رايت منه بعض ماذمه وبعض ما شنعه وقبحه فشئ يقبح بالشطار فما ظنك به اذا كان فى اصحاب المروءات واهل البيوتات قال فما قال ابو الفاتك قال قال ابو فاتك الفتي لا يكون نشافا ولا نشالا ولا مرسالا ولا لكاما ولا مصاصا ولا نفاضا ولا دلاكا ولا مقورا ولا مغربلا ولا محلقما ولا مسوغا ولا مبلما ولا مخضرا فكيف لو رأى ابو الفاتك اللطاع والقطاع والنهاش والمداد والدفاع والمحول والله انى لا فضل الدهاقين حين عابوا الحسو وتقززوا من التمرق وبهرجوا اصحاب التمشيش وحين اكلوا بالبارجين وقطعوا

بالسكين ولزموا عند الطعام السكتة وتركوا الخوض واختاروا الزمزمة
انا والله احتمل الضيف والضيفين ولا احتمل اللفموط ولا الجرديل والواغل
اهون على من الراشن ومن يشك ان الوحدة خير من جليس السوء وان
جليس السوء خير من آكيل السوء لان كل آكيل جليس وليس كل جليس آكيلا
فان كان لا بد من المؤاكلة ولا بد من المشاركة فمع من لا يتأثر على بالمخ ولا ينتهز
بيضة البقيلة ولا يلتهم كبد الدجاجة ولا يبادر الى دماغ راس السلافة ولا
يختطف كلية الجدى ولا يزدرد قانصة الكركى ولا ينتزع شاكلة الحمل
ولا يقع سرة الشعر ولا يعرض لعيون الرؤس ولا يستولى على صدور الدجاج
ولا يسابق الى اسقاط الفراخ ولا يتناول الا ما بين يديه ولا يلاحظ ما بين
يدى غيره ولا يتشهى الغرائب ولا يمتحن الاخوان بالامور الثمينة ولا يهتك
استار الناس بان يتشهى ماعسى الا يكون موجودا وكيف تصلح الدنيا وكيف
يطيب العيش مع من اذا رأى جزورية التقط الاكباد والاسنمة واذا عاين
بهرية استولى على المرق والقطنة وان اتوا بجنب شواء اكتسح كل شئ
عليه لا يرحم ذا سن لضعفه ولا يرق على حدث لحدة شهوته ولا ينظار للعيال
ولا يبالى كيف دارت بهم الحال وان كان لا بد من ذلك فمع من لا يجعل
نصيبه في مالى اكثر من نصيبي واشد من كل ما وصفنا واخبث من كل ما
عددنا ان الطباخ ربما اتى باللون الطريف وربما قدم الشئ الغريب والعادة في
مثل ذلك اللون ان يكون لطيف الشخص صغير الحجم وليس كالطفشيلية
ولا كالهريسة ولا كالفجلية ولا كالكرنبية وربما عجل عليه فقدمه حارا
ممتنعا وربما كان من جوهر بطئ الفتور واصحابى في سهولة ازدراد

الحار عليهم في طباع النعام وانا فى شدة لحار على في طباع السباع فان انتظرت الى ان يمكن اتوا على آخره وان بدرت مخافة الفوت وازدت أن اشاركهم فى بعضه لم آمن ضرره والحارّ ربما قتل وربما اعقم وربما ابال الدم ثم قال هذا على الاسوارى اكل مع عيسى بن سليمان بن على فوضعت قدّامهم سمكة عجيبة فائقة السمن فحاط بطنها لخذه فاذا هو يكتنز شحما وقد كان غص بلقمة وهو لمستسق فرغ من الشراب وقد غرف من بطنها كل انسان منهم بلقمته غرفة وكان عيسى ينتخب الاكلة ويختار منهم كل منهوم فيه ومفتون به فلما خاف عليّ الاسواريّ الاخفاق واشفق من الفوت وكان اقربهم اليه عيسى استلب من يده اللقمة باسرع من خطفة البازى وانحدار العقاب من غير ان يكون اكل عنده قبل مرّته فقيل له ويحك استلبت لقمة الامير من يده وقد رفعها اليه وشحا لها فاه من غير مؤانسة ولا ممازجة سالفة قال لم يكن الامر كذلك وكذب من قال ذلك ولكنا اهوينا ايدينا معا فوقعت يدى في مقدم الشحمة ووقعت يده فى مؤخر الشحمة معا والشحم ملتبس بالامعاء فلما رفعنا ايدينا معا كنت انا اسرع حركة وكانت الامعاء متصلة غيرمتباينة فتحول كل شئ كان في لقمته بتلك الجذبة الى لقمتي لاتصال الجنس بالجنس والجوهر بالجوهر وانا كيف ارّا كل اقواما يصنعون هذا الصنيع ثم يحتجون له بتثل هذه الحجج .ثم قال انكم تشيرون عليّ بملابسة شرار الخلق وانذال الناس وبكل عياب متعتب ووثاب على اعراض الناس متسرع وهؤلاء لم يرضوا ان يدعوهم الناس ولا يدعواالناس وان يأكلوا ولا يطعموا وان يتحدثوا عن غيرهم ولا يبالون ان يتحدث عنهم وهم شرار

الناس ثم قال اجلس معاوية وهو في مرتبة الخلافة وفي السطح من قريش وفى نبل الهمة واصابة الرأى وجودة البيان وكمال الجسم وفي تمام النفس عند الجولة وعند تقصف الرماح وتقطع السيوف رجلا على مائدته مجهول الدار غير معروف النسب ولا مذكور بيوم صالح فابصر فى لقمته شعرة فقال خذ الشعرة من لقمتك ولا وجه لهذا القول منه الا محض النصيحة والشفقة فقال الرجل وانك لتراعيني مراعاة من يبصر معها الشعرة لا جلست لك على مائدة ماحييت ولا حكيتها عنك مابقيت فلم يدر الناس اى امرى معاوية كان احسن واجمل تغافله عنه ام شفقته عليه فكان هذا جزاؤه منه وشكره له ثم قال وكيف اطعم من ان رأيته يقصر في الاكل فقلت له كل ولا تقصر في الاكل قام ولم يفطن لفضل مابين التقصير وغيره وان قصر لم انشطه ولم احثه قال لولا انه وافق هواه . ثم قال ومد رجل من بنى تميم يده الى صاحب الشراب يستسقيه وهو على خوان المهلب فلم يره الساقى فلم يفطن له ففعل ذلك مرارا والمهلب يراه وقد أمسك عن الاكل الى ان يسيغ لقمته بالشراب فلما طال ذلك على المهلب قال اسقه ياغلام ما احب من الشراب فلما سقاه استقله وطلب الزيادة منه وكان المهلب اوصاهم بالاقلال من الماء والاكثار من الخبز قال التميمى انك لسريع الى السقى سريع الى الزيادة وحبس يده عن الطعام فقال المهلب إله عن هذا ايها الرجل فان هذا لا ينفعك ولا يضرنا اردنا امرا واردت خلافه ، وقد علمت انى دون معاوية ودون المهلب بن ابى صفرة وانهم الىّ اسرع وفى لحمى ارتع ثم قال وفى الجارود بن ابى سبرة الحكم واعظ وفى ابى الحارث جمين زاجر فقد كانا يدعيان الى الطعام والى الاكرام اظارفهما

وحلاوتهما وحسن حديثهما وقصر يومهما وكانا يتشهيان الرغائب ويقترحان الطرائف ويكلفان الناس المؤن الثقال ويمتحنان ما عندهم بالكلف الشداد فكان جزاؤهم من احسانهم ما قد علمتم قال ومن ذلك ان بلال بن ابي بردة كان رجلا عيابا وكان الى اعراض الاشراف متسرعا فقال للجارود كيف طعام عبد الله بن ابي عثمان قال يعرف وينكر قال فكيف هو عليه قال يلاحظ اللقم وينتهر السائل قال فكيف طعام سلم بن قتيبة قال طعام ثلاثة وان كانوا اربعة جاعوا قال فكيف طعام تسنيم بن الحوارى قال نقط العروس قال فكيف طعام المنجاب بن ابي عيينة قال يقول لا خير في ثلاث اصابع في صفحة حتى اتى على عامة اهل البصرة وعلى كل من كان يؤثره بالدعوة وبالانسة والخاصة ويحكمه في ماله فلم ينج منه الا من كان يعده كما لم يبتل به الا من كان يقربه وهذا ابو شعيب القلال في تقريب مويس له وانسه به وفي احسانه اليه مع سخائه على المأكول وغض طرفه عن الاكيل وقلة مبالاته بالحفظ وقلة احتفاله بجمع الكثير سئل عنه ابو شعيب فزعم انه لم يرقط اشح منه على الطعام قيل وكيف قال يدلك على ذلك انه يصنعه صنعة ويهيئه تهيئة من لا يريد ان يمس فضلا على غير ذلك وكيف يجترئ الضرس على انساد ذلك الحسن ونقض ذلك النظم وعلى تفريق ذلك التاليف وقد علم ان حسنه يحشم وان جماله يهيب منه فلو كان سخيا لم يمنع منه بهذا السلاح ولم يجعل دونه الجنن فحول احسانه اساءة وبذله منعا واستدعاءه اليه نهيا قال ثم قيل لابي الحارث جمين كيف وجه محمد بن يحيى على غدائه قال اما عيناه فعينا مجنون وقال فيه ايضا لو كان في كفه كر خردل ثم لعب به لعب الابلي بالاكرة لما سقطت من بين

اصابه حبة واحدة وقيل له ايضا فكيف سخاؤه على الخبز خاصة قال والله لو القى اليه من الطعام بقدر ما اذا جلس فوق السحاب يوثر ماتجافى عن رغيف وكان ابو نواس يرتعي على خوان اسماعيل بن نيبخت كما ترتعي الابل في الحمض بعد طول الخلة ثم كان جزاؤه منه انه قال

خبز اسماعيل كالوشـ ی اذا ما شق يرفا

وقال

وماخبزه الا كليب بن وائل ليالى يحمى عزه منبت البقل

وكان ابو شنقمق يعيب في طعام جعفر بن ابى زهير وكان له ضيفا في ضيافة جعفر وهو مع ذلك يقول

رأيت الخبز عز لديك حتي حسبت الخبز في جو السحاب

وما روحتنا لتذب عنا ولكن خفت مرزئة الذباب

وقيل للجهاز رأيناك في دهليز فلان وبين يدك قصعة وانت تأكل فمن اى شئ كانت القصعة وأى شئ كان فيها قال قئ كلب في قحف خنزير وقيل لرجل من العرب قد نزلت بجميع القبائل فكيف رأيت خزاعة قال جوع واحاديث ونزل عمرو بن معدى كرب برجل من بنى المغيرة وهم اكثر قريش طعاماً فاتاه بما حضر وقد كان فيما اتاه به فضل فقال لعمر بن الخطاب وهم اخواله ليام بنى المغيرة يا امير المؤمنين قال وكيف قال نزلت بهم فما قرونى غير قرنين وكعب ثور قال عمر ان ذلك لشبعة وكم قد رأينا من الاعراب نزل برب صرمة فاتاه بلبن وتمر وحيس وخبز وسمن سلاء فبات ليلته ثم اصبح يهجوه كيف لم ينحر له وهو لا يعرف بعيراً من ذوده

أو من صرمته ولو نحر هذا البائس اكل كلب مرّ به بعيراً من مخافة لسانه
لما دار الاسبوع الا وهو يتعرض للسابلة يتكفف الناس ويسئلهم العلق
وسأل زياد عن رجل من اصحابه فقيل انه لملازم وما يغب غداء الامير فقال
زياد فليغبه فان ذلك مما يضرّ بالعيال فالزموه الغب فعابوا زيادا بذلك
وزعموا انه استثقل حضوره في كل يوم واراد أن يزجر به غيره فيسقط عن
نفسه وعن ماله مؤنة عظيمة وانما كان ذلك من زياد على جهة النظر للعيالات
وكما ينظر الراعي للرعية وعلى مذهب عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد
قال الحسن تشبه زياد بعمر فافرط وتشبه الحجاج بزياد فاهلك الناس فجعلتم
ذلك عتبا منه وقال يوسف بن عمر اقوام موائده اعظموا الثريدة فانها لقمة
الدرداء فقد يحضر طعامكم الشيخ الذى قد ذهب فمه والصبي الذى لم ينبت
فمه واطمموه ما تعرفون فانه انجع واشفى للقوم فقلتم انما اراد العجلة والراحة
بسرعة الفراغ وان يكيدهم بالثريد ويملأ صدورهم بالعراق وقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم سيد الطعام الثريد ومثل عائشة في النساء مثل الثريد
في الطعام ولعظم صنعة الثريد في اعين قريش سموا عمرو بن عبد مناف
بهاشم حين هشم الخبز واتخذ منه الثريد حتى غلب عليه الاسم
المشتق له من ذلك وقال عوف بن القعقاع لمولاه اتخذ لنا طعاما يشبع فضله
اهل الموسم قلتم فلما رأى الخبز الرقاق والغلاظ والشواء والالوان واستطراف
الناس للون بعد اللون ودوام اكلهم لدوام الطارف وان ذلك لوكان لونا واحدا
لكان اقل لاكلهم قال فهلا فعلته طعام يد ولم تجعله طعام يدين فقلتم اتسع
ثم ضاق حين اراد اطعامهم الثريد والحيس وكل ما يؤكل بيد دون يدين

والقمقاع عربي كره لمولاه ان يرغب من طعام العرب الى طعام العجم واراد دوام قومه على مثل ما كانوا عليه وعلى ان الثروة تفتحهم وتفسدهم وان الذى فتح عليهم من باب الترفه اشد عليهم مما غلق عليهم من باب فضول اللذة وقد فعل عمر من جهة التأديب اكثر من ذلك حين دعي الى عرس فرأى قدرا صفراء واخرى حمراء وواحدة مرة واخرى حلوة وواحدة محمضة فكازها كلها فى قدر عظيمة وقال ان العرب اذا اكلت هذا قتل بعضها بعضا (تفسير كلام ابى فاتك) اما قوله الفتي لا يكون نشالا (فالنشال) عنده الذى يتناول من القدر ويأكل قبل النضج وقبل ان تنزل القدر ويلتام القوم (والنشاف) الذى يأخذ حرف الجرذقة فيفتحه ثم يغمسه فى رأس القدر ويشربه الدسم يستأثر بذلك دون اصحابه (والمرسال) رجلان احدهما اذا وضع فى فيه لقمة هريسة او ثريدة او حيسة او ارزة ارسلها فى جوف حلقه ارسالا والوجه الآخر هو الذى اذا مشى فى اشب من فسيل او شجر قبض على رأس السعفة او على رأس الغصن لينتحيها عن وجوه واذا قضى وطره ارسلها من يده فهى لا محالة تصك وجه صاحبه الذى يتلوه لا يحفل بذلك ولا يعرف ما فيه واما (اللكام) فالذى فى فيه اللقمة ثم يلكمها باخرى قبل اجادة مضغها او ابتلاعها (والمصاص) الذى يمص جوف قصبة العظام بعد ان استخرج مخه واستأثر به دون اصحابه واما (النفاض) فالذى اذا فرغ من غسل يده فى الطست نفض يديه من الماء فنضح على اصحابه واما (الدلاك) فالذى لا يجيد تنقية يديه بالاشنان ويجيد دلكهما بالمنديل وله ايضاً تفسير آخر وليس هو الذى نظنه وهو مليح وسيقع فى موضعه ان شاء الله والمقور الذى يقور الجرادق

ويستأثر بالاوساط ويدع لاصحابه الحروف (والمغربل) الذي يأخذ وعاء الملح فيديره ادارة الغربال ليجمع ابازيره يستأثر به دون اصحابه لا يبالى ان يدع ملحهم بلا ابزار (والمحلقم) الذي يتكلم واللقمة قد بلغت حلقومه تقول لهذا قبيح دع الكلام الى وقت مكانه (والمسوغ) الذي يعظم اللقم فلا يزال قد غص ولا يزال يسيغه بالماء (والمبلعم) الذي اخذ حروف الرغيف اويغمز ظهر التمرة بابهامه ليحملان له من الزبد والسمن ومن الاباء واللبن ومن البيض النيمبرشت اكثر (والمخضر) الذي يدلك يده بالاشنان من الغمر والودك حتي اذا اخضرّ واسودّ من الدرن دلك به شفته هذا تفسير ماذكر الحارثي من كلام ابى فاتك فاما ماذكره هو فان (اللطاع) معروف وهو الذي يلطع اصبعه ثم يعيدها في مرق القوم اولبنهم أوسويقهم وماشبه ذلك (والقطاع) الذي يعض على اللقمة فيقطع نصفها ثم يغمس النصف الآخر في الصباغ (والنهاش) وهو معروف وهو الذي ينهش اللحم كما ينهش السبع (والمداد) الذي ربما عض على العصب التي لم تنضج وهو يمدها بفيه ويده توترها له فربما قطعها بنتره فيكون لها انتضاح على ثوب المؤاكل وهو الذي اذا اكل مع اصحابه الرطب أو التمر أو الهريسة أو الارزة فاتى على مابين يديه مد ما بين ايديهم اليه (والدفاع) الذي اذا وقع فى القصعة عظم فصار مما يليه نحاه بلقمته من الخبز حتي تصير مكانه قطعة من لحم وهو فى ذلك كانه يطلب بلقمته تشريب المرق دون اراغة اللحم (والمحول) هو الذي اذا رأى كثرة النوى بين يديه احتال له حتي يخلطه بنوى صاحبه واما ما ذكره (الضيف) (والضيفن) فان الضيفن يتبع الضيف وانشد ابو زيد

اذا جاء ضيف جاء للضيف ضيفن

فأودى بما يقرى الضيوف الضيافن

يقول الاكيل لا يكون الا بالمماينة وقد يكون الضيف وان كان معه الضيفن لا يؤاكل من أضافه يقول فاكل الكثير من حيث لا اراه اهون على واما قوله (الواغل) اهون على من الراشن فانه يزعم ان طفيلى الشراب اهون على من طفيلىّ الطعام وقول الناس فلان طفيلى ليس من اصول كلام العرب ليس كالراشن واللعموظ واهل مكة يسمونه البرقى وكان بالكوفة رجل من بنى عبد الله بن غطفان يسمى طفيل كان ابعد الناس نجعة فى طلب الولائم والاعراس فقيل له لذلك طفيل العرائس وصار ذلك نبزا له ولقبا لا يعرف بغيره فصار كل من كانت تلك طعمته يقال له طفيلى هذا من قول ابى اليقظان ثم قال الحارثى واعجب من كل عجب واطرف من كل طريف انكم تشيرون على باطعام الاكلة ودفعى الى الناس مالى وانتم اترك لهذا منى فان زعمتم انى اكثر مالا واعد عدة فليس من حالى وحالكم فى التقارب ان اطعم ابدا وانتم تأكلون ابدا فاذا اتيتم فى اموالكم من البذل والاطعام على قدر احتمالكم عرفت بذلك ان الخير اردتم والى تزيينى ذهبتم والا فانكم انما تحابون حابا لكم شطره بل انتم كما قال الشاعر

يحب الخمر من مال الندامى ويكره أن يفارقه الفلوس

ثم قال والله انى لو لم اترك مؤاكلة الناس واطعامهم الا لسوء رعة على الاسوارى لتركته وما ظنكم برجل نهش بضعة لحم تعرقا فبلع ضرسه وهو لا يعلم فعل ذلك عند ابراهيم بن الخطاب مولى سليمان وكان اذا اكل ذهب

عقله وجحظت عينه وسكر وسدر وانبهر وتربد وجهه وغضب ولم يسمع ولم
يبصر فلما رأيت ما يعتريه وما يعترى الطعام منه صرت لا آذن له الا ونحن
نأكل التمر والجوز والباقلى ولم يفجأنى قط وانا آكل تمراً الا استفه سفاً
وحساه حسواً وذرابه ذرواً ولا وجده كثيراً الا تناول القصعة كجمجمة
الثور ثم يأخذ بحضنيها ويقلها من الارض ثم لا يزال ينهشها طولا وعرضا
ورفعاً وخفضاً حتى يأتى عليها جميعاً ثم لا يقع غضبه الا على الانصاف والاتلاف
ولم يفصل تمرة قط من تمرة وكان صاحب جمل ولم يكن يرضى بالتفاريق ولا
رمى بنواة قط ولا نزع قمعاً ولا نفى عنه قشراً ولا فتشه مخافة السوس والدود
ثم ما رأيته قط الا وكأنه طالب ثار وشحشحان صاحب طائلة وكأنه عاشق
مغتلم او جائع مقرور والله يا اخوتى لو رأيت رجلا يفسد طين الردغة ويضيع
ماء البحر لصرفت عنه وجهى فاذا كان اصحاب النظر واهل الديانة والفلسفة
هذه سيرتهم وهكذا ادبهم فاظنكم بمن لا يعدّ ما يعدّون ولا يبلغ من الادب
حيث يبلغون

﴿ قصة الكندىّ ﴾

حدثنى عمرو بن نهيوى قال كان الكندىّ لا يزال يقول للساكن وربما
قال للجار ان فى الدار امرأة بها حمل والوحمى ربما اسقطت من ريح القدر
الطيبة فاذا طبختم فردّوا شهوتها ولو بغرفة او لعقة فان النفس يردّها اليسير
فان لم تفعل ذلك بعد اعلامى اياك فكفارتك ان اسقطت غرّة عبد او امة
الزمت ذلك نفسك ام ابيت قال فكان ربما يوافى الى منزله من قصاع السكان
والجيران ما يكفيه الايام وان كان اكثرهم يفطن ويتغافل وكان الكندىّ

يقول لعياله انتم احسن حالا من ارباب هذه الضياع انما لكل بيت منهم لون واحد وعندكم الوان (قال) وكنت اتغدّى عنده يوما اذ دخل عليه جار له وكان الجار لى صديقا فلم يعرض عليه الغداء فاستحييت انا منه فقلت لو اصبت معنا مما نأكل قال قد والله فعلت قال الكندى ما بعد الله شيء قال فكتفه والله يا ابا عثمان كتفا لا يستطيع معه قبضا ولا بسطا وتركه ولو أكل لشهد عليه بالكفر ولكان عنده قد جعل مع الله شيئا قال عمرو بينا انا ذات يوم عنده اذ سمع صوت انقلاب جرة من الدار الاخرى فصاح اى قصاف فقالت مجيبة له بئر وحياتك فكانت الجارية فى الذكاء اكثر منه فى الاستقصاء قال معبد نزلنا دار الكندى اكثر من سنة نروج له الكراء ونقضي له الحوائج ونفى له بالشرط قلت قد فهمت ترويج الكراء وقضاء الحوائج فما معنى الوفاء بالشرط قال في شرطه على السكان ان يكون له روث الدابة وبعر الشاة ونشوار العلوفة وان لا يخرجوا عظما ولا يخرجوا كساحة وان يكون له نوى التمر وقشور الرمان والغرفة من كل قدر تطبخ للحبلى في بيته وكان فى ذلك يتنزل عليهم فكانوا لعابيه وافراط بخله وحسن حديثه يحتملون ذلك : قال معبد فبينا انا كذلك اذ قدم ابن عم لى ومعه ابن له اذا رقعة منه قد جاءتنى ان كان مقام هذين القادمين ليلة او ليلتين احتملنا ذلك وان كان اطماع السكان فى الليلة الواحدة يجر علينا الطمع في الليالى الكثيرة فكتبت اليه ليس مقامهما عندنا الا شهرا او نحوه فكتب الىّ انّ دارك بثلاثين درهما وانتم ستة لكل رأس خمسة فاذ قد زدت رجلين فلا بد من زيادة خمستين فالدار عليك من يومك هذا باربعين فكتبت اليه وما يضرك

من مقامهما وثقل ابدانهما على الارض التي تحمل الجبال وثقل مؤنتهما على دونك فاكتب الىّ بعذرك لاعرفه ولم ادر انى اهجم على ما هجمت وانى اقع منه فيما وقعت فكتب الىّ الخصال التي تدعو الى ذلك كثيرة وهي قائمة معروفة من ذلك سرعة امتلاء البالوعة وما في تنقيتها من شدة المؤنة ومن ذلك ان الاقدام اذا كثرت كثر المشي على ظهور السطوح المطينة وعلى ارض البيوت المجصصة والصعود على الدرج الكثيرة فينقشر لذلك الطين وينقلع الجص وينكسر العتب مع انثناء الاجذاع لكثرة الوطئ وتكسرها لفرط الثقل واذا كثر الدخول والخروج والفتح والاغلاق والاقفال وجذب الاقفال تهشمت الابواب وتقلعت الرزات واذا كثر الصبيان وتضاعف البؤس نزعت مسامير الابواب وقلعت كل ضبة ونزعت كل رزة وكسرت كل حوزة وحفر فيها آبار الددن وهشموا بلاطها بالمداحي هذا مع تخريب الحيطان بالاوتاد وخشب الرفوف واذا كثر العيال والزوار والضيفان والندماء احتيج من صب الماء واتخاذ الحبية القاطرة والجرار الراشحة الى اضعاف ما كانوا عليه فكم من حائط قد تأكل اسفله وتناثر اعلاه واسترخى اساسه وتداعى بنيانه من قطر حب ورشح جرّ ومن فضل ماء البئر ومن سوء التدبير وعلى قدر كثرتهم يحتاجون من الخبز والطبيخ ومن الوقود والتسخين والنار لا تبقي ولا تذر وانما الدور حطب لها وكل شئ فيها من متاع فهو اكل لها فكم من حريق قد اتى على أصل الغلة فكلفتم اهلها اغلظ النفقة وربما كان ذلك عند غاية العسرة وشدة الحال وربما عدت تلك الجناية الى دور الجيران والى مجاورة الابدان والاموال فلو ترك الناس حينئذ رب الدار وقدر بليته ومقدار

مصيبته لكان عسى ذلك ان يكون محتملا ولكنهم يتشاءمون به ولا يزالون يستثقلون ذكره ويكثرون من لائمته وتعنيفه نعم ثم يتخذون المطابخ في العلالي على ظهور السطوح وان كان في ارض الدار فضل وفي صحنها متسع مع ما في ذلك من الخطار بالانفس والتغرير بالاموال وتعرض الحرم ليلة الحريق لاهل الفساد وهجومهم مع ذلك على سر مكتوم وخبي مستور من ضيف مستخف ورب دار متوار ومن شراب مكروه ومن كتاب مهم ومن مال جم اريد دفنه فاعجل الحريق اهله عن ذلك فيه ومن حالات كثيرة وامور لا يحب الناس ان يعرفوا بها ثم لا ينصبون التنانير ولا يمكنون للقدور الا على متن السطح حيث ليس بينها وبين القصب والخشب الا الطين الرقيق والشيء لا يقي هذا مع خفة المؤنة في احكامها وامن القلوب من المتالف بسببها فان كنتم تقدمون على ذلك منا ومنكم وانتم ذاكرون فهذا عجب وان كنتم لم تحفلوا بما عليكم في اموالنا ونسيتم ما عليكم في اموالكم فهذا اعجب ثم ان كثيرا منكم يدافع بالكراء ويماطل بالاداء حتى اذا جمعت اشهر عليه فر وخلى اربابها جياعا يتندمون على ما كان من حسن تقاضيهم واحسانهم فكان جزاؤهم وشكرهم انقطاع حقوقهم والذهاب باقواتهم ويسكنها الساكن حين يسكنها وقد كسحناها ونظفناها لتحسن في عين المستأجر وليرغب فيها الناظر فاذا خرج ترك فيها مزبلة وخرابا لا تصلحه الا النفقة الموجعة ثم لا يدع مترسا الا سرقه ولا سلما الا حطمه ولا نقضا الا اخذه ولا برادة الا مضى بها معه ولا يدع دق الثوب والدق في الهاون والمنجان في ارض الدار ويدق على الاجذاع

والحواضن والرواشن وان كانت الدار مترمدة او بالآجر مفروشة وقد كان صاحبها جعل في ناحية منها صخرة ليكون الدق عليها ولتكون واقية دونها دعاهم التهاون والقسوة والغش والتسولة الى ان يدقوا حيث جلسوا والى ألا يحفلوا بما افسدوا لم يعط قط لذلك أرشا ولا استحل صاحب الدار ولا استغفر الله منه في السر ثم يستكثر من تنسه في السنة اخراج عشرة دراهم ولا يستكثر من رب الدار الف دينار في الشراء يذكر مايصير الينا مع قلته ولا يذكر ما يصير اليه مع كثرته هذا والايام التي تنقض المبرم وتبلي الجدة وتفرق الجمع المجتمع عاملة في الدور كما تعمل في الصخور وتاخذ من المنازل كما تاخذ من كل رطب ويابس وكما تجعل الرطب يابسا هشيما والهشيم مضمحلا ولانهدام المنازل غاية قريبة ومدة قصيرة . والساكن فيها هو كان المتمتع بها والمنتفع بمرافقها وهو الذى ابلى جدتها وتحلاها وبه هرمت وذهب عمرها لسوء تدبيره فاذا قسمنا الغرم عندانهدامها باعادتها وبعدا بتدائها وغرم مابين ذلك من مرمتها واصلاحها ثم قابلنا بذلك ما اخذنا من غلاتها وارتفقنا به من اكرائها خرج على المسكن من الخسران بقدر ما حصل الساكن من الربح الا ان الدراهم التي اخرجناها من النفقة كانت جملة والتي اخذناها على جهة الغلة جاءت متقطعة وهذا مع سوء القضاء والاحواج الى طول الاقتضاء ومع بغض الساكن للمسكن وحب المسكن للساكن لان المسكن يحب صحة بدن الساكن ونفاق سوقه ان كان تاجرا وتحرك صناعته ان كان صانعا ومحبة الساكن ان يشغل الله عنه المسكن كيف شاء ان شاء شغله بعينه وان شاء بزمانه وان شاء بحبس وان شاء بموت ومدار مناه ان

يشغل عنه ثم لا يبالي كيف كان ذلك الشغل الا انه كلما كان اشد كان احب اليه وكان اجدران يامن واخلق لان يسكن وعلى انه فترت سوقه او كسدت صناعته الح في طلب التخفيف من اصل الغلة والحطيطة مما حصل عليه من الاجرة وعلى انه ان اتاه الله بالارباح في تجارته والنفاق في صناعته لم يرق بزيد قيراطا في ضريبته ولا لئن يعجل فلسا قبل وقته ثم ان كانت الغلة صحاحا دفع اكثرها مقطعة وان كانت انصافا وارباعا دفعها قراضة منتنة ثم لا يدع مزيفا ولا مكحلا ولا زائفا ولا دينارا بهرجا الا دسه فيه ودلسه عليه واحتال بكل حيلة وتأتى له بكل سبب فان ردوا عليه بعد ذلك شيئا حلف بالغموس انه ليس من دراهمه ولا من ماله ولا رآه قط ولا كان في ملكه فان كان الرسول جارية رب الدار افسدها وربما احبلها وان كان غلاما خدعه وربما شطر به هذا مع الاشراف على الجيران والتعرض للجارات ومع اصطياد طيورهم وتمريضنا اشكايتهم وربما استضعف عقولهم وطمع في فسادهم وعيبهم فلا يزال يضرب لهم بالاسلاف ويغريهم بالشهوات ويفتح لهم ابوابا من النفقات ليغنيهم ويربح عليهم حتي اذا استوثق منهم اعجلهم وحزق بهم حتي يتقوه ببيع بعض الدار او باسترهان الجميع ليربح مع الذهاب بالاصل السلامة مع طول مقامه من الكراء وبما جعله بيعا في الظاهر ورهنا في الباطن فحينئذ يغفظ بهم دون المهلة ويدعيها قبل الوقت وربما بلغ من استضمانه واستثقاله لاداء الكراء ان يدعي ان له شقيصا وان له يدا ليصير خصما من الخصوم ومنازعا غير غاصب وربما اخذهم ومعه امرأة يفجر بها فيجعل استيجار البيوت وتصفح المنازل علة لدخولها والمقام ساعة فيها فاذا استقر

فى المنزل قضي حاجته منها ورد المفتاح وربما اكترى المنزل وفيه مرمة فاشترى بعض ما يصلحها ثم يتوخى عاملا جيد الكسوة وجيرانا اصحاب آنية وآلة فاذا شغل العامل وغفل اشتمل على كل ما قدر عليه وتركهم يتسكعون وربما استأجر الى جنب سجن لينقب اهله اليه والى جنب صراف لينقب عليه طلبا لطول الميلة والستر ولطول المدة المدة والا من وربما جنى الساكن ما يدعو الى هدم دار المسكن بان يقتل قتيلا أو يجرح شريفا فيأتي السلطان الدار واربابها اما غيب واما ايتام واما ضعفاء فلا يصنع شيئا دون ان يسويها بالارض وبعد فالدور ملقاة واربابها منكوبون وملقون وهم أشد الناس اغترارا بالناس وابعدهم غاية من سلامة الصدور وذلك ان من دفع داره ونقضها وساجها وابوابها مع حديدها وذهب سقوفها الى مجهول لا يعرف فقد وضعها فى مواضع الغرر وعلى عظم الخطر وقد صار فى معنى المودع وصار المكترى في موضع المودع ثم ليست الخيانة وسوء الولاية الي شئ من الودائع اسرع منها الى الدور وايضاً ان اصلح السكان حالا من اذا وجد فى الدار مرمة فوضوا اليه النفقة وان يكون ذلك محسوبا له عند الاهلة شغف فى البناء ويزيد فى الحساب فما ظنك بقوم هؤلاء اصلحهم وهم خيارهم وانتم أيضا انما اكتريتم مستغلات غيركم باكثر مما اكتريتموها منه فسيروا فينا كسيرتكم فيهم واعطونا من انفسكم مثل ماتريدونه منهم وربما بنيتم فى الارض فاذا صار البناء بنيانكم وان كانت الارض لغيركم ادعيتم الشركة وجعلتموه كالاجارة وحتي تصيروه كتلاد مال أو موروث سلف . وجرم آخر وهو انكم اهلكتم اصول أموالنا واخربتم غلاتنا

وحططتم بسوء معاملتكم اثمان دورنا ومستغلاتنا حتي سقطت غلات الدور من اعين المياسير واهل الثروة ومن اعين الدوام والحشوة وحتي يدافعوكم بكل حيلة وصرفوا اموالهم فى كل وجه وحتي قال عبيد الله بن الحسن قولا ارسله مثلا وعاد علينا حجة وضررا وذلك انه قال غلة الدار مسئلة وغلة النخل كفاف وانما الغلة غلة الزرع والنواتين وانما جرّ ذلك علينا حين اقتضائنا وصبرنا على سوء قضائكم وانتم تقطعونها علينا وهى عليكم بجملة وتلوونا بها وهى عليكم حالة فصارت لذلك غلات الدور وان كانت اكثر ثمنا ودخلا اقل ثمنًا واخبث أصلا من سائر الغلات وانتم شر علينا من الهند والروم ومن الترك والديلم اذ كنتم احضر اذى وادوم شرا ثم كانت هذه صفتكم وحليتكم ومعاملتكم فى شيء لابد لكم منه فكيف كنتم لو أمتحنتم بما لكم عنه مندوحة والوجود لكم فيه معرضة وانتم فيها بالخيار وليس عليكم طريق الاضطرار وهذا مع قولكم ان نزول دور الكراء اصوب من نزول دور الشراء وقلتم لان صاحب الشراء قد اغلق رهنه واشرط نفسه وصار بها ممتحنًا وبثمنها مرتهنا ومن اتخذ دارا فقد اقام كفيلا لايختار وزعيما لايغرم وان غاب عنها حن اليها وان اقام فيها الزمته المؤن وعرضته للفتن ان اساءوا جواره وانكر مكانه وبعد مصلاه ومات عنه سوقه وتفاوتت حوائجه ورأى انه قد اخطأ في اختيارها على سواها وانه لم يوفق لرشده حين آثره على غيره وان من كان كذلك فهو عبد داره وخول جاره وان صاحب الكراء الخيار فى يده والامر اليه فكل دار هى له متنزه ان شاء ومتجر ان شاء ومسكن ان شاء لم يحتمل فيها اليسير من الذل ولا القليل من الضيم ولايعرف الهوان

ولا يسام الخسف ولا يحترس من الحساد ولا يدارى المتعالين وصاحب الشراء يجرع المرار ويسقى بكاس الغيظ ويكد لطلب الحوائج ويحتمل الذلة وان كان ذا انفة ان عفا عفا على كظم ولا يوجه ذلك منه الا الى العجز وان رام المكافأة تعرض لاكثر مما انكره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق وزعمتم ان تسقط الكراء اهون اذ كان شيئاً بعد شئ وان الشدائد اذ وقعت جملة جاءت غامرة للقوة فاما اذا تقطع وتفرق فليس يكترث لها الا من يفقدها ويذكرها ومال الشراء يخرج جملة وثلمته فى المال واسعة وطعنته نافذة وليس كل خرق يرقع ولا كل خارج يرجع وانه قد أمن من الحرق والغرق وميل اسطوان وانقصاف سهم واسترخاء اساس وسقوط سترة وسوء جوار وحسد مشاكل وانه اما لا يزال في بلاء واما ان يكون متوقعا لبلاء وقلتم ان كان تاجراً فتصريف ثمن الدار فى وجوه التجارات اربح وتحويله فى اصناف البيعات اكيس وان لم يكن تاجراً ففى ما وصفناه له ناه وفيما عددنا له زاجر فلم يمنعكم حرمة المساكنة وحق المجاورة والحاجة الى السكنى وموافقة المنزل ان اشرتم على الناس بترك الشراء وفي كساد الدور فساد لاثمان الدور وجراءة للمستأجر واستحطاط من الغلة وخسران فى اصل المال وزعمتم انكم قد احسنتم الينا حين حثثتم الناس على الكراء لما في ذلك من الرخاء والنماء فانتم لم تريدوا نفعنا بترغيبهم فى الكراء بل انما اردتم ان تضرونا بتزهيدكم في الشراء وليس ينبغي ان يحكم على كل قوم الا بسبيلهم وبالذى يغلب عليهم من اعمالهم فهذه الخصال المذمومة كلها فيكم وكلها حجة عليكم وكلها داعية الى تهمتكم واخذ الحذر منكم واليست

له خصلة محمودة ولا خلة فيما بيننا وبينكم مرضية وقد اريناكم ان حكم النازلين كحكم المقيمين وان كل زيادة فلها نصيب من الغلة ولو تغافلت لك يا اخا اهل البصرة عن زيادة رجلين لم ابعدك على قدر ما رأيت منك ان تلزمني ذلك فيما يتبين حتى يصير كراء الواحد ككراء الالف وتصير الاقامة كالظعن والتفريغ كالشغل وعلى اني لو كنت امسكت عن تقاضيك وتغافلت عن تعريفك ما عليك لذهب الاحسان اليك باطلا ان كنت لا ترى للزيادة قدراً وقد قال الاول

والكفر مخبثة لنفس المنعم

وقال الآخر

تبدلت بالمعروف نكرا وربما تنكر للمعروف من كان يكفر انت تطالبني ببغض المعتزلة للشيعة وبما بين اهل الكوفة والبصرة وبالعداوة التي بين اسد وكندة وبما في قلب الساكن من استثقال المسكن وسيبين الله عليك والسلام قال اسماعيل بن غزوان لله در الكندي ما كان احكمه واحضر حجته وانصح جيبه وادوم طريقته رأيته وقد اقبل على جماعة ما فيها الا منسد او من يزين الفساد لاهله من شاعر يزيده ان الناس كلهم قد جازوا حد المسرفين الى حدود المجانين ومن صاحب تنقيع واستئكال ومن ملاق متقرب فقال تسمون من منع المال من وجوه الخطاء وحصنه خوفا من الغيلة وحفظه اشفاقا من الذلة بخيلا تريدون بذلك ذمه وشينه وتسمون من جهل فضل الغنى ولم يعرف ذلة الفقر واعطى في السرف وتهاون بالخطاء وابتذل النعمة واهان نفسه باكرام غيره جوادا تريدون بذلك حمده ومدحه فانهموا على

انفسكم من قدمكم على نفسه فان من اخطأ على نفسه فهو اجدر ان يخطئ
على غيره ومن اخطأ فى ظاهر دنياه وفيما يوجد في العين كان اجدر ان
يخطئ في باطن دينه وفيما يوجد بالعقل فهم من جمع صنوف الخطأ وذممتم
من جمع صنوف الصواب فاحذروهم كل الحذر ولا تأمنوهم على حال قال
اسماعيل وسمعت الكندى يقول انما المال لمن حفظه وانما الغنى لمن تمسك به
ولحفظ المال بنيت الحيطان وعلقت الابواب واتخذت الصناديق وعملت
الاقفال ونقشت الرسوم والخواتيم ويعلم الحساب والكتاب فلم يتخذون
هذه الوقايات دون المال وانتم آفته وانتم سوسه وقارحه وقد قال الاول احرس
اخاك الا من نفسه ولكن احسب انك قد اخذته فى الجواسق واودعته
الصخور ولم يشعر به صديق ولا رسول ولا معين من لك بان لا تكون
اشد عليه من السارق واعدى عليه من الغاصب واجعلك قد حصنته من كل
يد لا تملكه كيف لك من ان تحصنه من اليد التي تملكه وهى عليه اقدر
ودواعيها اكثر وقد علمنا ان حفظ المال اشد من جمعه وهل اتى الناس الا
من انفسهم ثم ثقاتهم والمال لمن حفظه والحسرة لمن اتلفه وانفاقه هو اتلافه
وان حسنتموه بهذا الاسم وزينتموه بهذا اللقب وزعمتم انا سمينا البخل
صلاحا والشح اقتصادا كما سمي قوم الهزيمة انحيازا والبذاء عارضة والعزل
عن الولاية صرفا والجائر على اهل الخراج مستقصيا بل انتم الذين سميتم
السرف جودا والنفخ اريحية وسوء نظر المرء لنفسه ولعقبه كرماً . قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدأ بمن تعول وانت تريد ان تغنى عيال
غيرك بافقار عيالك وتسعد الغريب بشقوة القريب وتتفضل على من لا يعدل

عنك ومن لو اعطيته ابداً لاخذ ابداً قد علمتم مذقال صاحبنا لاخي تغلب فانه قال يا أخا تغلب انى والله كنت اجرى ماجرى هذا الغيل وأجرى وقد انقطع النيل انى والله لو اعطيتك لما وصلت اليك حتى اتجاوز من هو احق بذلك منك انى لو امكنت الناس من مالي لنزعوا دارى طوبة طوبة انه والله مابقى معى منه الا مامنعته الناس ولكني اقول والله ان لو امكنت الناس من نفسي لادعوا رقى بعد سلب نعمتي. قال اسماعيل وسمعته يقول عجبت لمن قلت دراهمه كيف ينام ولكن لا يستوى من لم ينم سرورا ومن لم ينم غما. ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وصية المرء يوم فقره وحاجته وقبل ان يفرغ الثلث والثلث كثير فاستحسنت الفقهاء وتمنى الصالحون ان تنقص من الثلث شيئاً لاستكثار رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلث ولقوله انك ان تدع عيالك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرحم عيالنا الا بفضل رحمته لنا فكيف تأمرونى ان أوثر انفسكم على نفسي واقدم عيالكم على عيالى وان اعتقد الثناء بدلا من الغنى وان اكنز الريح واصطنع السراب بدلا من الذهب والفضة. قال اسماعيل وسمعته يقول لعياله واصحابه اصبروا عن الرطب عند ابتدائه واوائله وعن باكورات الفاكهة فان للنفس عند كل طارف نزوة وعند كل هاجم نزوة وللقادم حلاوة وفرحة وللجديد بشاشة وغرة فانك متى رددتها ارتدت ومتى ردعتها ارتدعت والنفس عزوف وتهور الوف وما حملتها احتملت وان اهملتها فسدت فان لم تكف جميع دواعيها وتحسم جميع خواطرها في أول ردة صارت اقل عدداً واضعف قوة فاذا أثر ذلك فيها فعظها فى تلك الباكورة بالغلاء والقلة فان ذكر الغلاء والقلة حجة

صحيحة وعلة عاملة في الطبيعة فاذا اجابتك في الباكورة فسمها مثل ذلك في اوائل كثرتها واضرب نقصان الشهوة ونقصان قوة الغلبة بمقدار ماحدث لها من الرخص والكثرة فاست تاتي على هذا الحساب من معالجة الشهوة عندك الا مثل مالقيت منها في نومك حتي تنقضى أيام الفاكهة وانت على مثل ابتداء حالك وعلى أوّل مجاهدتك لشهوتك ومتي لم تعمّ أيضاً الشهوة فتنة والهوى عدوا اغتررت بهما وضمنت عنهما وائتمنتهما على نفسك وهما اخضر عدوّ وشرّ دخيل فاضمنوا لي الثروة الاولي اضمن لكم تمام الصبر وعاقبة اليسر وثبات العز في قلوبكم والغنى في اعقابكم ودوام تعظيم الناس لكم فانه لو لم يكن من منفعة الغنى الا انك لا تزال معظما عند من لم ينل منك قط درهما لكان التفضل في ذلك بيناً والربح ظاهراً ولو لم يكن من بركة الثروة ومن منفعة اليسر الا ان رب المال الكثير لواتصل بملك كبير في جلسائه من هو اوجب حرمة واقدم صحبة واصدق محبة وامتع امتاعا واكثر فائدة وصوابا الاانه خفيف الحال قليل ذات اليد ثم اراد ذلك الملك ان يقسم مالا او يوزع بينهم طرفا لجعل حظ الموسر اكثر وان كان في كل شئ دون اصحابه وحظ المخف اقل وان كان في كل شئ فوق اصحابه قد ذكرنا رسالة سهل بن هارون ومذهب الحزامى وقصص الكندىّ واحاديث الحارثيّ واحتجاجاتهم وطرائف نحلهم وبدائع حيلهم

﴿ قصة محمد بن ابى المؤمل ﴾

قلت لمحمد بن ابى المؤمل اراك تطعم الطعام وتتخذه وتنفق المال تجود به وليس بين قلة الخبز وكثرته كثير ربح والناس يبخلون من قلّ عدد

خبزه ورأوا ارض خوانه وعلى انى ارى جماجم من يأكل معك اكثر من
عدد خبزك وانت لو لم تتكلف ولم تحمل على مالك باجادته والتكثير منه ثم
اكلت وحدك لم يلمك الناس ولم يكترثوا لذلك منك ولم يقضوا عليك بالبخل
ولا بالسخاء وعشت سليما موفوراً وكنت كواحد من عرض الناس وانت لو
لم تنفق الحرائب وتبذل المصون الا وانت راغب فى الذكر والشكر والا
لتخزن الاجر فقد صرنا لقلة عدد خبزك من بين الاشياء نرضى لك من
الغنيمة بالاياب ومن غنم الحمد والشكر بالسلامة من الذم واللوم فزد في عدد
خبزك شيئاً فان بتلك الزيادة القليلة ينقلب ذلك اللوم شكرا وذلك الذم حمداً
اعلمت انك لست تخرج من هذا الامر بعد الكلفة العظيمة سالما لا لك ولا
عليك فانظر فى هذا الامر رحمك الله قال يا اباعثمان انت تخطئ وخطأ العاقل
ابداً يكون عظيما وان كان في العذر قليلا لانه اذا اخطأ اخطأ بثقة واحكام
فعلى قدر التفكر والتكلف يبعد من الرشاد ويذهب عن سبيل الصواب
وما اشك انك قد نصحت بمبلغ الرأى منك ولكن خف ما خوفتك وانه
مخوف بل الذى اصنع ادل على سخاء النفس بالمأكول وادل على الاحتيال
ليبالغوا لان الخبز اذا كثر على الموائد ورث ذلك النفس صدوداً ولان كل
شئ من المأكول وغير المأكول اذا ملأ العين ملأ الصدر وفى ذلك
موت الشهوة وتسكين الحركة ولو ان رجلا جلس على بيدر تمر فائق وعلى
كدس كمثرى منعوت وعلى مائة قنو موز موصوف لم يكن اكله الا على
قدر استطرافه ولم يكن أكله الا على قدر اكله اذا أتى بذلك فى طبق نظيف
مع خادم نظيف عليه منديل نظيف وبعد فاصحابنا آنسون واثقون مسترسلون

يعلمون ان الطعام لهم اتخذ وان اكلهم له اوفق من تمزيق الخدم والاتباع
له ولو احتاجوا لدعوا به ولم يحتشموا منه ولكان الاقل منهم أن يجربوا
ذلك المرة والمرتين وان لا يقضوا علينا بالبخل دون ان يروه فان كانوا
محتشمين وقد بسطناهم وساء ظنهم بنا مع ما يرون من الكلفة لهم فهؤلاء
اصحاب تجنّ وتسرع ولبس في طاقتي اعتاب المتجنى ولا رد المتسرع قلت
له انى قد رأيت اكلهم في منازلهم وعند اخوانهم وفي حالات كثيرة ومواضع
مختلفة ورأيت اكلهم عندك فرأيت شيئاً متفاوتا وامراً متفاقماً فاحسب ان
البخل عليهم غالب وان الضعف لهم شامل وان سوء الظن يسرع اليهم خاصة
ثم لا تداوى هذا الامر بما لا مؤنة فيه وبالشيء الذى لا قدر له او تدع
دعاءهم والارسال اليهم والحرص على اجابتهم والقوم ليس يلقون انفسهم
عليك وانما يجيؤنك بالاستحباب منك فان احببت ان تمتحن ما اقول فدع
مؤامرة الرسل والكتب والتغضب عليهم اذا ابطؤا ثم انظر قال فان الخبز
اذا كثر على الخوان فالفاضل مما يأكلون لا يسلم من التلطخ والتغمير والجردقة
الغمرة والرقاقة المتلطخة لا اقدر ان انظر اليها واستحي ايضاً من اعادتها
فيذهب ذلك الفضل باطلا والله لا يحب الباطل قلت فان ناساً يأمرون بمسحه
ويجعلون الثريدة منه فلو أخذت بزيهم وسلكت سبيلهم اتى ذلك لك على
ما تريد ونريد قال افلست اعلم كيف الثريدة ومن اى شيء هى وكيف أمنع
نفسي التوهم واحول بينهم وبين التذكير ولعل القوم ان يعرفوا ذلك على
طول الايام فيكون هذا قبيحاً قلت فتأمر به للعيال فتقوم الحوارى المتلطخ
مقام الخشكار النظيف وعلى أن المسح والمداك يأتى على ما تعلق به الدسم قال

عيالي يرحمك الله عيالان واحد اعظمه عن هـذا وارفعه عنـه وآخر لم يبلغ
عندى ان يترف بالحوارى قلت فاجعل اذاً جميع خبزك الخشكار فان فضل
مابينه وبين الحوارى فى الحسن والطيب لا يقوم بفضل ما بين الحمد والذم
قال فواهنا رأى هو اعدل الامور واقصدها وهو انا نحضر هذه الزيادة من
الخبز على طبق ويكون قريبا حيث تناله اليد فلا يحتاج أحد مع قربه منه الى
ان يدعو به ويكون قربه من يده كثرة على مائدته قلت فالمانع من طلبه هو
المانع من تحويله فاطعني واخرج هذه الزيادة من مالك كيف شئت واعلم ان
هذه المقايسـة وطول هذه المذاكرة اضر علينا مما نهيتك عنه واردتك على
خلافه فلما حضر وقت الغداء صوت بغلامه وكان ضخماً جهـير الصوت
صاحب تقعير وتفخيم وتشديق وهمز وجزم يامبشر هات من الخبز تمام
عدد الرؤس ومن فرض لهم هـذه الفريضة ومن جزم عليهم هـذا الجزم
ارأيت ان لم يشبع أحدهم رغيفه اليس لا بد له من أن يعول على رغيف
صاحبه أو يتنحى وعليه بقية ويعلق يده منتظرا للعادة فقد عاد الامر وبطل
ماتناظرنا فيه قال لا أعلم الا ترك الطعام البتة اهون علينا من هذه الخصومة
قلت هذا ما لا شك فيه وقد عادت عندى بالصواب واخذت لنفسك بالثقة
ان وفيت بهذا القول. وكان اكثر ما يقول ياغلام هات شيئاً من قلية وأقل
منها وأعد لنا ماء بارداوا كثر منه وكان يقول قد تغير كل شئ من أمر الدنيا
وحال عن امره وتبدل حتي المؤاكلة قاتل الله رجالا كنا نؤاكلهم ما رأيت
قصعة قط رفعت من بين ايديهم الا وفيها فضل وكانوا يعدون ان احضار
لحدى انما هـو شيء من آئين الموائد الرفيعة وانما جعل كالعاقبة والخاتمة

وكالعلامة لليسر والفراغ وانه لم يحضر للتمزيق والتخريب وان اهله لو ارادوا
به السوء لقدموه قبل كل شيء لتقع الحدة به بل ما أكل منه اذا جيء به
الا العابث والا الذى لو لم يره لقد كان رفع يده ولم ينتظر غيره ولذلك قال ابو
الحارث جمين حين رآه لا يمس هذا المدفوع عنه ولو لا انه على ذلك شاهد
الناس لما قال ما قال ولقد كانوا يتحامون بيضة البقيلة ويدعها كل واحد منهم
لصاحبه حتى أن القصعة لقد كانت ترفع وان البيض خاصة لعلى حاله وانت
اليوم اذا اردت ان تمتع عينك بنظارة واحدة منها ومن بيض السلافة لم تقدر
على ذلك لا جرم لقد كان تركه ناس كثير مابهم الا ان يكونوا شركاء من
ساءت رعته . وكان يقول الآدام اعداء للخبز واعداها له المالح فلو لا ان
الله انتقم منه واعان عليه بطلب صاحبه الماء واكثاره منه لظننت انه سيأتى
على الحرث والنسل وكان مع هذا يقول لو شرب الناس الماء على الطعام
ما اتخموا واقلهم عليه شربا اكثرهم عنه تخما وذلك ان الرجل لا يدرف
مقدار ما أكل حتى ينال من الماء وربما كان شبعان وهو لا يدرى فاذا ازداد
على مقدار الحاجة بشم واذا نال من الماء شيئا بعد شيء عرفه ذلك مقدار
الحاجات فلم يزد الا بقدر المصلحة والاطباء يعلمون ما اقول حقا ولكنهم
يعلمون انهم لو اخذوا بهذا الرأى لتعطلوا ولذهب المكسب وما حاجة
الناس الى المعالجين اذا صحت ابدانهم وفى قول جميع الناس ان ماء دجلة
امرأ من الفرات وان ماء مهران امرأ من ماء نهر بلخ وفي قول العرب
هذا ماء نمير يصلح عليه المال دليل على ان الماء يمرئ حتى قالوا ان الماء الذى
يكون عليه النفاطات امرأ من الماء الذى يكون عليه العمارات فعليكم بشرب

الماء على الغداء فان ذلك امرأ وكان يقول ما بال الرجل اذا قال ياغلام اسقنى ماء او اسق فلانا ماء اتاه بقلة على قدر الرى فاذا قال اطعمنى شيئاً أو قال هات لفلان طعاما اتاه من الخبز بما يفضل عن الجماعة والطعام والشراب اخوان متحالفان ومتوازران وكان يقول لولا رخص الماء وغلاء الخبز لما كلبوا على الخبز وزهدوا في الماء والناس اشد شئ تعظيما للمأكول اذا كثر ثمنه أوكان قليلا فى أصل منبته وموضع عنصره هذا الجزر الصافى وهذا الباقلى الاخضر العباسي اطيب من كمثرى خراسان ومن الموز البستانى ولكنهم لقصر همتهم لا يتشهون الا على قدر الثمن ولا يحنون الى الشئ الا على قدر القلة وهذه العوام فى شهوات الاطعمة انما تذهب مع التقليد او مع العادة او على قدر مايعظم عندها من شان الطعام وانا لست اطعم الجزر المسلوق بالخل والزيت والمرى دون الكماة بالزبد والفلفل لمكان الرخص او لموضع الاستفضال ولكن لمكان طيبه في الحقيقة ولانه مالح الطبيعة علم ذلك من علم وجهل ذلك من جهل وكان اذا كان في منزله فربما دخل عليه الصديق له وقد كان تقدمه الزائر اوالزائران وكان يستعمل على خوانه من الخدع والمكائد والتدبير مالم يبلغ بعضه قيس بن زهير والمهلب بن ابى صفرة وخازم بن ابى خزيمة وهرثمة بن اعين وكان عنده فيه من الاحتيال مالا يعرفه عمرو بن العاص ولا المغيرة بن شعبة وكان كثيرا ماتمسك الخلال بيده ليوئيس الداخل عليه من غدائه فاذا دخل عليه الصديق له وقد عزم على اطعام الزائر والزائرين قبله وضاق صدره بالثالث وان كان قد دعاه وطلب اليه اراد ان يحتال له او الزائر ان اتى كل واحد منهما بصاحبه فيقول عند اول دخوله

وخلع نعله وهو رافع صوته بالتنويه وبالتشنيع هات يامبشر لفلان شيئاً يطعم منه هات له شيئاً ينال منه هات له شيئاً اتكالا على خجله او غضبه او انفته وطمعا فى ان يقول قد فعلت فان اخطأ ذلك الشقى وضعف قلبه وحصر وقال قد فعلت وعلم انه قد احرزه وحصله والقاه وراء ظهره ولم يرض ايضا بذلك حتي يقول باى شئ تغديت فلا بد له من ان يكذب او ينتحل المعاريض فاذا استوثق منه رباطاً وتركه لا يستطيع ان يترمرم لم يرض بذلك حتي يقول فى حديث له كنا عند فلان فدخل عليه فلان فدعاه الى غدائه فامتنع ثم بدا له فقال فى طعامكم بقيلة انتم تجيدونها ثم تناوله فلا يزال يزيد فى وثاقه وفي سد الابواب عليه وفي منعه البدوات حتي اذا بلغ الغاية قال يامبشر اما اذا تغدى فلان واكتفى فهات لنا شيئاً نعبث به فاذا وضعوا الطعام اقبل على اشدهم حياء او على اشدهم اكلا فسأله عن حديث حسن اوعن خبر طويل ولا يسأله الا عن حديث يحتاج فيه الى الاشارة باليد او الرأس كل ذلك ليشغله فاذا هم اكلوا صدرا اظهر الفتور والتشاغل والتنقر كالشبعان الممتلئ وهو فى ذلك غير رافع يده ولا قاطع اكله انما هو النتف بعد النتف وتعليق اليد فى خلل ذلك فلا بد من ان ينقبض بعضهم ويرفع يده ويتشامل ذلك جماعتهم فاذا علم انه قد احرزهم واحتال لهم حتي يتمهم من مواضعهم من حوال الخوان ويديدهم الى مواضعهم من مجالسهم ابتدأ الاكل فأكل اكل الجائع المقرور وقال انما الاكل تارات والشرب تارات وكان كثيرا ما يقول لاصحابه اذا بكروا عليه لم لا تشرب اقداحا على الريق فانها تقتل الديدان وتحفش لا نفسنا قليلا فانها تأتى على جميع الفضول وتشهى الطعام بعد ساعة

وسكره اطيب من سكر الكظة والشراب على المليلة بلاء وهو بعد ذلك دليل على ان نبيذى خالص ومن لم يشرب على الريق فهو نكس في الفتوة ودعيّ في اصحاب النبيذ وانما يخاف على كبده من سورة الشراب على الريق من بعد عهده باللحم وهذه الصبحة تغسل عنكم الاوضار وتنفي النخم وليس دواء الخمار الا الشرب بالكبار والاعشى كان اعلم به حيث يقول

وكاس شربت على لذة   وأخرى تداويت منها بها

وهذا حفظك الله هو اليوم الذى كانوا لا يعاينون فيه لقمة واحدة ولا يدخل اجوافهم من النقل ما يزن خردلة وهو يوم سروره التام لانه قد ربح المرزئة وتمتع بالمنادمة واشترى مرة شبوطة وهو ببغداد واخذها فائقة عظيمة وغالى بها وارتفع في ثمنها وكان قد بعد عهده باكل السمك وهو بصرى لا يصبر عنه فكان قد اكبر امر هذه السمكة لكثرة ثمنها ولسمنها وعظمها ولشدة شهوته لها فحين ظن عند نفسه انه قد خلا بها وتفرد باطايبها وحسر عن ذراعيه وصمد صمدها هجمت عليه ومعي السدرى فلما رآه رأى الموت الاحمر والطاعون الجارف وراى الحتم المقضى ورأى قاصمة الظهر وايقن بالشر وعلم انه قد ابتلى بالتنين فلم يلبثه السدرى حتي تور السرة بالمبال فاقبل عليّ فقال لى ياابا عثمان السدرى يعجبه السرر فا فصلت الكلمة من فيه حتي قبض على القفا فانتزع الجانبين جيما فاقبل عليّ فقال والسدرى يعجبه الاقفاء فا فرغ من كلامه الا والسدرى قد اجترف المتن كله فقال ياابا عثمان والسدرى يعجبه المتون ولم يظن ان السدرى يعرف فضيلة ذنب الشبوط وعذوبة لحمه وظن انه سيسلم له وظن معرفة ذلك من الغامض فلم يدر الا والسدري قد

اكتسح ما على الوجهين جميعا ولولا ان السدري ابطره واثقله واكده وملأ صدره وملاءه غيظا لقد كان ادرك معه طرفا لانه كان من الأكلة ولكن الغيظ كان من اعوان السدري عليه فاما اكل السدري جميع اطايبها وبقي هو في النظارة ولم يبق في يده مما كان يأمله في تلك السمكة الا الغيظ الشديد والغرم الثقيل ظن ان في سائر السمكة مايشبعه ويشفي من قرمه فبذلك كان عزاؤه وذلك هو الذي كان يمسك بارماقه وحشاشات نفسه فلما رأى السدري يفري الفري ويلتهم التهاما قال يا ابا عثمان السدري يعجبه كل شيء فتولد الغيظ في جوفه واقلقته الرعدة فخبثت نفسه فما زال يقيء ويسلح ثم ركبته الحمى وصحت توبته وتم عزمه في ان لا يؤاكل رغيبا ابدا ولا زهيدا ولا يشتري سمكة ابدا رخيصة ولا غالية وان اهدوها اليه ان لا يقبلها وان وجدها مطروحة لا يمسها فهذا ما كان حضرني من حديث ابن ابي المؤمل وقدمات عفا الله عنا وعنه

﴿ قصة اسد بن جاني ﴾

فاما اسد بن جاني فكان يجمل سريره في الشتاء من قصب مقشر لان البراغيث تزلق عن ليط القصب لفرط لينه وملاسته وكان اذا دخل الصيف وحرّ عليه بيته فأثاره حتى يغرق المسحاة ثم يصب عليه جرارا كثيرة من ماء البئر ويتوطا حتى يستوي فلا يزال ذلك البيت باردا مادام نديا فاذا امتد به الندى ودام برده بدوامه اكتفى بذلك التبريد صيفته وان جف قبل انقضاء الصيف وعاد عليه الحر عاد عليه بالاثارة والصب وكان يقول خيشتي ارض وماء خيشتي من بئري وبيتي ابرد ومؤنتي اخف وانا افضلهم ايضا بفضل

الحكمة وجودة الآلة وكان طبيبا فاكسد مرة فقال له قائل السنة وبئة والامراض فاشية وانت عالم ولك صبر وخدمة ولك بيان ومعرفة فمن اين تؤتى فى هذا الكساد قال اما واحدة فانى عندهم مسلم وقد اعتقد القوم قبل ان اتطبب لابل قبل ان اخلق ان المسلمين لا يفلحون فى الطب واسمى اسد وكان ينبغى ان يكون اسمي صليبا ومرايل ويوحنا وبيرا وكنيتي ابو الحارث وكان ينبغى ان تكون ابو عيسى وابو زكريا وابو ابراهيم وعلى رداء قطن ابيض وكان ينبغى ان يكون رداء حرير اسود ولفظى لفظ عربى وكان ينبغى ان تكون لغتي لغة اهل جندى سابور قال الخليل السلولىّ اقبل على يوما الثورى وكان يملك خمسمائة جريب مابين كرسى الصدقة الى نهر مرة ولا يشترى الا كل غرة وكل ارض مشهورة بكريم التربة وشرف الموضع والغلة الكثيرة قال فاقبل علىّ يوما فقال لي هل اصطبغت بماء الزيتون قط قال قلت لا والله قال اما والله لو فعلته مانسيته قال قلت اجل انى والله لو فعلته لمانسيته وكان يقول لعياله لاتلقوا نوى التمر والرطب وتعودوا ابتلاعه وخذوا حلوقكم بتسويغه فان النوى تعقد الشحم فى البطن وتدفىء الكليتين بذلك الشحم واعتبروا ذلك ببطون الصفايا وجميع مايعتلف النوى والله لو حملتم انفسكم على البزر والنوى وعلى قضم الشعير واعتلاف القت لوجدتموها سريعة القبول وقد يأكل الناس القت قداحا والشعير فريكا ونوى البسر الاخضر ونوى العجوة فانما بقيت الآن عليكم عقبة واحدة لو رغبتم فى الدفأ لاتستم الشحم وكيف لا تطلبون شيئاً يغنيكم عن دخان الوقود وعن شناعة العسكر وعن ثقل الغرم والشحم يفرّج القلب ويبيض الوجه والنار تسوّد الوجه انا اقدر ان ابتلع النوى

واعلنه النساء ولكنى اقول ذلك بالنظر منى لكم. وكان يقول كلوا الباقلى بقشوره فان الباقلى يقول من اكلنى بقشورى فقد اكلنى ومن اكلنى بغير قشورى فانا الذى آكله فما حاجتكم الى ان تصيروا طعاما لطعامكم واكلا لما جعل اكلا لكم. وكان يمين مالا عظيما ولم يكن له وارث فكان يسخر ببعضهم فيقول عند الاشهاد قد علمتم انه لا وارث لى فاذا مت فهذا المال لفلان فكان قوم كثير يحرصون على مبايته لهذا وقد رأيته انا زمانا من الدهر ما رأيته قط الا ونعله فى يده أو يمشى طول نهاره فى نعل مقطوعة العقب شديدة على صاحبها قال فهو ذا المجوس يرتعون البصرة وبغداد وفارس والاهواز والدنيا كلها بنعال سندية فقيل له ان المجوسى لا يستحل فى دينه المشركة فانت لا تجده ابداً الا حافياً او لابساً نعلا سندية وانت مسلم ومالك كثير قال فمن كان ماله كثير فلا بد له من ان يفتح كيسه للنفقات وللسراق قالوا فليس بين هاتين منزلة . (قال) الخليل جاس الثورى الى حلقة المصلحين فى المسجد فسمع رجلا من مياسيرهم يقول بطنوا كل شئ لكم فانه ابقى ولامر جعل الله دار الآخرة باقية ودار الدنيا فانية ثم قال ربما رأيت المبطنة الواحدة تقطع اربعة اقمصة والعمامة الواحدة تقطع اربعة أزر ليس ذلك الا لتعاون الطى وترافد الاثناء فبطنوا البوارى وبطنوا الحصر وبطنوا البسط وبطنوا الغداء بشربة باردة (قال) فقال له الثورى لم افهم ما قلت الا هذا الحرف وحده قال الخليل حم الثورى وحم عياله وخادمه فلم يقدروا مع شدة الحمى على اكل الخبز فربح كيلة تلك الايام من الدقيق ففرح بذلك وقال لو كان منزلى سوق الاهواز او نطاة خيبر او وادى الجحفة لرجوت ان استفضل

كل سنة مائة دينار فكان لا يبالي ان يحم هو واهله ابداً بعد ان يستفضل
كفايتهم من الدقيق وكان يقول اذا رأيت الرجل يشترى الجدى رحمته
فان رأيته يشترى الدجاج حقرته فان رأيته يشترى الدراج لم ابايعه ولم
اكلمه وانه قال أول الاصلاح وهو من الواجب حصف النعل واستجادة
الطراق وتشحيمها في كل الايام وعقد ذؤابة الشراك من زى النساك لكيلا
يطأ عليه انسان فيقطعه ومن الاصلاح الواجب قلب خرقة القلنسوة اذا
اتسخت وغسلها من اتساخها بعد القلب واجعلها حبرة فانها مماله مرجوع
ومن ذلك اتخاذ قميص الصيف جبة في الشتاء واتخاذ الشاة اللبون اذا كان عندك
حمار واتخاذ الحمار الجامع خير من غلة الف دينار لانه لرحلك وبه يدرك
البعيد من حوائجك وعليه يطحن فتستفضل عليه ما يربحه عليك الطحان وينقل
عليه حوائجه وحوائجك حتى الحطب ويستقى عليه الماء وهذه كلها مؤن اذا
اجتمعت كانت في السنة مالاً كثيرا ثم قال اشهد ان الرفق يمن وان الخرق
شؤم واشتريت ملاءة مذارية فلبستها ما شاء الله رداء وملحفة ثم احتجت
الى طيلسان فقطعتها يعلم الله فلبسته ما شاء الله ثم احتجت الى جبة فجعلته
يعلم الله ظهارة جبة محشوة فلبستها ما شاء الله ثم اخرجت ما كان فيها من
الصحيح فجعلته مخادا وجعلت قطنها للقناديل ثم جعلت ما دون خرق المخاد
للقلانس ثم عمدت الى اصح ما بقى فبعته من اصحاب الصينيات والصلاحيات
وجعلت ما لا رقعة له ممحاة لي وللجارية اذا نحن قضينا حاجة الرجال والنساء
وجعلت السقاطات وما قد صار كالخيوط وكالقطن المندوف صماماً لرؤس
القوارير وقد رأيته وسمعت منه في البخل كلاماً كثيرا وكان من البصريين

ينزل في بغداد مسجد ابن رغبان ولم ار شيخاً ذا ثروة اجتمع عنده واليه من البخلاء ما اجتمع له منهم اسماعيل بن غزوان وجعفر بن سعيد وخاقان بن صبيح وابو يعقوب الاعور وعبد الله العروضي والحزامي عبد الله بن كاسب وابو عبد الرحمن هذا شديد البخل شديد العارضة عضب اللسان وكان يحتج للبخل ويوصي به ويدعو اليه وما علمت ان احدا جرّد في ذلك كتاباً الا سهل بن هارون وابو عبد الرحمن هذا هو الذي قال لابنه اى بني ان اتفاق القراريط يفتح عليك ابواب الدوانيق واتفاق الدوانيق يفتح عليك ابواب الدراهم واتفاق الدراهم يفتح عليك ابواب الدنانير والعشرات تفتح عليك ابواب المئين والمئون تفتح عليك ابواب الالوف حتي يأتى ذلك على الفرع والاصل ويطمس على العين والاثر ويحتمل القليل والكثير اى بني انما صار تأويل الدرهم دار الهم وتأويل الدينار يدنى الى النار الدرهم اذا خرج الى غير خلف والى غير بدل دار الهم على دوانق مخرجة وقيل ان الدينار يدنى الى النار لانه اذا انفقته في غير خلف واخرج الى غير بدل بقيت مخفقاً معدماً وفقيرا مبلطاً فيخرج الخارج ويدعوه الضرورة الى المكاسب الردية والطعم الخبيثة والخبيث من الكسب يسقط العدالة ويذهب بالمروءة ويوجب الحد ويدخل النار وهذا التأويل الذى تأوله للدرهم والدينار ليس له انما هذا شيء كان يتكلم به عبد الاعلى القاص فكان عبد الاعلى اذا قيل له لم سمي الكلب قلطيا قال لانه قل ولطى واذا قيل له لم سمي الكلب سلوقيا قال لانه يستل ويلقى واذا قيل له لم سمي العصفور عصفورا قال لانه عصي وفر وعبد الاعلى هذا هو الذى كان يقول في قصصه الفقير ردوءه علقة ومرقته

سلبة وجرذقته فلقة وسكته سلتة في طيب له كثير وبعض المفسرين يزعم ان نوح النبي عليه السلام انما سمى نوحا لانه كان ينوح على نفسه وان آدم انما سمى آدم لانه حذى من اديم الارض وقالوا كان لونه فى ادمة لون الارض وان المسيح انما سمى المسيح لانه مسح بدهن البركة وقال بعضهم لانه كان لا يقيم فى البلد الواحد وكان كانه ماسح يمسح الارض ثم رجع الحديث الي اعاجيب ابى عبد الرحمن وكان ابو عبد الرحمن يعجب بالرؤس ويحمدها ويصفها وكان لا ياكل اللحم الا يوم اضحي او من بقية اضحيته او يكون في عرس او دعوة او سفرة وكان سمى الرأس عرسا لما يجتمع فيه من الالوان الطيبه وكان يسميه مرة الجامع ومرة الكامل وكان يقول الراس شئ واحد وهو ذو الوان عجيبة وطعوم مختلفة وكل قدر وكل شواء فانما هو شئ واحد والراس فيه الدماغ فطعم الدماغ على حدة وفيه العينان وطعمهما شئ على حدة وفيه الشحمة التي بين اصل الاذن ومؤخر العين وطعمها على حدة على ان هذه الشحمة خاصة اطيب من المخ وانعم من الزبد وادسم من السلاء وفى الراس اللسان وطعمه شئ على حدة وفيه الخيشوم والغضروف الذى فى الخيشوم وطعمهما شئ على حدة وفيه لحم الخدين وطعمه شئ على حدة حتي يقسم اسقاطه الباقية ويقول الرأس سيد البدن وفيه الدماغ وهو معدن العقل ومنه يتفرق العصب الذى فيه الحس وبه قوام البدن وانما القلب باب العقل كما ان النفس هى المدركة والعين هى باب الالوان والنفس هى السامعة الذائقة وانما الانف والاذن بابان ولولا أن العقل فى الرأس لما ذهب العقل من الضربة تصيبه وفي الرأس الحواس الخمس وكان ينشد قول الشاعر

اذا ضربوا رأسي وفي الرأس أكثري

وغودر عند الملتقى ثم سائري

وكان يقول الناس لم يقولوا هذا رأس الامر وفلان رأس الكتيبة وهو رأس القوم وهم رؤس الناس وخراطيمهم وانفهم واشتقوا من الرأس الرياسة والرئيس وقد رأس القوم فلان الا والرأس هو المثل وهو المقدم وكان اذا فرغ من اكل الرأس عمد الى القحف والى الجبين فوضعه بقرب بيوت النمل والذر فاذا اجتمعت فيه اخذه فنفضه فى طست فيها ماء فلا يزال يعيد ذلك فى تلك المواضع حتي يقع اصل النمل والذر من داره فاذا فرغ من ذلك القاه فى الحطب ليوقد به سائر الحطب وكان اذا كان يوم الرؤس اقعد ابنه معه على الخوان الا ان ذلك بعد تشرط طويل وبعد ان يقف به على مايريده وكان فيما يقول له اياك ونهم الصبيان وشره الزراع واخلاق النوائح ودع عنك خبط الملاحين والفعلة ونهش الاعراب والمهنة وكل مابين يديك فانما حظك الذى وقع لك وصار اقرب اليك واعلم انه اذا كان فى الطعام شئ طريف ولقمة كريمة ومضغة شهية فانما ذلك للشيخ المعظم والصبي المدلل ولست واحدا منهما فانت قد تأتى الدعوات والولائم وتدخل منازل الاخوان وعهدك باللحم قريب اخوانك اشد قرما اليه منك وانما هو رأس واحد فلا عليك ان تتجافى عن بعض وتصيب بعضاً وانا بعد اكره لك الموالاة بين اللحم فان الله يبغض اهل البيت اللحمين وكان يقول اياكم وهذه المجازر فان لها ضراوة كضراوة الخمر . وكان يقول مد من اللحم كمد من الخمر. وقال الشيخ ورأى رجلا يأكل اللحم فقال لحم يأكل لحماً اف لهذا

عملا وذكر هرم بن قطبة اللحم فقال وانه ليقتل السباع وقال المهلب لحم وارد على غير قارم هذا الموت الاحمر وقال الاول اهلك الرجال الاحمران اللحم والخمر واهلك النساء الاحمران الذهب والزعفران اى بنى عود نفسك الاثرة ومجاهدة الهوى والشهوة ولا تنهش نهش الافاعى ولا تخضم خضم البراذين ولا تدم الاكل ادامة النعاج ولا تلقم لقم الجمال . قال ابو ذرّ لمن بذل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يخضمون ونقضم والموعد الله ان الله قد فضلك فجعلك انسانا فلا تجعل نفسك بهيمة ولا سبعاً واحذر سرعة الكظة وسرف البطنة وقد قال بعض الحكماء اذا كنت بطيناً فعد نفسك فى الزمنى وقال الاعشى

والبطنة يوما تسفه الاحلاما

واعلم ان الشبع داعية البشم وان البشم داعية السقم وان السقم داعية الموت ومن مات هذه الميتة فقدمات ميتة لئيمة وهو قاتل نفسه وقاتل نفسه الوم من قاتل غيره واعجب ان اردت العجب وقد قال الله جل ذكره ولا تقتلوا أنفسكم وسواء قتلنا انفسنا أوقتل بعضنا بعضاً كان ذلك للآية تأويلا أى بنيّ ان القاتل والمقتول فى النار ولو سألت حذاق الاطباء لاخبروك ان عامة اهل القبور انما اتوا بالتخم واعرف خطاء من قال اكلة وموتة وخذ بقول من قال ربّ اكلة تمنع اكلات وقد قال الحسن يا ابن آدم كل في ثلث بطنك واشرب فى ثلث بطانك ودع الثلث للتفكر والتنفس وقال بكر ابن عبد الله المزنى ما وجدت طعم العيش حتي استبدلت الخمص بالكظة وحتي لم البس من ثيابي ما يستخدمني وحتي لم آكل الا ما اغسل يديّ منه

يا بنيّ والله ما أدى حق الركوع ولا وظيفة السجود ذو كظة ولا خشع لله ذو بطنة والصوم مصحة والوجبات عيش الصالحين ثم قال لامر ما طالت اعمار الهند وصحت ابدان الاعراب لله درّ الحارث بن كلدة حين زعم ان الدواء هو الازم وان الداء هو ادخال الطعام في أثر الطعام اى بنيّ لم صفت اذهان العرب ولم صدقت أحساس الاعراب ولم صحت ابدان الرهبان مع طول الاقامة فى الصوامع وحتي لم تعرف النقرس ولا وجع المفاصل ولا الاورام الا لقلة الرزق من الطعام وخفة الزاد والتبلغ باليسير اى بنى ان نسيم الدنيا وروح الحيوة افضل من ان تبيت كظيظاً وان تكون لقصر العمر حليفا وكيف لا ترغب في تدبير يجمع لك صحة البدن وذكاء الذهن وصلاح المعا وكثرة المال والقرب من عيش الملائكة اى بنى لم صار الضب اطول شيء عمراً الا لانه انما يعيش بالنسيم ولم زعم الرسول صلى الله عليه وسلم ان الصوم وجاء الا ليجعل الجوع حجازاً دون الشهوات افهم تأديب الله فانه لم يقصد به الا الى مثلك اى بنى قد بلغت تسعين عاماً ما نقص لي سن ولا تحرك لي عظم ولا انتشر لي عصب ولا عرفت دنين اذن ولا سيلان عين ولا سلس بول ما لذلك علة الا التخفيف من الزاد فان كنت تحب الحيوة فهذه سبيل الحيوة وان كنت تحب الموت فلا يبعد الله الا من ظلم . هذه كانت وصيته في يوم الرؤس وحده فلم يكن لدياله الا التقمم ومص العظم وكان لا يشترى الرأس الا فى زيادة الشهر لمكان زيادة الدماغ وكان لا يشترى الا رأس فتي لوفارة الدماغ لان دماغ الفتي اوفر ويكون مخه انقص ومخ المسن اوفر ودماغه انقص ويزعمون ان للاهلة والمحاق في الادمغة

والدماء عملا معروفا وبينها فى الربيع والخريف فضلا بيناً وتزعم الاعراب والعرب ان النطفة اذا وقعت فى الرحم في اول الهلال خرج الولد قويا ضخما واذا كان فى المحاق خرج ضئيلا شختا وانشد قول الشاعر

لقحت فى الهلال عن قبل الطهـ ـر وقد لاح للصباح بشير
ثم نمى ولم ترضع فلوا ورضاع المجح عيب كبير

وكان ابو عبد الرحمن يشترى ذلك الرأس من جميع رءاسى بغداد الامن رءاسى مسجد ابن رغبان وكان لا يشتريه الا يوم سبت واختلط عليه الامر فيما بين الشتاء والصيف فكان مرة يشتريه في هذا الزمان ومرة يشتريه في هذا الزمان واما زهده في رؤس مسجد ابن رغبان فان البصريين يختارون لحم الماعز الخصى على الضأن كله ورؤس الضأن اشحم وألحم وارخص رخصا واطيب ورأس التيس أكثر لحما من رأس الخصى لان الخصى من الماعز يعرق جلده ويقل لحم رأسه ولا يبلغ جلده وان كان ماعزا في الثمن عشر ما يبلغ جلد التيس ولا يكون رأسه الا دونا ولذلك تخطاه الى غيره واما اختياره شراء الرؤس يوم السبت فان القصابين يذبحون يوم الجمعة اكثر فتكثر الرؤس يوم السبت على قدر الفضل فيما يذبحون ولان الدوام والتجار والصناع لا يقومون الى اكل الرؤس يوم السبت مع قرب عهدهم باكل اللحم يوم الجمعة ولان عامتهم قد بقيت عنده فضلة فهى تمنعه من الشهوة ولان الناس لا يكادون يجمعون على خوان واحد بين الرؤس واللحم واما اختلاط التدبير عليه في فرق ما بين الشتاء والصيف فوجه ذلك ان العلل كانت تتصور له وتعرض له الدواعى على قدر قرمه وحركة شهوته صيفاً وافق ذلك ام شتاء فان اشتراه فى الصيف فلان

اللحم فى الصيف ارخص والرؤس تابعة اللحم ولان الناس فى الشتاء لها آكل
وهم لها فى القيظ اترك فكان يختار الرخص على حسن الموقع فاذا قويت
دواعيها في الشتاء قال رأس واحد شتوى كرأسين صيفيين لان المألوفة غير
الراعية وما اكل الكسب في الحبس موثقاً غيرما اكل الحشيش في الصحراء
مطلقاً وكان على ثقة انه سيأتى عليه فى الشتاء مع صحته وبدنه وفى شك من
استبقائه فى الصيف ولنقصان شهوات الناس للرؤس فى الصيف كان يخاف
جريرة تلك البنية وجناية تلك الفضلة وكان يقول ان اكلتها بعد الشبع لم آمن
العطب وان تركتها لهم في الصيف ولم يعرفوا العلة طلبوا ذلك منى في الشتاء
(حدثنى) المكى قال كنت يوما عند العنبرى اذ جاءت جارية امه ومعها كوز
فارغ فقالت قالت امك بلغنى ان عندك مزملة ويومنا يوم حار فابعث الي
بشربة منها فى هذا الكوز قال كذبت امى اعقل من ان تبعث بكوز فارغ
ونرده ملآن اذهبي فاملئيه من ماء حبكم وفرغيه فى حبنا ثم املئيه من ماء
مزملتنا حتي يكون شئ بشئ قال المكى فاذا هو يريد ان تدفع جوهراً الجوهر
بعرض حتي لا تربح امه الا صرف ما بين العرضين الذى هو البرد والحر
فاما عدد الجواهر والاعراض فمثلا بمثل (وقال) المكى دخلت عليه يوما واذا
عنده جلة تمر واذا ظئره جالسة قبالته فلما اكل تمرة رمى بنواتها اليها فاخذتها
فمصتها ساعة ثم عزلتها فقلت للمكى اكان يدع على النواة من جسم التمر شيئاً
قال والله لقد رايتها لا كت نواة مرة بعد ان مصتها فصاح بها صيحة لو كانت
قتلت قتيلا ما كان عنده اكثر من ذلك وما كانت الا في ان تناوله الاعراض
وتسلم اليه الجوهر وكانت تأخذ حلاوة النواة وتودعها ندوة الريق (قال)

الخليل كان ابو قطبة يستغل ثلاثة آلاف دينار وكان من البخل يؤخر تنقية بالوعته الى يوم المطر الشديد وسيل المثاعب ليكترى رجلا واحدا فقط يخرج ما فيها ويصبه في الطريق فيجترفه السيل ويؤديه الى القناة وكان بين موضع بئره والصب قدر مائتي ذراع فكان لمكان زيادة درهمين يحتمل الانتظار شهرا او شهرين وان هو جرى فى الطريق وأذى به الناس (وقال) ونظر يوما الى الكساحين وهو معنا جالس فى رجال من قريش وهم يخرجون ما في بالوعته ويرمون به فى الطريق وسيل المثاعب يحتمله فقال اليس البط والجداء والدجاج والفراخ والدراج وخبز الشعير والصحناء والكراث والجواف جميعا يصير الى ما ترون فلم يغالي بشئ يصير هو والرخيص فى معنى واحد (قال) الخليل وسمعته يقول اياكم والفساء فى ثيابكم التي تخرجون فيها وفي لحفكم التي تنامون فيها فان الفساء يدر القمل انى والله ما اقول الا بعلم ثم قال علمتم ان الصوت يدبغ قلنا وكيف صار الصوت يدبغ قال الفسوة هى الضرطة بلا صوت وانما تخرجان جميعا من قارورة واحدة فكيف تكون واحدة طيبة وأخرى منتنة فهذا الذى يدلكم ان الصوت هو الذى يدبغها قال وهم ثلاثة أخوة ابو قطبة والطيل ويابى من ولد عتاب بن اسيد واحد منهم كان يحج عن حمزة ويقول استشهد قبل ان يحج والآخر كان يضحى عن ابى بكر وعمر ويقول اخطيا السنة فى ترك الضحية وكان الآخر يفطر عن عائشه أيام التشريف ويقول غلطت رحمها الله فى صومها ايام العيد فمن صام عن ابيه وامه فانا افطر عن عائشة . (حدثتنى) امرأة تعرف الامور قالت كان فى الحى مأتم اجتمع فيه عجائز من عجائز الحى فلما رأين ان أهل

المأتم قد اقمن المناحة اعتزلن وتحدثن فيناهن في حديثهن اذ ذكرن برّ الابناء بالامهات واتقاءهم عليهن وذكرت كل واحدة منهن مايوليها ابنها فقالت واحدة منهن وام فيلويه ساكتة وكانت امرأة صالحة وابنها يظهر النسك ويدين بالبخل وله حانوت في مقبرة بني حصن يبيع فيها الاسقاط (قال) فاقبلت على ام فيلويه قالت لها مالك لا تحدثين معنا عن ابنك كما تتحدثن وكيف صنع فيلويه فيما بينك وبينه قالت كان يجرى علي فى كل اضحى درهما فقالت وقد قطعه ايضا فقالت لها المرأة وما كان يجرى عليك الا درهما قالت ما كان يجرى علي الا ذاك ولقد ربما ادخل اضحى فى اضحي فقالت فقلت يا امّ فيلويه وكيف يدخل اضحى في اضحى قد يقول الناس ان فلانا ادخل شهراً فى شهر ويوما في يوم فاما اضحي فى اضحى فهذا شيء لايشركه فيه احد

﴿ قصة تمام بن جعفر ﴾

كان تمام بن جعفر بخيلا على الطعام مفرط البخل وكان يقبل على كل من اكل خبزه بكل علة ويطالبه بكل طائلة وحتي ربما استخرج عليه انه لابن جلاد الدم وكان ان قال له نديم له ما فى الارض احد امشى مني ولا على ظهرها احد اقوى على الحضر مني قال وما يمنعك من ذلك وانت تأكل اكل عشرة وهل يحمل الرجل الا البطن لا حمد الله من يحمدك فان قال لا والله ان اقدر ان مشى لأنى اضعف الخلق عنه وانى لا تبهر من مشى ثلاثين خطوة قال وكيف تمشي وقد جعلت فى بطنك ما يحمله عشرون حمالا وهل ينطلق الناس الامع خفة الاكل واى بطين يقدر على الحركة

وان الكنايط ليعجز عن الركوع والسجود فكيف بالمشي الكثير فان شكا ضرسه وقال ما نمت البارحة مع وجعه وضربانه قال عجبت كيف اشتكيت واحدا وكيف لم تشتك الجميع وكيف بقيت الى اليوم في فيك حاكة واى ضرس يقوى على الدرس والطحن والله ان الارحاء السورية لتكل وان المنجان الغليظ ليتعبه الدق ولقد استبطأت لك هذه العلة ارفق فان الرفق يمن ولا تخرق بنفسك فان الخرق شؤم وان قال لا والله ان اشتكيت ضرساً لي قط ولا تجاجل لي سن عن موضعه منذ عرفت نفسي قال يا مجنون لان كثرة المضغ تشد العمور وتقوى الاسنان وتدبغ اللثة وتغذو اصولها واعفاء الاضراس من المضغ يرخيها وانما الفم جزء من الانسان وكما ان الانسان نفسه اذا تحرك وعمل قوى واذا طال سكونه تفتخ واسترخى فكذلك الاضراس ولكن رفقاً فان الاتعاب ينقص القوة ولكل شيء مقدار ونهاية فهذا ضرسك لا تشتكيه بطنك ايضاً لا تشتكيه فان قال والله ان اروى من الماء وماظن ان فى الدنيا احدا اشرب منى للماء قال بد للتراب من ماء وبد للطين من ماء يبله ويرويه او ليت الحاجة على قدر كثرته وقلته والله لو شربت ماء الفرات ما استكثرته لك مع ما ارى من شدة اكلك وعظم لقمتك تدرى ما قد تصنع انت والله تلعب انت لست ترى نفسك فسل عنك من يصدقك حتي تعلم ان ماء دجلة يقصر عما في جوفك فان قال ما شربت اليوم ماء ألبتة وما شربت أمس بمقدار نصف رطل وما فى الارض انسان أقل شربا منى للماء قال لانك لاتدع لشرب الماء موضعاً ولانك تكثر فى جوفك كثيراً لا يجد الماء معه مدخلا والعجب لاتتخم لان من لا يشرب الماء على الخوان لا يدرى

مقدار ما اكل ومن جاوز مقدار الكفاية كان حريا بالتخمة فان قال ما أنام الليل كله وقد اهلكني الارق قال وتدعك الكظة والنفخة والقرقرة أن تنام والله لو لم يكن الا العطاش الذى ينبه الناس لما نمت ومن شرب كثيراً بال كثيراً ومن كان الليل كله بين شرب وبول كيف يأخذه النوم فان قال ما هو الا ان اضع رأسي فانما انا حجر ملقى الى الصبح قال ذلك لان الطعام يسكن ويخدر ويحير ويبل الدماغ ويبل العروق ويسترخي عليه جميع البدن ولو كان في الحق لكان ينبغى ان تنام الليل والنهار فان قال اصبحت وانا لا اشتهي شيئاً قال اياك أن تاكل قليلا ولا كثيرا فان أكل القليل على غير شهوة اضر من الكثير مع الشهوة قال الخوان ويل لي ممن قال لا اريد وبعد وكيف تشتهى الطعام اليوم وانت قد اكلت بالامس طعام عشرة وكان كثيرا مايقول لندمائه اياكم والاكل على الخمار فان دواء الخمار الشراب الخمار تخمة والمتخم اذا اكل مات لا محالة واياكم والاكثار فى عقب الحجامة والفصد والحمام وعليكم بالتخفيف في الصيف كله واجتنبوا اللحم خاصة وكان يقول ليس يفسد الناس الا الناس هذا الذى يضرط ويتكلم بالكلام البارد وبالطرف المستنكرة لو لم يصب من يضحك له وبعض من يشكره ويتضاحك له او ليس هو عنده الا ان يظهر العجب به لما ضرط الضارط ولما تكلف النوادر الا اهله قول الناس للاكول النهم وللرغيب الشره فلان حسن الاكل هو الذى اهلكه وزاد فى رغبته حتى جعل ذلك صناعة وحتى ربما اكل لمكان قولهم وتقريبهم وتعجبهم مالا يطيقه فيقتل فلا يزال قد هجم على قوم فأكل زادهم وتركهم بلا زاد فليقالوا ابدل

قولهم فلان حسن الاكل فلان اقبح الناس اكلا كان ذلك صلاحا لفريقين ولا يزال البخيل على الطعام قد دعا الرغيب البطن واتخذ له الطعام الطيب لينفي عن نفسه المقالة وليكذب عن نفسه تلك الظنون ولو كان شدة الضرس يعد في المناقب ويمدح صاحبه في المجالس لكانت الانبياء آكل الخلق ولخصهم الله جل ذكره من الرغبة بما لم يعطه احدا من العالمين وكيف وفي مأثور الحديث ان المؤمن ياكل في معي واحد وان المنافق ياكل في سبعة امعاء او لسنا قد نراهم يشتمون بالنهم وبالرغبة وبكثرة الاكل ويمدحون بالزهادة وبقلة الطعام أو ليس قد قال النبي صلعم من أدله على الحسناء القتين وقد ساب رجل أيوب بن سليمان بن عبد الملك فقال في بعض ما سبه ماتت امك بغرا وأبوك بشما وبعد فهل سمعتم باحد قط فخر بشدة اكل ابيه فقال انا ابن آكل العرب بل قد راينا اصحاب النبذ والفتيان يتمدحون بكثرة الشرب كما يتمدحون بقلة الرزق ولذلك قالت العرب قال الشاعر

تكفيه فلذة كبد إن ألم بها   من الشواء ويروى شربه الغمر

وقال

لا يتأرى لما في القدر يطلبه   ولا تراه أمام القوم يقتفر

وقال

لا يغمز الساق من اين ولا وصم   ولا يعض على شرسوفه الصفر

والصفر هي حيات البطون انما تكون من الفضول والتخم ومن الفساد والبشم وشرب مرة النبيذ وغناه المغني فشق قميصه من الطرب فقال لمولى له يقال له الحلول وهو الى جنبه شق أيضا انت ويلك قميصك والحلول هذ

من الآيات قال لا والله لا اشته وليس لي غيره قال فشقه وانا اكسوك غدا قال فانا اشقه غداً قال انا ما اصنع بشقك له غدا قال وانا ما ارجو من شقه الساعة فلم اسمع بانسان قط يقايس ويناظر في الوقت الذى انما يشق فيه القميص من غلبة الطرب غيره وغير مولاه محلول . دخل على الاعمى على يوسف بن كل خير وقد تغدى فقال يا جارية هاتى لابى الحسن غداء قالت لم يبق عندنا شئ قال هاتى ويلك ما كان فليس من أبى الحسن حشمة ولم يشك على انه سيؤتى برغيف ملطخ وبرقاقة ملطخة وبسكر وبقية مرق وبعرق وبنضلة شواء وبيقايا مايفضل في الجامات والسكرجات فجاءت بطبق ليس عليه الا رغيف ارز قاحل لا شئ غيره فلما وضعوا الخوان بين يديه فاجال يده فيه وهو اعمى فلم يقع الا على ذلك الرغيف وقد علم ان قوله ليس منه حشمة لا يكون الا مع القليل فلم يظن ان الامر بلغ ذلك فلما لم يجد غيره قال ويلكم ولا كل هذا بمرة رفعتم الحشمة كلها والكلام لم يقع الا على هذا . (حدثنى) محمد بن حسان الاسود قال اخبرنى زكريا القطان قال كان للغزال قطعة ارض قدام حانوتى فاكرى نصفها من سماك يسقط عنه ما استطاع من مؤنة الكراء (قال) وكان الغزال اعجوبة في البخل وكان يجئ من منزله ومعه رغيف في كمه فكان اكثر دهره ياكله بلا ادم فاذا اعيى عليه الامر اخذ من ساكنه جوافة بحبة واثبت عليها قاساً في حسابه فاذا اراد ان يتغدى اخذ الجوافة فمسحها على وجه الرغيف ثم عض عليه وربما فتح بطن الجوافة فيطر جنبيها وبطنها باللقمة بعد اللقمة فاذا خاف ان ينهكها ذلك وينضم بطنها طلب من ذلك السماك شيئاً من ملح السمك فحشا جوفها

لينفخها وليوهم ان هذا هو ملحها الذى ملحت به ولربما غلبته شهوته فكدم
طرف انفها واخذ من طرف الارنبة ما يسيغ به لقمته وكان ذلك منه
لايكون الا في آخرها لقمة ليطيب فمه بها ثم يضعها في ناحية فاذا اشترى من
امرأة غزلا ادخل تلك الجوزة فى ثمن الغزل من طريق ادخال العروض
وحسبها عليها بفلس فيسترجع رأس المال ويفضل الادم. وروى اصحابنا عن عبد
الله بن المقفع (قال) كان ابن جذام الشبي يجلس الى وكان ربما انصرف معى الى المنزل
فيتغدى معنا ويقيم الى ان يبرد وكنت اعرفه بشدة البخل وكثرة المال فالح على فى
الاستزارة وصممت عليه فى الامتناع فقال جعلت فداك انت تظن انى ممن يتكلف
وانت تشفق على لا والله ان هى الا كسيرات يابسة وملح وماء الحب فظننت
انه يريد اختلابى بتهوين الامر عليه وقلت ان هذا كقول الرجل بالغلام أطعمنا
كسرة واطعم السائل خمس تمرات ومعناه أضعاف ماوقع اللفظ عليه وما
اظن ان أحدا يدعو مثلى الى الحربية من الباطنة ثم يأتيه بكسرات وملح فلما
صرت عنده وقربه الى اذ وقف سائل بالباب فقال أطعمونا مما تأكلون أطعمكم
الله من طعام الجنة قال بورك فيك فاعاد الكلام فاعاد عليه مثل ذلك القول
فاعاد عليه السائل فقال اذهب ويلك فقد ردوا عليك فقال السائل سبحان الله
مارأيت كاليوم احدا يرد من لقمة والطعام بين يديه قال اذهب ويلك والا
خرجت اليك والله فدققت ساقيك قال السائل سبحان الله ينهى الله ان ينهر
السائل وانت تدق ساقيه فقلت للسائل اذهب وارح نفسك فانك لو تعرف
من صدق وعيده مثل الذى اعرف لما وقفت طرفة عين بعد رده اياك. وكان
ابو يعقوب الذقنان يقول مافاتنى اللحم منذ ملكت المال وكان اذا كان يوم الجمعة

اشترى لحم بقر بدرهم واشترى بصلا بدانق وباذنجانا بدانق وقرعة بدانق
فاذا كان ايام الجزر فجزرا بدانق وطبخه كله سكباجا فاكل وعياله يومئذ
خبزهم بشيء من رأس القدر وماينقطع فى القدر من البصل والباذنجان والجزر
والقرع والشحم واللحم فاذا كان يوم السبت ثردوا خبزهم فى المرق فاذا
كان يوم الاحد اكلوا البصل فاذا كان يوم الاثنين اكلوا الجزر فاذا كان يوم
الثلثاء اكلوا القرع فاذا كان يوم الاربعاء اكلوا الباذنجان فاذا كان يوم الخميس
اكلوا اللحم فلهذا كان يقول ما فاتنى اللحم منذ ملكت المال (قال) اصحابنا
نزلنا بناس من اهل الجزيرة واذا هم فى بلاد باردة واذا حطبهم شر حطب
واذا الارض كلها غابة واحدة طرفاء فقلنا ما فى الارض اكرم من الطرفاء
قالوا هو كريم ومن كرمه نفر فقلنا وما الذى تفرون منه قالوا دخان الطرفاء
يهضم الطعام وعيالنا كثير وقد عاب ناس اهل المازح والمدبير باءور منها ان
خشكنانهم من دقيق شعير وحشوه الذى فيه من الجوز والسكر من دقيق
خشكار واهل المازح لايعرفون بالبخل ولكنهم اسوأ الناس حالا فتقديرهم
على قدر عيشهم وانما نحكى عن البخلاء الذين جمعوا بين البخل واليسر وبين
خصب البلاد وعيش اهل الجدب فاما من يضيق على نفسه لانه لا يعرف
الا الضيق فليس سبيله سبيل القوم (قال) المكى كان لابى عم يقال له سليمان
الكثرى سمى بذلك لكثرة ماله وكان يقربنى وانا صبى الى ان بلغت ولم يهب
لى مع ذلك التقريب شيئاً قط وكان قد جاوز فى ذلك حد البخلاء فدخلت عليه
يوما واذا قدامه قطع دار صينى لاتسوى قيراطاً فلما نال حاجته منها مددت
يدى لآخذ منها قطعة فلما نظر الىّ قبضت يدى فقال لا تنقبض وانبسط

واسترسل وليحسن ظنك فان حالك عندى على ما تحب فخذه كله فهو لك بزوبره وبحذافيره وهو لك جميعا نفسي بذلك سخية والله يعلم انى مسرور بما وصل اليك من الخير فتركته بين يديه وقمت من عنده وحملته وجهى كما انا الى العراق فما رأيته وما رآنى حتى مات (وقال) المكى سمعنى سليمان وانا انشد شعر امرئ القيس

لنا غنم نسوقها غزار كأن قرون جلتها العصى

فتملأ بيتنا اقطاً وسمناً وحسبك من غنى شبع ورى

قال لو كان ذكر مع هذا شيئاً من الكسوة لكان جيداً وهو الذى قال ليحيى بن خالد حين نقب فى ابى قبيس وزاد فى داره عمدت الى شيخ الجبال فزعزعته وثلمت فيه وقال حين عوتب في قلة الضحك وشدة القطوب ان الذى يمنعنى من الضحك أن الانسان اقرب ما يكون من البذل اذا ضحك وطابت نفسه صحبنى محفوظ النقاش من مسجد الجامع ليلا فلما صرت قرب منزله وكان منزله اقرب الى مسجد الجامع من منزلي سألنى ان ابيت عنده وقال اين تذهب فى هذا المطر والبرد ومنزلى منزلك وانت فى ظلمة وليس معك نار وعندى لبأ لم ير الناس مثله وتمر ناهيك به جودة لا تصلح الا له فلت معه فابطأ ساعة ثم جاءني بجام لبأ وطبق تمر فلما مددت قال يا ابا عثمان انه لبأ وغلظة وهو الليل وركوده ثم ليلة مطر ورطوبة وانت رجل قد طعنت فى السن ولم تزل تشكو من الفالج طرفا وما زال الغليل يسرع اليك وانت فى الاصل لست بصاحب عشاء فان اكلت اللبأ ولم تبالغ كنت لا آكلا ولا تاركا وحرشت طباعك ثم قطعت الاكل اشهى ما كان

اليك وان بالنت بتنا فى ليلة سوء من الاهتمام بامرك ولم نعد لك نبيذا ولا عسلا وانما قلت هذا الكلام لئلا تقول غداً كان وكان والله قد وقعت بين نابى أسد لانى لو لم اجئك به وقد ذكرته لك قلت بخل به وبدا له فيه وان جئت به ولم احذرك منه ولم اذكرك كل ما عليك فيه قلت لم يشفق على ولم ينصح فقد برئت اليك من الامرين جميعاً وان شئت فاكلة وموتة وان شئت فبعض الاحتمال ونوم على سلامة فما ضحكت قط كضحكي تلك الليلة ولقد اكلته جميعا فما هضمه الا الضحك والنشاط والسرور فيما اظن ولو كان معي من يفهم طيب ما تكلم به لاتى على الضحك أولقضى عليّ ولكن ضحك من كان وحده لا يكون على شطر مشاركة الاصحاب (وقال) ابو القماقم اول الاصلاح الا يرد ما صار فى يدى لك فان كان ماصار فى يدى لي فهو لي وان لم يكن لي فانا احق به ممن صيره فى يدى ومن أخرج من يده شيئا الى يد غيره من غير ضرورة فقد اباحه لمن صيره اليه وتعريفك اياه مثل اباحته وقالت له امرأة ويحك يأابا القماقم انى قد تزوجت زوجا نهاريا والساعة وقته وليست على هيئة فاشتر لى بهذا الرغيف آساً وبهذا الفلس دهناً فانك تؤجر فعسى الله ان يلقى محبتي فى قلبه فيرزقنى على يدك شيئاً اعيش به فقد والله ساءت حالى وبلغ المجهود منى فاخذهما وجعلهما وجهه فرأته بعد ايام فقالت سبحان الله اما رحمتني مما صنعت بى قال ويحك سقط والله منى الفلس فمن الغم اكلت الرغيف وتعشق واحدة فلم يزل يتبعها ويبكى بين يديها حتي رحمته وكانت مكثرة وكان مقلا فاستهداها هريسة وقال انتم احذق بها فلما كان بعد أيام تشهت عليها رؤساً فلما كان بعد قليل طاب منها حيسة فلما كان بعد ذلك تشهي

عليها طفشيلة قالت المرأة رأيت عشق الناس يكون في القلب وفي الكبد
وفي الاحشاء وعشقك انت ليس يجاوز معدتك . (وقال) ابو الاصبغ ألح
ابو القماقم على قوم عند الخطبة اليهم يسأل عن مال المرأة ويحصيه ويسأل
عنه فقالوا قد اخبرناك بمالها فانت اى شئ مالك قال وما سؤالكم عن مالى
الذى لها يكفيني ويكفيها. سمعت شيخا من مشايخ الابلة يزعم ان فقراء اهل
البصرة افضل من فقراء اهل الابلة قلت باى شئ فضلتهم قال هم أشد تعظيما
للاغنياء واعرف بالواجب . ووقع بين رجلين ابليين كلام فاسمع احدهما
صاحبه كلاماً غليظا فرد عليه مثل كلامه فرأيتهم قد انكروا ذلك انكاراً
شديداً ولم ار لذلك سبباً فقلت لم انكرتم ان يقول له مثل ماقال قالوا لانه
اكثر منه مالا واذا جوزناهذا له جوزنا لفقرائنا ان يكافئوا اغنياءنا ففى هذا
الفساد كله . وقال حمدان بن صباح كيف صار رياح يسمعني ولا اسمعه أفهو
اكثر مالا مني ثم سكت (قال) ويكون الزائر من اهل البصرة عند الابلى
مقيما مطمئنا فاذا جاء المد قالوا ما رأينا مداً قط ارتفع ارتفاعه وما اطيب
السير فى المد والسير في المد الى البصرة اطيب من السير في الجزر الي الابلة
فلا يزالون به حتي يرى ان من الرأى ان يغتنم ذلك المد بعينه . كان احمد بن
الحاركى بخيلا وكان نفاجا وهذا اغيظ ما يكون وكان يتخذ لكل جبة اربعة
ازرار ليرى الناس ان عليه جبتين ويشترى الاعذاق والعراجين والسعف
من الكلاء فاذا جاء الحمال الى بابه تركه ساعة يوهم الناس ان له من
الارضين مايحتمل ان يكون ذلك كله منها وكان يكترى قدور الخمارين التي
تكون للنبيذ ثم يتحرى اعظمها ويهرب من الحمالين بالكراء كى يصيحوا

بالباب يشترون الدادي والسكر ويحبسون الحمالين بالكراء وليس له في منزله رطل دبس وسمع قول الشاعر

رأيت الخبز عز لديك حتى ... حسبت الخبز في جو السحاب

وما روحتنا لتذب عنا ... ولكن خفت مرزئة الذباب

فقال ولم ذبّ عنهم لعنه الله ماعلم ألا انه شهى اليهم الطعام ونظف لهم القصاع وفرّغهم له وسخرهم عليه ثم الا تركها تقع في قصاعهم وتسقط على آنافهم وعيونهم هو والله اهل لما هو اعظم من هذا * انت أيضاً دون كم ترون من مرة قد امرت الجارية ان تلقى في القصعة الذبابة والذبابتين والثلاثة حتى يتقزز بعضهم ويكفى الله شره (قال) واما قوله رأيت الخبز عز لديك حتى قال فان لم أعز هذا الشئ الذي هو قوام اهل الارض واصل الاقوات وامير الاغذية فاى شيء أعز اى والله انى أعزه واعزه واعزه مدى النفس ما حمات عيني الماء وبلغ من تهجه مع ذلك * ما خبرني به ابراهيم بن هانئ قال كنت عنده يوماً اذ مر به بعض الباعة فصاح الخوخ الخوخ فقلت وقد جاء الخوخ بعد قال نعم قد جاء وقد اكثرنا منه فدعاني الغيظ عليه الى ان دعوت البياع واقبلت على ابن الحاركى فقلت ويحك نحن لم نسمع به بعد وانت قد اكثرت منه وقد تعلم ان اصحابنا اترف منك ثم اقبلت على البياع فقلت كيف تبيع الخوخ فقال ستة بدرهم قلت انت ممن تشترى ست خوخات بدرهم وانت تعلم انه يباع بعد ايام مائتين بدرهم ثم تقول وقد اكثرنا منه وهذا يقول ستة بدرهم قال واى شئ ارخص من ستة اشياء بشئ كان غلام صالح بن عفان يطلب منه نفطاً لبيت الحمار بالليل فكان يعطيه كل ليلة ثلاثة

افلس والفلوس اربعة طسوج ويقول طسوج يفضل وحبة تنقص وبينهما يرمى الرامى وكان يقول لابنه تمطى صاحب الحمام وصاحب المعبر لكل واحد منهما طسوجا وهو اذ لم ير معك الاثلاثة افلس لم يردك (قال) ابو كعب دعا موسى ابن جناح جماعة من جيرانه ليفطروا عنده فى شهر رمضان وكنت فيهم فلما صلينا المغرب ونجز ابن جناح اقبل علينا ثم قال لا تعجلو فان العجلة من الشيطان وكيف تعجلوا وقد قال الله جل ذكره وكان الانسان عجولا وقال خلق الانسان من عجل اسمعوا ما اقول فان فيما اقول حسن المواكلة والبعد من الاثرة والعاقبة الرشيدة والسيرة المحمودة واذا مد أحدكم يده الى الماء فاستسقى وقد اتيتم بيهطة أو بجوذابة أو بعصيدة أو ببعض ما يجرى فى الحلق ولا يساغ بالماء ولا يحتاج فيه الى مضغ وهو طعام يد لا طعام يدين وليست على اهل اليد منه مؤنة وهو مما يذهب سريعاً فامسكوا حتي يفرغ صاحبكم فانكم تجمعون عليه خصالا منها انكم تنغصون عليه تلك السرعة اذا علم انه لا يفرغ الا مع فراغكم ومنها انكم تخنقونه ولا يجد بدا من مكافأتكم فلعله ان يتسرع الى لقمة حارة فيموت وانتم ترونه وادنى ذلك ان تبعثوه على الحرص وعلى عظم اللقم ولهذا ما قال الاعرابى حين قيل له لم تبدأ باكل اللحم الذى فوق الثريد قال لان اللحم ظاعن والثريد مقيم وانا وان كان الطعام طعامى فانى كذلك افعل فاذا رأيتم فعلي يخالف قولي فلا طاعة لي عليكم (قال) ابو كعب فربما نسي بعضنا فمد يده الى القصعة وقد مد يده صاحبه الى الماء فيقول له موسى يدك يا ناسي ولو لا شيء لقلت لك يا متغافل (قال) واتانا بأرز ولو شاء انسان ان يعد حبها لعده لتفرقه وقلته قال فنثروا عليها بلبله من ذلك مقدار

نصف سكره فوقعت ليلتئذ فى فى قطعة وكنت الى جنبه فسمع صوتها حين مضغتها فضرب يده على جنبي ثم قال اجرش يا ابا كعب اجرش قلت ويلك اما تتقى الله كيف اجرش جزأ لا يتجزأ

﴿ قصة ابن العقدى ﴾

كان ابن العقدى ربما استزار اصحابه الى البستان وكنت لا اظنه ممن يحتمل قلبه ذلك على حال فسألت ذات يوم بعض زواره فقلت احك لي امركم قال وتستر على قلت نعم مادمت بالبصرة قال يشترى لنا ارزا بقشره ويحمله معه ليس معه شيء مما خلق الله الا ذلك الارز فاذا صرنا الى ارضه كلف أكاره ان يجشه في مجشة له ثم ذراه ثم غربله ثم جش الواش منه فاذا فرغ من الشراء والحمل ثم من الجش ثم من التذرية ثم من الادارة والغربلة ثم من جش الواش ثم من تذريته ثم من ادارته وغربلته كلف الاكار ان يطحنه على ثوره وفى رحاه فاذا طحنه كانه ان يغلى له الماء وان يحتطب له ثم يكانه العجن لانه بالماء الحار اكثر نزلا ثم كلف الاكار ان يخبزه وقبل ذلك ما قد كانهم ان ينصبوا له الشصوص للسمك ويسكروا الدرباجة على صغار السمك لا يدخلوا في السواقى فيدخلوا ايديهم فى جحرة الشلابى والرمان فان اصبنا من السمك شيئاً جعله كباباً على نار الخبز تحت الطابق حتي لا يحتاج من الحطب الى كثير فلا نزال منذ غدوة الى الليل فى كد وجوع وانتظار ثم لا يكون عشاءنا الا خبز ارز اسود غير منخول بالشلابى ولو قدر على غير ذلك فعل قلت له فلم لا يتخذ موضع مدار من بعض زقاق ارضه فيذرى لكم الارز ثم يكون الخيار في يده ان اراد ان يعجل عليكم الطعام اطعمكم

القرد أو ان احب ان يتانى ليامكم الجوهرى قال والله لئن سمع هذا وعرفه ليتكافنه الله الله فينا فانا قوم مساكين ولو قدرنا على شئ لم نحتمل هذا البلاء. (حدثنى) المكى قال بت عند اسماعيل بن غزوان وانما يتقى عنده حين علم انى تعشيت عند مويس وحملت معى قربة نبيذ فلما مضى من الليل اكثره وركبنى النوم جعلت فراشى البساط ومرفقتى يدى وليس فى البيت الا مصلى له ومرفقة ومخدة فاخذ المخدة فرمى بها الى فابيتها ورددتها عليه وابى وابيت فقال سبحان الله يكون أن تتوسد مرفقك وعندى فضل مخدة فاخذتها فوضعتها تحت خدى فمنعنى من النوم انكارى للموضع ويبس فراشى وظن انى قد نمت فجاء قليلا قليلا حتى سل المخدة من تحت رأسى فلما رأيته قد مضى بها ضحكت وقلت قد كنت عن هذا غنياً قال انما جئت لاسوى رأسك قلت انى لم اكلمك حتى وليت بها قال كنت لهذا جئت فلما صارت المخدة فى يدى نسيت ماجئت له والنبيذ ماعلمت والله يذهب بالحفظ اجمع. (وحدثنى) الحزامى والمكى والعروضى قالوا سمعنا اسماعيل يقول اوليس قد اجمعوا على ان البخلاء فى الجملة اعقل من الاسخياء فى الجملة ها نحن اولاء عندك جماعة فينا من يزعم الناس انه سخى وفينا من يزعم الناس انه بخيل فانظر اى الفريقين اعقل هاانا ذا وسهل ابن هارون وخاقان بن صبيح وجعفر بن سعيد والحزامى والعروضى وابو يعقوب الخزيمى فهل معك الا ابو الاسحاق (وحدثنى) المكى قال قلت لاسماعيل مرة لم ار احداً قط انفق على الناس من ماله فلما احتاج اليهم آسوه قال لو كان ما يصنعون لله رضى وللحق موافقا لما جمع الله لهم الغدر واللؤم

من اقطار الارض ولو كان هذا الانفاق فى حقه لما ابتلاهم الله جل ذكره من جميع خلقه . (حدثنى) تمام بن ابى نعيم قال كان لنا جار وكان له عروس فجعل طعامه كله فالوذق فقيل له ان المؤونة تعظم قال احتمل ثقل الغرم بتعجيل الراحة لعن الله النساء ما اشك ان من اطاعهن شرّ منهنّ وحديث سمعناه على وجه الدهر زعموا ان رجلا قد بلغ فى البخل غايته وصار اماماً وانه كان اذا صار فى يده الدرهم خاطبه وناجاه وفداه واستبطنه وكان مما يقول له كم من ارض قد قطعت وكم من كيس قد فارقت وكم من خامل رفعت ومن رفيع قد اخملت لك عندى ان لا تعرى ولا تضحى ثم يلقيه في في كيسه ويقول له اسكن على اسم الله فى مكان لا تهان ولا تذل ولا تزعج منه وانه لم يدخل فيه درهماً قط فاخرجه وان اهله الحوا عليه في سوه واكثروا عليه فى انفاق درهم فدافعهم ما امكن ذلك ثم حمل درهما فقط فبينا هو ذاهب اذ رأى حواء قد ارسل على نفسه افعى لدرهم ياخذه فقال فى نفسه اتلف شيئاً تبذل فيه النفس باكلة او شربة والله ما هذا الا موعظة لي من الله فرجع الى اهله ورد الدرهم الى كيسه فكان اهله منه في بلاء وكانوا يتمنون موته والخلاص بالموت والحياة فلما مات وظنوا انهم قد استراحوا منه قدم ابنه فاستولى على ماله وداره ثم قال ماكان أدم ابى فان اكثر الفساد انما يكون فى الادام قالوا كان يتأدم بجبنة عنده قال اورنيها فاذا فيها حز كالجدول من أثر مسح اللقمة قال ما هذه الحفرة قالوا كان لا يقطع الجبن وانما كان يمسح على ظهره فيحفر كما ترى قال بهذا اهلكني وبهذا اقعدني هذا المقعد لو علمت ذلك ماصليت عليه قالوا فانت كيف تريد ان تصنع قال

اضمها من بعيد فاشير اليها باللقمة ولا يعجبني هذا الحرف الاخير لان الافراط لا غاية له وانما نحكي ما كان في الناس وما يجوز ان يكون فيهم مثله أو حجة أو طريقة فامامثل هذا الحرف فليس مما نذكر واما سائر حديث هذا الرجل فانه من الباب (قال) ابن جهانة الثقفية عجبت ممن يمنع النبيذ طالبه لان النبيذ انما يطلب ليوم فصد او يوم حجامة أو يوم زيارة زائر أو يوم اكل سمك طري او يوم شربة دواء ولم نر احداً طلبه وعنده نبيذ ولا ليدخره ويحتكره ولا ليبيعه ويعتقد منه وهو شئ يحسن طلبه وتحسن هبته ويحسن موقعه وهو في الاصل كثير رخيص فما وجه منعه ما عندنا عندى الا من لاحظ له في اخلاق الكرام وعلى اني لست اوجل بما اهب منه على نبيذي النقصان لاني اذا احتجبت عن ندمائي بقدر ما أخرجت من نبيذي رجع الي نبيذي على حاله وكنت قد تحمدت بما لا يضرني فمن ترك التحمد بما لا يضره كان من التحمد بما يضره ابعد فذكر ابن جهانة ماله من الكرم بهبة نبيذه ولم يذكر ما عليه من اللوم بحجب ندمائه قال الاصمعي او غيره حمل بعض الناس مدينيا على برذون فاقامه على الارى فانتبه من نومه فوجده يعتلف فصاح بغلامه يا ابن ام بعه والا فهبه والا فرده والا فاذبحه انام ولا ينام يذهب بحر مالي ما اراد الا استئصالي قال ابو الحسن المدائني كان بالمدائن تمار وكان غلامه اذا دخل الحانوت يحتال فربما احتبس فاتهمه باكل التمر فسأله يوما فانكر فدعا بقطنة بيضاء ثم قال امضغها فمضغها فلما اخرجها وجد فيها حلاوة وصفرة قال هذا دابك كل يوم وانا لا اعلم اخرج من داري وكان عندنا رجل من بني اسد اذا صعد ابن الاكار الي نخلة له ليلقط له رطبا ملا فاه ماء فسخروا به وقالوا له

انه يشربه ويأكل شيئا على النخلة فاذا ارد ان ينزل بال في يده ثم امسكه في فيه والرطب اهون على اولاد الا كرة وعلى اولاد غير الا كرة من ان يحتمل فيه احد شطر هذا المكروه ولا بعضه قال فكان بعدها يملأ فاه من ماء اصفر او احمر او اخضر لكيلا يقدر على مثله في رؤس النخل .وحدثني المصرى وكان جار الداردرتشي وماله لايحصى قال فانتهر سائلا ذات يوم وانا عنده ثم وقف عليه آخر فانتهره الا ان ذلك بغيظ وحنق قال فاقبلت عليه فقلت له ماابغض اليك السؤال قال اجل عامة من ترى منهم ايسر منى قال فقلت مااظنك ابغضتهم لهذا قال كل هؤلاء لو قدروا على دارى لهدموها وعلى حياتى لنزعوها انا لو طاوعتهم فاعطيتهم كما سألونى كنت قدصرت مثلهم منذ زمان فكيف تظن ببغضى يكون لمن ارادنى على هذا وكان اخوه شريكه فى كل شئ وكان فى البخل مثله فوضع اخوه في يوم جمعة بين ايدينا ونحن على بابه طبق رطب يساوى بالبصرة دانقين فبينا نحن ناكل اذ جاء اخوه فلم يسلم ولم يتكلم حتي دخل الدار فانكرنا ذلك وكان يفرط فى اظهار البشر ويجعل البشر وقاية دون ماله وكان يعلم انه ان جمع بين المنع والكبر قتل قال ولم نعرف علته ولم يعرفها اخوه .فلما كان الجمعة الاخرى دعا ايضا اخوه بطبق رطب فبينا نحن ناكل اذ خرج من الدار ولم يسلم ولم يقف فانكرنا ذلك ولم ندر ايضا ماقصته فلما ن كان فى الجمعة الثالثة ورأى مثل ذلك كتب الي اخيه ياأخى كانت الشركة بينى وبينك حين لم نكثر الولد ومع الكثرة يقع الاختلاف ولست آمن ان يخرج ولدى وولدك الى مكروه وهاهنا اموال باسمي ولك شطرها واموال باسمك ولي شطرها وصامت فى منزلي وصامت فى منزلك

لا نعرف فضل بعض ذلك على بعض وان طرقنا امر الله ركدت الحرب بين
هؤلاء الفتية وطال الصخب بين هولاء النسوة فالرأي ان تتقدم اليوم فيما يحسم
منهم هذا السبب فلما قرأ اخوه كتابه تعاظمه ذلك وهاله وقلب الرأي ظهراً
لبطن فلم يزده التقليب الا جهلا فجمع ولده واغلظ عليهم وقال عسى ان يكون
احدمنكم قد اخطأ بكلمة واحدة او يكون هذا البلاء من جرائر النساء فلما
عرف براءة ساحة القوم تمشى اليه حافيا راجلا فقال مايدعوك الى القسمة والتميز
ادع صلحاء اهل المسجد الساعة حتى اشهدهم باني وكيل لك في هذه الضياع
وحول كل شئ فى منزلي الى منزلك وجرب ذلك مني الساعة فان وجدتني
اروغ واعتل فدونك فحاجتي الآن ان تخبرني بذنبي قال مالك من ذنب
وما من القسمة من بد فاقام عنده يناشده الى نصف النهار ثم اقام يومه ذلك
الي نصف الليل يناشده ويطلب اليه فلما طال عليه الامر وبلغ منه الجهد
قال له حدثني عن ونمك أطباق الرطب وبسطك الحصر فى السكك واحضارك
الماء البارد وجمعك الناس على بابي في كل جمعة كانك ظننت انا كنا عن هذه
المكرمة عميا انك اذا اطعمتهم اليوم البرني اطعمتهم غدا السكر وبعد غد
الهايانا ثم يصير ذلك بعد ايام الجمع فى سائر ايام الاسبوع ثم يتحول الرطب
الى الغداء ثم يؤدي الغداء الي العشاء ثم تصير الى الكساء ثم الاجداء ثم
الحملان ثم اصطناع الصنائع والله انى لا رثى لبيوت الاموال وخراج المملكة
من هذا فكيف بمال تاجر جمعه من الحبات والقراريط والدوانيق والارباع
والانصاف قال جعلت فداك تريد ان لا آكل رطبة ابد فضلا على غير ذلك
واخرى فلا والله لا كلمتهم ابد قال اياك ان تخطئ مرتين فى اطعامهم فيك

ومرة في اكتساب عداوتهم اخرج من هذا الامر على حساب مادخلت فيه
وتسلم بسلام كان ابو الهذيل اهدى الى مويس دجاجة وكانت دجاجته التي
اهداها دون ما كان يتخذ لمويس ولكنه بكرمه وبحسن خلقه اظهر التعجب
من سمنها وطيب لحمها وكان يعرفه بالامساك الشديد فقال وكيف رأيت يا أبا
عمران تلك الدجاجة قال كانت عجبا من العجب فيقول وتدرى ماجنسها
وتدرى ماسنها فان الدجاجة انما تطيب بالجنس والسن وتدرى باى شئ كنا
نسمنها فلا يزال في هذا والآخر يضحك ضحكا نعرفه نحن ولا يعرفه ابو الهذيل
وكان ابو الهذيل اسلم الناس صدرا واوسعهم خلقا واسهلهم سهولة فان ذكروا
دجاجة قال اين كانت يا ابا عمران من تلك الدجاجة فان ذكروا بطة او عناقا
اوجزورا او بقرة قال فاين كانت هذه الجزور في الجزر من تلك الدجاجة في الدجاج
وان استسمن ابو الهذيل شيئا من الطير والبهائم قال لا والله ولا تلك الدجاجة
وان ذكروا عذوبة الشحم قال عذوبة الشحم في البقر والبط وبطون السمك
والدجاج ولا سيما ذلك الجنس من الدجاج وان ذكروا ميلاد شئ او قدوم
انسان قال كان ذلك بعد ان اهديتها لك بسنة وما كان بين قدوم فلان وبين
البعثة بتلك الدجاجة الا يوم وكانت مثلا في كل شئ وتاريخا في كل شئ واقبل
مرة على محمد بن الجهم وانا واصحابنا عنده فقال انى رجل منخرق اللذين لا اليق
شيئا ويدى هذه صناع في الكسب ولكنها في الانفاق خرقاء كم تظن من
مائة الف درهم قسمتها على الاخوان في مجلس ابو عثمان يعلم ذلك أسألك بالله
يا أباعثمان هل تعلم ذلك فقلت يا أباهذيل مانشك فيما تقول فلم يرض باحضارى هذا
الكلام حتى استشهدنى ولم يرض باستشهادى حتى استحلفنى وكان ابو سعيد المدائنى

اماما فى البخل عندنا بالبصرة وكان من كبار المفتنين ومياسيرهم وكان شديد العقل شديد العارضة حاضر الحجة بعيد الروية وكنت اتعجب من تفسير اصحابنا لقول العرب في لؤم اللئيم الراضع قال اصحابنا كل لئيم بخيل وليس كل بخيل لئيم لان اسم اللئيم يقع على البخل وعلى قلة الشكر وعلى مهانة النفس وعلى ان له في ذلك عرقا متقدما قال ابو زيد هو لئيم وملأم فاللئيم ما فسرت والملأم الذى يقوم بعذر اللئيم فاما اللئيم الراضع فالذى لا يحلب في الاناء ويرضع من الخلف مخافة ان يضيع من اللبن شيء قال ثوب ابن شحمة العنبرى فى امرأته الهمدانية

وحديث لامحة التي حدثتني تدع الاناء تشربا للقادم

الناد مان الخالفان المتقدمان فلما بانه ذلك عنها طلقها فلما طلقها قيل له ان البخل انما يعيب الرجل ومتى سمعت بامرأة هجيت في البخل قال ليس ذاك بي اخاف ان تلدلي مثلها قال رافع بن هريم تحاب قاعداً وتلمح احيانا وقعبك حاضر يدعو الله عليه ان يجعله صاحب شاء ولا يجعله صاحب ابل وان يرتضع من الخلف وان كان معه اناء والعربي يتارى على صاحبه فيقول ان كنت كاذبا فاحتلبت قاعداً أى ابدلك الله بكرم الابل لؤم الغنم فكيف تتعجب من لؤم الراضع وصنع ابو سعيد المدائنى اعظم من ذلك اصطبغ من دنّ خلّ وهو قائم حتي فنى ولم يخرج منه قليلا ولا كثيراً وكانت له حلقة يقعد فيها اصحاب الغنية والبخلاء الذين يتذاكرون الاصلاح فبلغهم ان ابا سعيد يأتى الحربية في كل يوم ليقتضي رجلا هناك خمسة دراهم فضلت عليه وقالوا هذا خطأ عظيم وتضييع كثير وانما الحزم ان يتشدد فى غير تضييع وصاحبنا هذا قد

رجع على نفسه بضروب من البلاء فاجتمعوا عليه على طريق التفرّغ له
والاستفادة منه قالوا نراك تصنع شيئاً لانعرفه والخطأ منك اعظم منه من
غيرك قد اشكل علينا هذا الامر فاخبرنا عنه فقد ضاقت صدورنا به خبرنا
عن مضيك الى الحربيه لتقتضى خمسة دراهم فواحدة انا لا نأمن عليك
انتقاض بدنك وقد خلا ماخلا من سنك وان تعتلّ فتدع التقاضي الكثير
بسبب القليل وثانية انك ان تنصب هذا النصب فلا بد لك من ان تزداد
فى العشاء ان كنت ممن يتعشى او تتعشى ان كنت ممن لا يتعشى وهذا اذا
اجتمع كان اكثر من خمسة دراهم وبعد فانك تحتاج ان تشق وسط السوق
وعليك ثيابك والحمولة تستقبلك فن ههنا نترة ومن ههنا جذبة فاذا الثوب
قد اودى ومن ذلك ان نعلك تنقب وترق وساق سراويلك تتسخ وتبلى ولعلك
ان تعثر فى نعلك فتقدها قدا ولعلك تهرتها هرتا وبعد فاقتضاء القليل اولى
بك الى هذا بلغت منه شيئاً وانك افضل الا انا نحب انك تحكى عن الامر
بشئ فليس كلنا يثق لك بالصواب فى كل شئ قال ابو سعيد اما ما ذكرتم
من انتقاض البدن فان الذى اخاف على بدنى من الدعة ومن قلة الحركة اكثر وما
رأيت اصح ابدانا من الحمالين والطوافين والقوم تبلى إن يموتوا لم يكن لهم تلك
عادة وليس يقول الناس والله لفلان اصح من الجلاوزة يعنى اختلاف
الجلاوزة فى العدو ولربما اقمت فى المنزل لبعض الامر فاكثر الصعود
والنزول خوفا من قلة الحركة واما التشاغل بالبعيد عن القريب فانى لا اعرض
للبعيد حتي افرغ من القريب واما ما ذكرتم من الزيادة في الطعام فقد ايقنت
نفسي واطمأن قلبي على انه ليس لنفسي عندي الا مالها وانها ان حاسبتني أيام

النصب حاسبتها ايام الراحة فستعلم حينئذ أين أيام الحرية من أيام ثقيف واما ما ذكرتم من تلقى الحدولة ومن مزاحمة اهل السوق ومن النتر والجذب فانا اقطع عرض السوق من قبل أن يقوم أهل السوق لصلاتهم ثم يكون رجوعى على ظهر السوق وأما ماذكرتم من شأن النعل والسراويل فانى من لدن خروجى من منزلي الى ان اقرب من باب صاحبي فانما نعلى فى يدى وسراويلى في كمى فاذا صرت اليه لبستهما فاذا فصلت من عنده خلعتهما فهما فى ذلك اليوم اودع ابدانا واحسن حالا بقى الآن لكم مما ذكرتم شئ قالوا لا قال فهاهنا واحدة تنى بجميع ماذكرتم قالوا وما هى قال اذا علم القريب الدار ومن لي عليه الوف الدنانير شدة مطالبتي للبعيد الدار ومن ليس لي عليه الا الفلوس اتى بحق ولم يطمع نفسه في مالى وهذا تدبير يجمع لى الى رجوع مالى طول راحة بدنى ثم انا بالخيار فى ترك الراحة لانى اقسمها على الاشغال حينئذ كيف شئت واخرى ان هذا القليل لو لم يكن فضلة من كثير وموصلا بدين لي مشهور لجاز أن اتجافى عنه فاما ان ادع شيئا يطمع فى فضول ما يبقى على الغرماء فهذا ما لايجوز فقاموا وقالوا باجمعهم لا والله لاسألناك عن مشكلة (حدثنى) احمد المكي أخو محمد المكى وكان متصلا بابى سعيد نسيت الغنية ونسيت صنعة المال لاعاجيب ابى سعيد وحديثه (قال) احمد قلت له مرة والله انك لكثير المال وانك لتعرف ماتجهل وان قميصك وسخ فلم لا تأمر بغسله قال فلو كنت قليل المال وأجهل ما تعرف كيف كان قولك لى انى قد فكرت فى هذا منذ ستة اشهر فما وضح لي بعد وجه الامر فيه اقول مرة الثوب اذا اتسخ اكل البدن كما يأكل الصدا الحديد والثوب اذا ترادفه

العرق وجف وتراكم عليه الوسخ ولبد اكل السلك واحرق الغزل هذا مع
نتن ريحه وقبح منظره وبعد فاني رجل آتي ابواب الغرماء وغلمان غرمائي
جبابرة فما ظنك بهم اذا رأوني في أطمار وسخة واسمال درنة وحال جداد
جبهوا مرة وحجبوا مرة فيرجع ذلك علينا بعضرة من اصلاح المال وان ينفى عنه
كل ما اعان على حبسه مع ما يدخل من الغيظ ويأتي من كان كذلك من المكروه فاذا
اجتمعت هذه الخواطر هممت بغسلها فاذا هممت به عارضني معارض يوهمني انه
اتاني من جهة الحزم ومن قبل العقل فقال اول ذلك الغرم الذي يكون في الماء
والصابون والجارية اذا ازدادت عناء ازدادت اكلا والصابون نورة والنورة
تأكل الثوب وان انخزق لا يزال الثوب على خطر حتى يسلم الى العصر والدق
ثم اذا ألقي على الرسن فهو بعرض الجذبة والنترة والعلق ولا من الجلوس
يومئذ في البيت بد ومتي جلست في البيت فتحوا علينا ابوابا من النفقة وابوابا
من الشهوات والثياب لابد لها من دق فان نحن دققناها في المنزل قطعناها
وان نحن اسلمناها الي القصار ففرم على غرم وعلى انه ربما انزل بها من المكروه
ماهو اشد وما جلست في المنزل قط الا ارجف بي الغرماء وادعوا علي
الامراض والاحداث وفي ذلك لهم فساد والتواء وطمع لم يكن عندهم فاذا انا
لبستها وقد ابيضت وحسنت وجدت وطابت تبينت عند ذلك وسخ جسدي
وكثرة شعري وقد كان بعض ذلك موصولا ببعض فعرفته فاستبان لي ما لم
يكن يستبين واكترثت لما لم اكن اكترث له فيصير ذلك مدعاة الي دخول
الحمام فان دخلته فغرم ثقيل مع المخاطرة بالثياب ولي امرأة جميلة شابة اذا
رأتني قد اطليت وغسلت راسي وبيضت ثوبي عارضتني بالتطيب وتلبس احسن

ثيابها وتعرضت لي وانا فحل والفحل اذا هاج لم يرد راسه شيء فاذا اردت موافقتها اورات حرصي نثرت على الحوائج نثرا ثم احتجنا الى تسخين الماء واشد من هذا كله ان تعلق فتحتاج الي ظئر فنقع في مالا غاية له مع امور كثيرة نسي بعضها احمد وبعضها انا وكان ابو سعيد هذا مع بخله اشد الناس قسا واحماهم أنفا بلغ من امره في ذلك ومن بلوغه فيه انه اتى رجلا من ثقيف يقتضيه الف دينار وقد حل عليه المال فكان ربما اطال عنده الجلوس ويحضر عنده الغداء فيتغدى معه وهو في ذلك يقتضيه فلما طال عليه المطل قال له يوما وهو على خوانه ان لهذا المال زكاة مؤداة وقد علمنا انا حين اخرجنا هذا المال من ايدينا انه معرض للذهاب وللمنازعة الطويلة ولان يقع في الميراث ثم رضينا منك بالربح اليسير بالذي ظنناه بك من حسن القضاء ولولا ذلك لم نرض بهذا المال وهذا المال اذا كان شرطه ان يرجع بعد سنة فرفهت عنك بحسن المطالبة شهراً أو شهرين ثم مكث عندي الى ان اصبت له مثلك شهراً او شهرين سحق فضله وحرج علينا فضل ومثلك يكتفي بالقليل وقد طال اقتضائي وطال تغافلك يقول هذا الكلام وهو في ذلك لا يقطع الاكل فاقبل عليه رجل من ثقيف فعرض له بانه لو اراد التقاضي محضا لكان ذلك في المسجد ولم يكن في الموضع الذي يحضر فيه الغداء فقطع الاكل ثم نزا في وجهه الدم ونظر اليه نظر الجمل الصؤول ثم كاد يطير ثم اقبل عليه فقال لا ام لك انا انما اصطبغت من دن خل حتي فني من حسن العقل واحببت الغنى بفضل بغضي للفقر وابغضت الفقر بفضل انفتي من احتمال الذل تعرض لي لا ام لك باني رغب في غدائه والله ما اكلت معه الا ايستحيي من حرمة المؤاكلة وايصي

كرمه سبباً لتعجيل الحاجة ثم نهض بالصك وعليه طينته فاعترض بها الحائط
حتي كسرها ثم تفل فى الكتاب وحك بعضه ببعض ثم مزقه ورمى به ثم
قال لكل من شهد المجلس هذه الف دينار كانت لي على ابى فلان اشهدوا
جيماً انى قد قبضت منه وانه بريء من كل شىء اطالبه ثم نهض فلما صنع
ما صنع اقبل الغريم على صاحبه فقال ما دعاك الى هذا الكلام ثم تقول
لهذا الرجل على مائدتى وتقدم بهذا الكلام على من لا تعرف كيف موقع
الامور منه وبعد فقد والله اردت مطله الى ان ابيع الثمر ورجونا حلاوته
فقداحسنت اليه واسأت الينا وعجلت عليه ماله اذهب ياغلام فاضرب بذلك
الثمر السوق فبعه بما بلغ فاخذ ماله كلا ثم ركب اليه فابى ان يأخذه فلما كثر
الامر فى ذلك قال اظن الذى دعا صاحبك الى ما قال انه عربي وانا مولي
فان جعلت شفعاءك من الموالى اخذت هذا المال وان لم تفعل فانى لا آخذه
فجمع الثقفى كل شعوبي بالبصرة حتي طلبوا اليه حتي اخذ المال وكان ابو
... ينهى خادمه ان تخرج الكساحة من الدار وامرها ان تجمعها من دور
السكان وتلقيها على كساحتهم فاذا كان فى الحين جلس وجاءت الخادم ومعها
زبيل فعزلت بين يديه من الكساحة زبيلا ثم فتشت واحداً واحداً فان اصاب
قطع دراهم وصرة فيها نفقة والدينار اوقطعة حلى فسبيل ذلك معروف واما
ماوجد فيه من الصوف فكان وجهه ان يباع اذا اجتمع من اصحاب البراذع
وكذلك قطع الاكسية وما كان من خرق الثياب فمن اصحاب الصينيات
والصلاحيات وما كان من قشور الرمان فمن الصباغين والدباغين وما كان
من القوارير من اصحاب الزجاج وما كان من نوى التمر فمن اصحاب

الخشوف وما كان من نوى الخوخ فمن اصحاب الغرس وما كان من المسامير وقطع الحديد فللحدادين وما كان من القراطيس فللطراز وما كان من الصحف فلرؤس الجرار وما كان من قطع الخشب فللاكافين وما كان من قطع العظام فللوقود وما كان من قطع الخرق فللتنانير الجدد وما كان من اشكنج فهو مجموع للبناء ثم يحرك ويثار ويخلل حتي يجتمع قماشه ثم يعزل للتنور وما كان من قطع القار بيع من القيار واذا بقي التراب خالصاً واراد ان يضرب منه اللبن للبيع وللحاجة اليه لم يتكلف الماء ولكن يأمر جميع من في الدار ان لا يتوضؤا ولا يغتسلوا الا عليه فاذا ابتل ضربه لبناً وكان يقول من لم يتعرف الاقتصاد تعرفي فلا يتعرض له. وذهب من ساكن له شئ كبعض ما يسرق من البيوت فقال لهم اطرحوا الليلة تراباً فعسى ان يندم من اخذه فيلقيه فى التراب ولا ينكر مجيئه الى ذلك المكان لكثرة من يجئ لذلك فاتفق ان طرح ذلك الشئ المسروق فى التراب وكانوا يطرحونه على كناسته فرآه قبل ان يراه المسروق منه فاخذ منه كراء الكساحة. فهذا حديث ابى سعيد

﴿ قصة الاصمعى ﴾

تمشى قوم الي الاصمعي مع تاجر كان اشترى ثمرته بخسران كان ناله وسأله حسن النظر والحطيطة فقال الاصمعى اسمعتم بالقسمة الضيزى هى والله ماتريدون شيخكم عليه اشترى منى على ان يكون الخسران علىّ والربح له هذا وايكم تجارة ابى العنبس اذهبوا فاشتروا علىّ طعام العراق على هذا الشرط على أنى والله ما ادرى اصادق هو ام كاذب وهاهنا واخذة وهى

لكم دونى ولابد من ان احتمل لكم اذ لم تحتملوا لي والله ما مشيتم معه الا وانتم توجبون حقه وتوجبون رفده لوكنت أوجب له مثل ما توجبون لقد كنت اغنيته عنكم وانا لا اعرفه ولا يضربني بحق فهلموا نتوزع هذه الفضلة بيننا بالسوية هذا أحسن ممن احتمل حقا لا يجب عليه في رضى من يجب ذلك عليه فقاموا ولم يعودوا فخرج اليه التاجر من حقه وايس مما قبله .

(حدثنى) جعفر بن اخت واصل قال قلت لابى عيينة قد أحسن الذى سأل امرأته عن اللحم فقالت أكله السنور فوزن السنور ثم قال هذا اللحم فاين السنور قال كانك تعرض بي قال قلت انك والله اهل ذلك شيخ قد قارب المائة وعليه فاضلة وعياله قليل ويعطى الاموال على مذاكرة العلم والعلم لذته وصناعته ثم يرقى الي جوف منزله وانت رجل لك فى البستان ورجل في اصحاب الفسيل ورجل فى السوق ورجل في الكلا تطلب من هذا وقر جص ومن هذا وقر آجر ومن هذا قطعة ساج ومن هذا هكذا ما هذا الحرص وما هذا الكد وما هذا الشغل لو كنت شابا بعيد الامل كيف كنت تكون ولو كنت مدينا كثير العيال كيف كنت تكون وقد رأيتك فيما حدث تلبس الاطمار وتمشى حافيا نصف النهار (قال) ثم اججم بلغنى انك فقدت قطعة بطيخ فالححت في المسئلة عنها فقيل لك أكلها السنور فرميت بباقى القطعة قدام السنور لتمتحن صدقهم من كذبهم فلما لم تأكله غرمتهم ثمن البطيخة كما هى قالوا لك كان الليل فان لم تكن التي أكلته من سنانير الجيران وكان الذى اكله سنورنا هذا فانك رميت اليه بالقطعة وهو شبعان منه فانظرنا ولا تذرمنا نمتحنه فى حال غير هذه فابيت الا اغرامهم قال ويلك انى والله ما أصل

الي منهم من الفساد الا بعض الفساد وقد قال زياد فى خطبته والله انى ما اصل منكم الي اخذ الحق حتي اخوض الباطل اليكم خوضا واما مالتنى عليه اتفاقا وانما ذهبت الى قوله لو ان فى يدى فسيلة ثم قيل لى ان القيامة تقوم الساعة لبادرتها فغرستها وقد قال ابو الدرداء فى وجعه الذى مات فيه زوجونى فانى اكره ان القى الله عزبا والعرب تقول من غلى دماغه فى الصيف غلت قدره فى الشتاء . قال مكرز العجز فراش وطيء لا يستوطئه الا الفشل الدثور وقال عبد الله بن وهب حب الهوينا يكسب النصب وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اياكم والراحة فانها غفلة وقال لو ان الصبر والشكر بعيران ما باليت أيهما اركب وقال تمعددوا واخشوشنوا واقطعوا الركب واركبوا الخيل نزوا. وقال لعمرو ابن معدى كرب حين شكا اليه الحفاء كذبت عليك الظهائر وقال احتفوا فانكم لا تدرون متي تكون الجفلة. وقال ان يكن الشغل مجهدة فان الفراغ مفسدة . وقال لسعيد بن حاتم احذر النعمة كحذرك من المعصية ولهى اخوفهما عليك عندى . وقال احذركم عاقبة الفراغ فانه اجمع لابواب المكروه من الشغل وقال اكثم بن صيفى ما احب انى مكفى كل امر الدنيا قالوا وان أسمنت وألبنت قال نعم اكره عادة العجز افترانى ادع وصايا الانبياء وقول الخلفاء وتأديب العرب وآخذ بقولك. وتغدى محمد بن الاشعث عند يحي بن خالد فتذاكروا الزيت وفضل ما بينه وبين السمن وفضل ما بين الانفاق وزيت الماء فقال محمد عندى زيت لم ير الناس مثله قال يحي لا تؤتى منه بشيء فدعا يحي غلامه فقال اذا دخلت الخزانة فانظر الجرة الرابعة عن يمينك اذا دخلت فجئنا منه بشيء قال يحي ما يعجبني السيد يعرف موضع زيته وزيتونه . وقرب خباز

أسد بن عبد الله اليه وهو على خراسان شواء قد نضجه نضجاً وكان يعجبه
مارطب من الشواء فقال لخبازه اتظن ان صنيعك يخفى عليّ انك لست تبالغ
في انضاجه لتطيبه ولكن تستحلب جميع دسمه فتنتفع بذلك منه فبلغت اخاه
فقال ربّ جهل خير من علم . وكان رجل يغشى طعام الجوهري وكان
يتحرى وقته ولا يخطئ فاذا دخل والقوم يأكلون وحين وضع الخوان قال
لعن الله القدرية من كان يستطيع ان يصرفني عن أكل هذا الطعام وقد كان
في اللوح المحفوظ أني سآكله فلما أكثر مين ذاك قال له رياح تعال بالعشى
أو بالغداة فان وجدت شيئاً فالعن القدرية والعن آباءهم وامهاتهم وجاء غلام
الي خالد بن صفوان بطبق خوخ اما أن تكون هدية واما أن غلامه جاء
به من البستان فلما وضعه بين يديه قال لولا اني اعلم انك قد اكلت منه
لاطعمتك واحدة . وقال رمضان كنت مع شيخ اهوازيّ في جعفرية وكنت
في الذنب وكان في الصدر فلما جاء وقت الغداء اخرج من سلة له دجاجة
وفرخا واحداً مبرداً واقبل يأكل ويتحدث ولا يعرض عليّ وليس في
السفينة غيرى وغيره فرآني انظر اليه مرة والى ما بين يديه مرة فتوهم
اني اشتهيه واستبطئه فقال لي لم تحدق النظر من كان عنده أكل مثلي
ومن لم يكن عنده نظر مثلك قال ثم نظر اليّ وانا انظر اليه فقال يا هناه
انا رجل حسن الاكل لا آكل الا طيب الطعام وانا اخاف ان تكون عينك
مالحة وعين مثلك سريعة فاصرف عني وجهك قال فوثبت عليه فقبضت
على لحيته بيدى اليسرى ثم تناولت الدجاجة بيدى اليمنى فمازلت اضرب
بها رأسه حتي تقطعت في يدي ثم تحول الي مكاني فمسح وجهه ولحيته ثم

اقبل علي فقال قد اخبرتك ان عينك مالحة وانك ستصيبني بعين قلت وما شبه هذا من العين قال انما العين مكروه يحدث فقد ازلت بنا عينك اعظم المكروه فضحكت ضحكا ما ضحكت مثله وتكالنا حتي كأنه لم يقل قبيحا وحتي كأني لم افرط عليه هذه ملتقطات احاديث اصحابنا واحاديثنا وما رأينا بعيوننا فاما احاديث الاصمعي وابي عبيدة وابي الحسن فاني لم اجد منها ما يصلح لهذا الموضع الا ما قد كتبته في هذا الكتاب وهي بضعة عشر حديثا (قالوا) كان للمغيرة بن عبد الله بن ابي عقيل الثقفي وهو علي الكوفة جدي يوضع علي مائدته بعد الطعام ولم يكن احد يمسه اذ كان هو لا يمسه فاقدم عليه اعرابي يوما ولم يعرف سيرة اصحابنا فيه فلم يرض بأكل لحمه حتي تعرق عظمه فقال له المغيرة يا هذا تطالب عظام هذا الجدي بذحل هل نطحتك امه وكان الاصمعي يقول انما قال يا هذا تطالب عظام هذا البائس بذحل هل نطحتك امه قال وكان علي شرطته عبد الرحمن بن طارق فقال لرجل من الشرط ان اقدمت علي جدي الامير اسقطت عنك نوبة سنة فبلغه ذلك فشكاه الي الحجاج فعزله وولي مكانه زياد بن جديد فكان اثقل عليه من عبد الرحمن ولم يقدر علي عزله اذ كان من قبل الحجاج فكان المغيرة اذا خطب قال يا اهل الكوفة من بغاكم الغوائل وسعي بكم الي اميركم فلعنه الله ولعن امه العوراء وكانت ام زياد عوراء فكان الناس يقولون ما رأينا تعريضا قط اطيب من تعريضه (قالوا) وكان لزياد الحارثي جدي لا يمسه ولا يمسه احد فغشي في شهر رمضان قوما فيهم اشعب فعرض اشعب للجدي من بينهم فقال زياد امالاهل السجن امام يصلي بهم قالوا لا قال فليصل

بهم اشعب فقال اشعب او غير هذا اصلح الله الامير قال وماهو قال احلف بالمحرجات ان لا آكل لحم جدى ابداً (قالوا) دعا عبد الملك بن قيس الذئبي رجلا من اشراف اهل البصرة وكان عبد الملك بخيلا على الطعام جواداً بالدرهم فاستصحب الرجل ساكناً فلما رآه عبد الملك ضاق به ذرعا فاقبل عليه فقال له الف درهم خير لك من احتباسك علينا واحتمل غرم الف درهم ولم يحتمل اكل رغيف وتناول اعرابيّ من بين يدى سليمان بن عبد الملك دجاجة فقال له يكفيك مابين يديك ومايليك قال الاعرابي ومنها شئ حمي قال فخذها لا بورك لك فيها قال وكان معاوية تعجبه القبة وتغدى معه ذات يوم صعصعة بن صوحان فتناولها صعصعة من بين يدى معاوية قال معاوية انك لبعيد النجعة قال صعصعة من اجدب انتجع (وقال) دخل هشام بن عبد الملك حائطاً له فيه فاكهة واشجار وثمار ومعه اصحابه فجعلوا يأكلون ويدعون بالبركة فقال هشام يا غلام اقلع هذا واغرس مكانه الزيتون (قال) وكان المغيرة بن عبد الله بن ابى عقيل الثقفى يأكل تمراً هو واصحابه فانطفأ السراج وكانوا يلقون النوى فى طست فسمع صوت نواتين فقال من هذا الذى يلعب بكعبين (وقالوا) باع حويطب بن عبد العزى داراً من معاوية بخمسة واربعين الف دينار فقيل له اصبحت كثير المال قال وما منفعة خمسة واربعين الفاً مع ستة من العيال (وقالوا) سأل خالد بن صفوان رجل فاعطاه درهماً فاستقله السائل فقال يا احمق ان الدرهم عشر العشرة وان العشرة عشر المائة وان المائة عشر الالف وان الالف عشر العشرة آلاف اما ترى كيف ارتفع الدرهم الى دية مسلم قالوا كان بلال بن ابى بردة تدخاف الجذام

وهو والى البصرة فوصفوا له الاستنقاع في السمن فكان اذا فرغ من الجلوس فيه امر ببيعه فاجتنب الناس في تلك السنة اكل السمن وكان يفطر الناس في شهر رمضان فكانوا يجلسون حلقاً وتوضع لهم الموائد فاذا اقام المؤذن نهض بلال الى الصلاة ويستحي الآخرون فاذا قاموا الى الصلاة جاء الخبازون فرفعوا الطعام (قال) واحتقن عمر بن يزيد الاسديّ بحقنة فيها ادهان فلما حركته بطنه كره ان يأتي الخلاء فتذهب تلك الادهان فكان يجلس فى الطست ويقول صفوا هذا فانه يصلح للسراج (قال) وخبرنا جارله قال رأيته يتخلل من الطعام بخلال واحد شهراً كلما تغدى حذف من رأسه شيئاً ثم تخلل به ثم وضعه في مجرى دواته (وقالوا) كان ذراع الذراع مع خالد بن صفوان فوضعوا بين يديه دجاجة وبين يديه شيءٌ من زيتون فجعل يلقط الدجاجة فقال كانك تهمّ بها قال ومن يمنعني قال اذاً اصير انا وانت في مالي سواء (قال) ومد يده ابو الاشهب الى شيءٍ بين يدى نميلة بن مرة السعدى. فقال اذا افردت بشيءٌ فلا تعترض لغيره (قالوا) ومات وعليه للدقاق وحده ثمانون الف درهم لكثرة طعامه (وقالوا) كان الحكم بن ايوب الثقفى عاملا للحجاج على البصرة واستعمل على العراق جرير بن بيهس المازنى ولقب جرير المطرق فخرج الحكم يتنزه وهو باليمامة فدعا المعارق الى غدائه فأكل معه فتناول دراجة كانت بين يديه فعزله وولى مكانه نويرة المازنى فقال نويرة وهو ابن عم المطرق

قدكان فى الدرق صيدلوقنعت به	فيه غنى لك عن دراجة الحكم
وفي عوارض لا تنفك تأكلها	لوكان يشفيك لحم الجزر من قرم

وفى وطاب ممـلاة متممة فيها الصريح الذى يشفى من القرم

ولما ولى مكانه نويرة بلغه انه ابن عم له فعزله فقال نويره

أبا يوسف لوكنت تعرف طاعتي ونصحي اذا ما بعتني بالمحلق

ولا انحل سراق العراقة صالح عليّ ولا كلفت ذنب العطارق

فذهبت مثلا . وتناول رجل من قدام امير كان لنا ضخم بيضة فقال خذها فانها بيضة القر فلم يزل محجوبا حتي مات . واتى ضيعة له يتنزه اليها ومعه خمسة رجال من خاصته وقد حملوا معه طعام خمسمائة وثقل عليـه ان يأكلوا معه واشتد جوعه فجلس على مشارة بقل فاقبل ينتزع الفجلة فيطوى جزرتها بعرقها ثم يأكلها من غير ان تغسل من كلب الجوع ويقول لواحد منهم كان اقرب الخمسة اليه مجدا لو قد ذهب هؤلاء الثقلاء لقد اكلنا . (قالوا) واكل عبد الرحمن بن ابي بكرة على خوان معاوية فراى لقم عبد الرحمن فلما كان بالعشي وراح اليه ابو بكرة قال ما فعل ابنك التلقامة قال اعتل قال مثله لا يعدم العلة . واكل اعرابى مع ابى الاسود الدئلى فرأى له لقما منكرا وهاله ما يصنع قال له ما اسمك قال لقمان قال صدق اهلك انت لقمان (قالوا) وكان له دكان لا يسع الا مقعده وطبيقا يوضع بين يديه وجعله مرتفعا ولم يجعل له عتبا كى لا يرتقى اليه احد قالوا فكان اعرابى يتحين وقته ويأتيه على فرس فيصير كأنه معه على الدكان فاخذ دبة وجعل فيها حصى واتكأ عليها فاذا راى الاعرابى قد اقبل اراه كأنه يحول متكأه فاذا قعقعت الدبة بالحصى نفر الفرس (قالوا) فلم يزل الاعرابى يدنيه ويقعقع هو به حتى نفر منه فصرعه فكان لا يعود بعد ذلك اليه .

رسالة ابى العاص بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى
الى الثقفى

بسم الله الرحمن الرحيم . اما بعد فان جلوسك الى الاصمعى وعجبك بسهل بن هارون واسترجاحك اسماعيل بن غزوان وطعنك على موسى ابن عمران وخلطتك بابن مشارك واختلافك الى ابن التوءام واكثارك من ذكر المال واصلاحه والقيام عليه واصطناعه واطنابك فى وصف الترويج والتثمير وحسن التعهد والتوفير دليل على خبئ سوء وشاهد على عيب ودبر بعد ان كنت تستثقل ذكرهم وتستشنع فعلهم وتتعجب من مذهبهم وتسرف فى ذمهم . وليس يلهج بذكر الجمع الا من قد عزم على الجمع ولا يأنس بالبخلاء الا المستوحش من الاسخياء وفى تحفظك قول سهل بن هارون فى الاستعداد فى حال المهلة وفى الاخذ بالثقة وأن اقبح التفريط ما جاء مع طول المدة وان الحزم كل الحزم والصواب كل الصواب ان يستظهر على الحدثان وان يجعل ما فضل عن قوام الابدان رداء دون صروف الزمان وأنا لا ننسب الى الحكمة حتي نحوط أصل النعمة بان نجعل دون فضولها جنة شاهد على عجبك بمذهبه وبرهان على ميلك الى سبيله وفى استحسانك رواية الاصمعى فى ان اكثر أهل النار النساء والفقراء وان اكثر أهل الجنة البله والاغنياء وان ارباب الدثور هم الذين ذهبوا بالاجور برهان على صحة حكمنا عليك ودليل على صواب رأينا فيك وتفضيلك كلام ابن غزوان حين قال تنعمتم بالطعام الطيب وبالثياب الفاخرة وبالشراب الرقيق وبالغناء المطرب وتنعمنا بعز الثروة وبصواب النظر فى العاقبة وبكثرة المال والامن من سوء

الحال ومن ذل الرغبة الى الرجال والعجز عن مصلحة العيال فتلك لذتكم وهذه لذتنا وهذا رأينا في التسلم من الذم وذاك رأيهم في التعريض للحمد وانما ينتفع بالحمد السليم الفارغ البال ويسر باللذات الصحيح الصادق الحس فاما الفقير فما اعياه عن الحمد وافقره الي ما به يجد طعم الحمد والطعام الذى آثرتموه يعود رجيعا والشراب يصير بولا والبناء يعود نقضاً والثناء ريح هابة ومسقط للمروءة وسخافة تفسد ورثة تسير فلذتكم فيما حوى لكم الفقر ونقض المروءة ولذتنا فيما حوى لنا الغنى وبنى المروءة فنحن في بناء وانتم في هدم ونحن فى ابرام وانتم في نقض ونحن فى التماس الغنى الدائم مع فوت بعض اللذة وانتم فى التعرض للذل الدائم مع فوت كل مروءة وقد فهمنا معنى حكايتك وما لهجت به من روايتك والدليل على انتقاض طباعك وادبار امرك استحسانك ضد ما كنت تستحسن وعشقك لما لم تزل تمقت فبعداً وسحقاً ولا يبعد الله الا من ظلم والشاعر ابصر بكم حيث يقول

فان سمعت بهلك للبخيل فقل بعداً وسحقاً له من هالك مودى
تراثه جنة للوارثين اذا أودى وجثمانه للترب والدود

وقال آخر

تبلى محاسن وجهه فى قبره والمال بين عدوه مقسوم

والحمد لله الذى لم يمتنى حتي ارانيك وكيلا فى مالك واجيرا لوارثك وما انت فقد تعجلت الفقر قبل اوانه وصرت كالمجلود فى غير لذة وهل تزيد حال من انفق جميع ماله ورأى المكروه فى عياله وظهر فقره وشمت به عدوه على اكثر من انصراف المؤانسين عنه وعلى بغض عياله وعلى خشونة

الملبس وخشونة المآكل وهذا كله مجتمع فى مسك البخيل ومصبوب على
هامة الشحيح ومعجل لشيم وملازم للمنوع الا ان المنفق قد ربح المحمدة
وتمتع بالنعمة ولم يعطل المقدرة ووفى كل خصلة من هذه حقها ووفر عليها
نصيبها والممسك معذب بحصر نفسه وبالكد لغيره مع لزوم الحجة وسقوط
الهمة والتعرض للذم والاهانة ومع تحكيم المرة السوداء فى نفسه وتسليطها على
عرضه وتمكينها من عيشه وسرور قلبه ولقد سرى اليك عرق ولقد دخل
اعراقك جور ولقد عمل فيها قادح ولقد غالها غول وما هذا المذهب من
اخلاق صميم ثقيف ولا من شيم اعرقت فيها قريش ولقد عرض لك اقراف
ولقد افسدتك هجنة ولقد قال معاوية من لم يكن من بنى عبد المطلب جواداً
فهو بخيل ومن لم يكن من آل الزبير شجاعا فهو لزيق ومن لم يكنَ من بنى
المغيرة تياهاً فهو سنيد وقال سلم بن قتيبة اذا رأيت الثقفى يفرّ من غير طعام
ويكسب لغير انفاق فبهرجه ثم بهرجه وقال بن ابى بردة لولا شباب ثقيف
وسفاؤهم ما كان لاهل البصرة مال ان الله جواد لا يبخل وصدوق لا يكذب
ووفىّ لا يغدر وحليم لا يعجل وعدل لا يظلم وقد امرنا بالجود ونهانا عن
البخل وامرنا بالصدق ونهانا عن الكذب وامرنا بالحلم ونهانا عن العجلة وامرنا
بالعدل ونهانا عن الظلم وامرنا بالوفاء ونهانا عن الغدر فلم يأمرنا الا بما اختاره
لنفسه ولم يزجرنا الا عما لم يرضه لنفسه وقد قالوا باجمعهم ان الله اجود
الاجودين وامجد الامجدين كما قالوا ارحم الراحمين واحسن الخالقين وقالوا
فى التأديب لسائليهم والتعليم لاجوادهم لا تجاودوا الله فان الله جل ذكره
اجود وامجد وذكر نفسه جلّ جلاله وتقدست اسماؤه فقال ذو الفضل

العظيم وذى الطول لااله الا هو وقال ذو الجلال والاكرام وذكروا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لم يضع درهماً على درهم ولا لبنة على لبنة وملك جزيرة العرب فقبض الصدقات وجبيت له الاموال ما بين غدران العراق الى شحر عمان الى اقصي مخاليف اليمن ثم توفي وعليه دين ودرعه مرهونة ولم يسئل حاجة قط فقال لا وكان اذا سئل اعطى واذا وعد او اطمع كان وعده كالعيان واطماعه كالانجاز ومدحته الشعراء بالجود وذكرته الخطباء بالسماح ولقد كان يهب للرجل الواحد الضاجعة من الشاء والعرج من الابل وكان اكثر مايهب الملك من العرب مائة بعير فيقال وهب هنيدة وانما يقال ذلك اذا اريد بالقول غاية المدح ولقدوهب لرجل الف بعير فلما رآها تزدحم في الوادى قال اشهد انك نبيّ وماهذا مماتجود به الانفس وفخرت هاشم على سائر قريش فقالوا نحن اطعم للطعام واضرب للهام وذكرها بعض العلماء فقالوا اجواد امجاد ذوو ألسنة حداد واجمعت الامم كلها بخيلها وسخيها وممزوجها على ذمّ البخل وحمد الجود كما اجمعوا على ذم الكذب وحمد الصدق وقالوا افضل الجود الجود بالمجهود وحتي قالوا في جهد المقل وفيمن اخرج الجهد واعطى الكل وحتي جعلوا لمن جاد بنفسه فضيلة على من جاد بماله فقال الفرزدق

على ساعة لو كان في القوم حاتم　　على جوده ضنت به نفس حاتم

ولم يكن الفرزدق ليضرب المثل في هذا الموضع بكعب بن مامة وقد جاد بحوبائه عند المصافنة فما رأينا عربيا سفه حلم حاتم لجوده بجميع ماله ولا رأينا احداً منهم سفه حلم كعب على جوده بنفسه بل جعلوا ذلك

من كعب لاياد مفخرا وجعلوا ذلك من حاتم طيئ مأثره لعدنان على قطحان ثم للعرب على العجم ثم لسكان جزيرة العرب ولاهل تلك البرية على سائر الجزائر والترب فمن اراد ان يخالف ما وصف الله جل ذكره به نفسه وما منح من ذلك نبيه صلى الله عليه وسلم وما فطر على تفضيله العرب قاطبة والامم كافة لم يكن عندنا فيه الا اكفاره واستسقاطه ولم نر الامة ابغضت جوادا قط ولاحقرته بل احبته واعظمته بل احبت عقبه وأعظمت من اجله رهطه ولاوجدناهم ابغضوا جواداً لمجاوزته حد الجود الى السرف ولا حقرته بل وجدناهم يتعلمون مناقبه ويتدارسون محاسنه وحتي اضافوا اليه من نوادر الجميل ما لم يفعله ونحلوه من غرائب الكرم مالم يكن يبلغه ولذلك زعموا ان الثناء فى الدنيا يضاعف كما تضاعف الحسنات في الآخرة نعم وحتيَ اضافوا اليه كل مديح شارد وكل معروف مجهول الصاحب ثم وجدنا هؤلاء بأعيانهم للبخيل على ضد هذه الصفة وعلى خلاف هذا المذهب وجدناهم يبغضونه مرة ويحقرونه مرة ويبغضون بفضل بغضه ولده ويحتقرون بفضل احتقارهم له رهطه ويضيفون اليه من نوادر اللؤم ما لم يبلغه ومن غرائب البخل ما لم يفعله وحتي ضاعفوا عليه من سوء الثناء بقدر ما ضاعفوا للجواد من حسن الثناء وعلى انا لا نجد الجوائح الى اموال الاسخياء اسرع منها الى اموال البخلاء ولا رأينا عدد من افتقر من البخلاء اقل والبخيل عند الناس ليس هو الذى يبخل على نفسه فقط فقد يستحق عندهم اسم البخيل ويستوجب الذم ولا يدع لنفسه هوى الا ركبه ولا حاجة الا قضاها ولا شهوة الا ركبها وبلغ فيها غايته وانما يقع عليه اسم البخيل اذا كان زاهداً في كل ما اوجب

الشكر ونوه بالذكر وادخر الاجر وقد ينفق البخيل على نفسه من المؤن ويلزمها من الكلف ويتخذ من الجوارى والخدم ومن الدواب والحشم ومن الآنية العجيبة ومن البزة الفاخرة والشارة الحسنة ما يربو على نفقة السخى المثرى ويضعف على جود الجواد الكريم فيذهب ماله وهو مذموم ويتغير حاله وهو ملوم وربما غلب عليه حب القيان واستهتر بالخصيان وربما افرط فى حب الصيد واستولى عليه حب المراكب وربما كان اتلافه فى العروس والخرس والوليمة واسرافه فى الاعذار وفى العقيقة والوكيرة وربما ذهبت امواله فى الوضائع والودائع وربما كان شديد البخل شديد الحب للذكر ويكون بخله أوسخ ولؤمه اقبح فينفق امواله ويتلف خزائنه ولم يخرج كفافا ولم ينج سليما كأنك لم تر بخيلا مخدوعا وبخيلا مضعوفا وبخيلا مضياعا وبخيلا نفاجا وبخيلا ذهب ماله فى البناء وبخيلا ذهب ماله فى الكيمياء وبخيلا انفق ماله فى طمع كاذب وعلى أمل خائب وفى طلب الولايات والدخول فى القبالات وكانت فتنته بما يؤمل من الامرة فوق فتنته بما قد حواه من الذهب والفضة قد رأيناه ينفق على مائدته وفاكهته الف درهم فى كل يوم وعنده فى كل يوم عرس ولأن يطعن طاعن فى الاسلام اهون عليه من ان يطعن فى الرغيف الثانى * ولا شق عصا الدين اشد عليه من شق رغيف لا يعد الثلمة فى عرضه ثلمة ويعدها فى ثريدته من اعظم الثلم وانما صارت الآفات الى اموال البخلاء اسرع والجوائح عليهم اكلب لانهم اقل توكلا واسوأ بالله ظنا والجواد اما ان يكون متوكلا واما ان يكون احسن بالله ظنا وهو على كل حال بالمتوكل اشبه والى ما اشبه ينزع وكيف ما دار امره ورجعت الحال به فليس ممن يتكل على حزمه ويلجأ الى

كيسه ويرجع الى جودة احتياطه وشدة احتراسه واعتلال البخيل بالحدثان وسوء الظن بتقلب الزمان انما هو كناية عن سوء الظن بخالق الحدثان وبالذى يحدث الازمان واهل الزمان وهل تجرى الاحداث الا على تقدير المحدث لها وهل تختلف الازمنة الا على تصريف من دبرها أولسنا وان جهلنا اسبابها فقد اتقنا بانها تجرى الى غاياتها والدليل على انه ليس بهم خوف الفقر وان الجمع والمنع اما ان يكون عادة منهم أو طبيعة فيهم انك قد تجد الملك بخيلا ومملكته اوسع وخرجه ادرّ وعدوه اسكن وتجد احزم منه جواداً وان كانت مملكته اضيق وخرجه اقل وعدوه اشد حركة وقدعلمنا ان الزنج اقصر الناس مدة وروية واذهلهم عن معرفة العاقبة فلوكان سخاؤهم انما هو لكلال حدهم ونقص عقولهم وقلة معرفتهم لكان ينبغى لفارس ان تكون ابخل من الروم وتكون الروم ابخل من الصقالبة وكان ينبغى فى الرجال في الجملة ان يكونوا ابخل من النساء في الجملة وكان ينبغي للصبيان ان يكونوا اسخى من النساء وكان ينبغي ان يكون اقل البخلاء عقلا اعقل من اشد الاجواد عقلا وكان ينبغي للكلب وهو المضروب به المثل في اللوم ان يكون اعرف بالامور من الديك المضروب به المثل في الجود وقالوا هو اسخى من لافطة والام من كلب على جيفة والام من كلب على عرق وقالوا اجع كلبك يتبعك ونعم كلب في بؤس اهله وسمن كلبك يأكلك واحرص من كلب على عقي ظبي واجوع من كلبة حومل ولهو ابدأ من كلب ويس فلان من خرء الكلب واخسأ كما يقال للكلب وكالكلب فى الآرى لا هو يعتلف ولا هو يترك الدابة تعتلف وقال الشاعر

سرت ما سرت من ليلها ثم عرست على رجل بالعرج ألأم من كاب

وقال الله جل ذكره فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث وكان ينبغي في هذا القياس ان يكون المراوزة اعقل البرية واهل خراسان ادرى البرية ونحن لا نجد الجواد يفر من اسم السرف الى الجود كما نجد البخيل يفر من اسم المنهزم والمستحي يفر من اسم الخجل ولو قيل لخطيب ثابت الجنان وقاح لجزع فلو لم يكن من فضيلة الجود الا ان جميع المتجاوزين لحدود اصناف الخير يكرهون اسم تلك الفضلة الا الجواد لقد كان في ذلك ما يبين قدرته ويظهر فضله المال فاتن والنفس راغبة والاموال ممنوعة وهى على ما منعت حريصة وللنفوس فى المكاثرة علة معروفة لان من لا فكرة له ولا روية موكل بتعظيم ذى الثروة وان لم يكن منه مناله وقد قال الاول

وزادها كلفاً بالحب أن منعت أحب شيء الى الانسان ما منعا

وفي بعض كتب الفرس كل عزيز تحت القدرة فهو ذليل وقالت معاذة العدوية كل مقدور عليه فقلو أو محقور ولو كانوا لاولادهم يجمعون ولهم يكدون ومن اجلهم يحرصون لجعلوا لهم كثيراً مما يطلبون ولتركوا محاسبتهم فى كثير مما يشتهون وهذا بعض ما بغض بعض المورثين الى الوارثين وزهد الاخلاف فى طول عمر الاسلاف ولو كانوا لاولادهم يمهدون ولهم يجمعون لما جمع الخصيان الاموال ولما كنز الرهبان الكنوز واستراح العاقر من ذل الرغبة ولسلم العقيم من كد الحرص وكيف ونحن نجده بعد ان يموت ابنه الذى كان يعتل به والذى من اجله كان يجمع على حاله فى الطلب والحرص وعلى مثل ما كان عليه من الجمع والمنع والمادة لم تقصر فى مطلب والحكرة

والبخلاء لم يجدوا شيئاً من جهدهم ولا عدوا بعد قدرتهم ولا قصروا في شيء من الحرص والحصر لانهم في دار قلعة وبعرض نقلة حتى لو كانوا بالخلود موقنين لاغتلوا تلك الفضول فالبخيل مجتهد والدامي غير مقصر فمن لم يستعن على ما وصفنا بطبيعة قوية وبشهوة شديدة وبنظر شاف كان اما عاميا واما بخيلا شقيا فيقيم اعتلالهم باولادهم واحتجاجهم بخوف التلون من ازمنتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوافد كذب عنده كذبة وكان جواداً لولا خصلة ومقك الله عليها لشردت بك من وافد قوم وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم هل لك في بيض النساء وأدم الابل قال ومن هم قال بنو مدلج قال يمنعني من ذاك قراهم الضيف وصلتهم الرحم وقال لهم أيضاً اذا نحروا نحوا واذا لبوا عجوا وقال للانصار من سيدكم قالوا جد بن قيس على انه يزن فينا ببخل فقال واى داء ادوى من البخل ثم جعله من ادوا الداء وقال للانصار اما والله ما علمتكم الا لتكثرون عند الفزاع وتقلون عند الطمع وقال كفى بالمرء حرصاً ركوبه البحر وقال لو ان لابن آدم واديين من مال لابتغى ثالثاً ولا يشبع ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال السخاء من الحياء والحياء من الايمان وقال ان الله جواد يحب الجود وقال انفق يا بلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا وقال لا توكى فيوكى عليك وقال لا تحصى فيحصى عليك وقالوا لا ينفعك من زاد ما تبقى ولم يسم الذهب والفضة بالحجرين الا وهو يريد ان يضع من اقدارهما ومن فتنة الناس بهما وقال لقيس بن عاصم انما لك من مالك ما اكلت فافنيت وما لبست فابليت أو اعطيت فامضيت وما سوى ذلك فللوارث وقال النمر بن تولب

وحثت على جمع ومنع وقسها   لمانى صروف الدهر حق كذوب
وكائن رأينا من كريم مرزأ   أخى ثقة طلق اليدين وهوب
شهدت وفاتونى وكنت حسبتنى   فقيراً الى أن يشهدوا وتغيبي
أعاذل إن يصبح صداى بقفرة   بعيداً نآنى صاحبي وقريبي
ترى أن ما أبقيت لم أك ربه   وان الذى أمضيت كان نصيبي
وذى إبل يسعى ويحسبها له   أخى نصب في شقها ودؤوب
غدت وغدا رب سواه يسوقها   وبدل احجاراً وحال قليب

وقال ايضاً

قامت تباكر أن سبأت لفتية   زقا وخابية بعود مقطع
وقريت فى مقرى قلائص اربعا   وقريت بعد قرى قلائص اربع
اتبكيا من كل شئ هين   سفه بكآء العين ما لم تدمع
فاذا أتانى إخوتى فدعيهم   يتعللوا في العيش أو يلهوا معى
لا تطرديهم عن فراشى انهم   لا بد يوماً أن سيخلو مضجعى
هلا سألت بعادياء وبيته   والخيل والخمر التي لم تمنع

وقال الحارث بن حلزه

بينا الفتي يسعى ويسعى له   تاح له من أمره خالج
يترك ما رقح من عيشه   يعيث فيه همج هامج
لا تكسع الشول بأغبارها   انك لا تدرى من الناتج

وقال الهذلى

ان الكرام مناهبو   ك المجد كلهم فناهب

أخلف وأتلف كل شيء ذرعته الريح ذاهب

وقالت امرأة

انت وهبت الفتية السلاهب وابلا يحار فيها الحالب
وغنما مثل الجراد الهارب متاع ايام وكل ذاهب

وقال تميم بن مقبل

فأخلف وأتلف انما المال عارة وكله مع الدهر الذى هو آكله

وقال ابو ذرّ لك في مالك شريكان الوارث والحدثان وقال الحطيئة

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

وجاء فى الأثر ان اهل المعروف فى الدنيا اهل المعروف فى الآخرة وفي المثل اصنع الخير ولو الى كلب وقال في الحث على القليل فضلا على الكثير قال الله جل ذكره فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره وقالت عائشة في حبة عنب ان فيها لمثاقيل ذر ولذلك قالوا فى المثل من حقر حرم وقال سلم بن قتيبة يستحى احدهم من تقريب القليل من الطعام ويأتى اعظم منه وقال جهد المرء اكثر من عفوه. وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم جهد المقل على عفو المكثر وان كان مبلغ جهده قليلا ومبلغ عفو المكثر كثيراً . وقالوا لا يمنعك من معروف صغره وقال النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة وقال لا تردوا السائل ولو بظلف محرق وقال لا تردوه ولو بفرسن شاة وقال لا تحقروا اللقمة فانها تعود كالجبل العظيم لقول الله جل ذكره «يمحق الله الربا ويربى الصدقات» وقال لا تردوه ولو بصلة حبل وقالت العرب اتاكم اخوكم يستتمكم فاتموا له وقالوا مانع الاتمام

الأم وقالوا البخيل ان سأل ألحف وان سئل سوف . وقالوا ان سئل جحد وان اعطى حقد وقالوا يرد قبل ان يسمع ويغضب قبل ان يفهم وقالوا البخيل اذا سئل ارتز واذا سئل الجواد اهتز وقال النبي صلى الله عليه وسلم ينادي كل يوم مناديان من السماء يقول احدهما اللهم عجل لمنفق خلفا ويقول الآخر اللهم عجل لممسك تلفاً . وقالوا شر الثلاثة المليم يمنع دره ودر غيره وقال الله جل ذكره «الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل» وقالوا في المثل ان الجائك الدهر الى بخيل شر مما الجائك الى مخة عرقوب وقال النبي صلى الله عليه وسلم قل العدل واعط الفضل وقال النبي صلى الله عليه وسلم انها كم عن عقوق الامهات ووأد البنات ومنع وهات وقال الله عز وجل ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما واسيراً وقال لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقال ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وقالوا في الصبر على النائبة وفي عاقبة الصبر عند الصباح يحمد القوم السرى وقالوا الغمرات ثم ينجلين وقال الخزيمي

ودون الندى في كل قلب ثنية   بها مصعد حزن ومنحدر سهل
وود الفتى في كل نيل ينيله   اذا ما انقضى لو أن نائله جزل

وقالوا خير الناس خير الناس للناس وشر الناس شر الناس للناس وقالوا خير مالك ما نفعك وقالوا عجباً لفرط الكبرة مع شباب الرغبة وقال الراجز

كاننا يأمل مدافي الاجل   والمنايا هي آفات الاجل

وقال عبيد الله بن عكراش زمن خؤون ووارث شنون وكاسب [illegible]
فلا تأمن الخؤوف وكن ارث الشنون وقال يهرم ابن آدم و[illegible]

خصلتان الحرص والامل وكانوا يعيبون من يأكل وحده وقالوا ما اكل ابن عمر وحده قط وقالوا ما اكل الحسن وحده قط وسمع مجاشع الربعي قولهم الشحيح اعذر من الظالم قال اخزى الله أمرين خيرهما الشح وقال بكر بن عبد الله المزني لو كان هذا المسجد مفعماً بالرجال ثم قيل لي من خيرهم لقلت خيرهم لهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم الا أنبئكم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال من نزل وحده ومنع رفده وجلد عبده وقالت امرأة عند جنازة رجل اما والله ما كان مالك لبطنك ولا امرك لعرسك

فلما بلغت الرسالة ابن التوأم كره ان يجيب ابا العاص لما في ذلك من المنافسة والمباينة وخاف ان يترقى الامر الى اكثر من ذلك فكتب هذه وبعث بها الى الثقفي

بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فقد بلغني ما كان من ذكر ابي العاص لنا وتنويهه باسمائنا وتشنيعه علينا وليس يمنعنا من جوابه الا انه ان اجابنا لم يكن جوابنا اياه على قوله الثاني احق بالترك من جوابنا على قوله الاول فان نحن جعلنا لابتدائه جوابا وجعلنا لجوابه الثاني جوابا خرجنا الى التهاتر وصرنا الى التجابر ومن خرج الى ذلك فقد رضى باللجاج حظا وبالسخف نصيبا وليس بمحترس من اسباب اللجاج الا من عرف اسباب البلوى ومن وقاه الله سوء التكلف وسخفه وعصمه من سوء التصميم ونكده فقد اعتدلت طبائعه وتساوت خواطره ومن ليس قامت اخلاطه على الاعتدال وتكافت خواطره في الوزن لم يسرف من الاعمال الاقتصاد ولم يجد افعاله ابدا الا بين التقصير والافراط لان الموزون لا يولد الا موزونا كما ان المختلف لا يولد الا

مختلفا فالمتابع لا يثنيه زجر وليست له غاية دون التلف والمتكى ليس له مأتى ولا جهة ولا له رقية ولا فيه حيلة وكل متلون في الارض فنحل العقد ميسر الكل زيح فدع عنك خلطة الامعة فانه حارس لا خير فيه واجتنب ركوب الجموح فان غايته قبل الذواق ذى البدوات ولا فى الحرون ذى التصمم والمتاون شر من المصمم اذ كنت لا تعرف له حالا يقصد اليها ولا جهة يعمل عليها ولذلك صار العاقل يخدع العاقل ولا يخدع الاحمق لان ابواب تدبير العاقل وخيله معروفة وطرق خواطره مسلوكة ومذاهبه محصورة معدودة وليس لتدبير الاحمق وحيله جهة واحدة ومن اخطاها كذب والخبر الصادق عن الشئ الواحد واحد والخبر الكاذب عن الشئ الواحد لا يحصى له عدد ولا يوقف منه على حد والمصمم قتله بالاجهاز والمتاون قتله بالتعذيب فان قلنا فليس اليه نقصد وان احتججنا فلسنا عليه نرد ولكنا اليك نقصد بالقول واليك نريد بالمشورة وقد قالوا احفظ سرك فان سرك من دمك وسواء ذهاب نفسك وذهاب مابه يكون قوام نفسك قال المنجاب العنبرى ليس بكبير مااصلحه المال وفقد الشئ الذى به تصلح الامور اعظم من الامور ولهذا قالوا في الابل لو لم يكن فيها الا انها رقوء الدم فالشئ الذى هو ثمن الابل وغير الابل احق بالصون وقد قضوا بان حفظ المال اشد من جمعه ولذلك قال الشاعر

وحفظك مالا قد عنيت بجمعه اشد من الجمع الذى أنت طالبه

ولذلك قال مشترى الارض لبائعها حين قال له البائع دفعتها اليك بطيئة الاجابة عظيمة المؤونة قال دفعتها اليك بطيئة الاجتماع سريعة التفرق

والدرهم هو القطب الذى تدور عليه رحا الدنيا واعلم ان التخلص من نزوات الدرهم فتقلته من سكر الغنى وتمانه شديد فلو كان اذا تفلت كان حارسه صحيح العقل سليم الجوارح لرده فى عقاله واشده بوثاقه ولكنا وجدناضمنه عن ضبطه بقدر قلته في يدو ولا تغتر بقولهم مال صامت فانه انطق من كل خطيب وانم من كل نمام فلا تكترث بقولهم هذين الحجرين فتوهم جمودهما وسكونهما وقلة ذائهما وطول اقامتهما فان عملهما وهما ساكنان وتقتضهما للطبائع وهما ثابتان اكثر من صنيع السم الناقع والسبع العادي فان كنت لا تكتفي بصنيعه حتي تمده ولا تحتل فيه حتي يحتال له فالقبر خير لك من الفقر والسجن خيرلك من الذل وقولي هذا مرة يعقب حلاوة الابد فخذ لنفسك بالثقة فقولك الماضي حلو يعقب مرارة الابد فخذ لنفسك بالثقة ولا ترض ان يكون الحرباء الراكب العود احزم منك فان الشاعر يقول

أنى أتيح لها حرباء تنضبة لا يرسل الساق الا ممسكا ساقا

واحذر ان تخرج من مالك درهما حتي ترى مكانه خيرا منه ولا تنظر الي كثرته فان رمل عالج لو اخذ منه ولم يرد عليه لذهب عن آخره ان القوم قد اكثروا في ذكر الجود وتفضيله وفى ذكر الكرم وتشريفه وسموا السرف جودا وجعلوه كرما وكيف يكون كذلك وهو نتاج مابين الضعف والنفج وكيف والعطاء لايكون سرفا الا بعد مجاورة الحق وليس وراء الحق الي الباطل كرم واذا كان الباطل كرما كان الحق لوءما والسرف حفظك الله معصية واذا كانت معصية الله كرما كانت طاعته لوءما ولئن جمعهما اسم واحد وشملهما حكم واحد ومضادة الحق للباطل كمضادة الصدق للكذب والوفاء

للغدر والجور للعدل والعلم للجهل ليجمعن هذه الخصال اسم واحد وليشملن
حكم واحد وقد وجدنا الله عاب السرف وعاب الحمية وعاب العصبيه
ووجدناه قد خص السرف بما لم يخص به الحمية لانه ليس حب المرء لرهطه
من العصبية ولا انفته من الضيم من حمية الجاهليه وانما العصبية ماجاوز
الحق والحمية المعيبة ماتعدى القصد فوجدنا اسم الانفة قد يقع محمودا ومذموما
ولا وجدنا اسم العصبية ولا اسم السرف يقع ابدا الامذموما وانما يسر باسم
السرف جاهل لاعلم له اورجل انما يسر به لان احدا لايسميه مسرفا حتي
يكون عنده قد جاوز حد الجود وحكم له بالحق ثم اردفه بالباطل فان سر من
غير هذا الوجه فقد شارك المادح في الخطأ وشاكله في وضع الشئ في غير
موضعه وقد اكثروا في ذكر الكرم وما الكرم الا كبعض الخصال المحمودة
التي لم يعدمها بعض الذم وليس شئ يخلو من بعض النقص والوهن وقد زعم
الاولون ان الكرم يسبب الغنى وان الغنى يسبب البله وانه ليس وراء البله
الا المعتوه وقد حكوا عن كسرى انه قال احذروا صولة الكريم اذا جاع
واللئيم اذا شبع وسواء جاع فظلم واحفظ وعسف أم جاع وكذب وضرع
واسف وسواء جاع فظلم غيره ام جاع فظلم نفسه والظلم لؤم وان كان الظلم
ليس بلؤم فالانصاف ليس بكرم وان كان الجود على من لايستحق الجود
كرما فالجود لمن وجب له ذلك ليس بكرم فالجود اذا كان لله كان شكرا
له والشكر كرم وان يكن الجود اذا كان معصية كرما فكيف يتكرم من
يتوصل باياديك الى معصيتك وبنعمك الى سخطك فليس الكرم الا الطاعة
وليس بكرم ماخالف الشكر ولئن كان مجاوز الحق كريما ليكونن المقصر

دونه كرتيا فان قضيتم بقول العامة فالعامة ليست بقدوة وكيف يكون قدوة
من لا ينظر ولا يحصل ولا يفكر ولا يمثل فان قضيتم باقاويل الشعراء وما كان
عليه اهل الجاهلية الجهلاء فا قبحوه مما لا يشك فى حسنه اكثر من أن
نقف عليه أو نتشاغل باستقصائه على انه ليس بجود الا ما أوجب الشكر كما
انه ليس ببخل الا ما أوجب اللؤم ولن تكون العطية نعمة على المعطى حتي
تراود بها نفس ذلك المعطى ولن يجب عليه الشكر الا مع شريطة القصد
وكل من كان جوده يرجع اليه ولولا رجوعه اليه لما جاد عليك ولو تهيأ له
ذلك المعنى فى سواك لما قصد اليك فانما جعلك معبراً لدرك حاجته ومركبا
لبلوغ محبته ولولا ان بعض القول أوجب لك عليه حقا يجب به الشكر فليس
يجب لمن كان كذلك شكر وان انتفعت بذلك منه اذ كان لنفسه عمل لانه
لو تهيأ له ذلك النفع فى غيرك لما تخطاه اليك وانما يوصف بالجود فى الحقيقة
ويشكر على النفع فى حجة العقل الذى ان جاد عليك فلك جاد وتلك اراد
من غير ان يرجع اليه جوده بشيء من المنافع على جهة من الجهات وهو الله
وحده لا شريك له فان شكرنا للناس على بعض ما قد جرى لنا على ايديهم
فانما هو لا مرين احدهما التعبد وقد نعبد الله بتعظيم الوالدين وان كانا
شيطانين وتعظيم من هو شر منا وان كنا أفضل منهم والآخر لان النفس
ما لم تحصل الامور وتميز المعانى بالسابق اليها احبت من جرى لها على يده
خير وان كان لم يردها ولم يقصد اليها ووجدنا عطية الرجل لصاحبه لا تخلو
ن تكون لله أو لغير الله فان كانت لله فثوابه على الله وكيف يجب علىّ فى
حجة العقل شكره وهو لو صادف ابن سبيل غيرى لما حملنى ولا أعطانى واما

ان يكون اعطاءه اياى للذكر فاذا كان الامر كذلك فانما جعلني سلما الى
تجارته وسببا الى بغيته أو يكون اعطاءه اياى من طريق الرحمة ولما يجد فى
فؤاده من الغصة والالم فان كان لذلك اعطى فانما داوى نفسه من دائه وكان
كالذى رفه من خناقه وان كان انما اعطانى على طلب المجازاة وحب المكافاة
فامر هذا معروف وان كان انما اعطانى من خوف يدي أو لسانى أو صرف
معونتي ومضرتى فسبيله سبيل جميع ما وصفنا وفصلنا فلاسم الجود موضعان
احدهما حقيقة والآخر مجاز فالحقيقة ماكان من الله والمجاز المشتق له من
هذا الاسم وماكان لله كان ممدوحاً وكان لله طاعة فاذا لم تكن العطية من
الله ولا لله فليس يجوز هذا فيما سموه جوداً فما ظنك بما سموه سرفا افهم
ما أنا موردة عليك وواصفه لك ان التربح والتكسب والاستئكال بالخديعة
والطعم الخبيثة فاشية غالبة ومستفيضة ظاهرة على أن كثيراً ممن يضاف
اليوم الى النزاهة والتكرم والى الصيانة والتوقى ليأخذ من ذلك بنصيب وافر
وبجد واف فما ظنك بدهماء الناس وجمهورهم بل ما ظنك بالشعراء
والخطباء الذين انما تعلموا المنطق لصناعة التكسب وهؤلاء قوم بودهم
ان ارباب الاموال قد جاوزوا حد السلامة الى الغفلة حتي لا يكون
للاموال حارس ولا دونها مانع فاحذرهم ولاتنظرالى بزة احدهم فان
المسكين اقنع منه ولا تنظر الى موكبه فان السائل اعف منه واعلم انه في
مسك مسكين وان كان فى ثياب جداوروحه روح نذل وان كان في جرم
ملك وكلهم وان اختلفت وجوه مسئلتهم واختلفت اقدارمطالبهم فهو
مسكين الا ان واحداً يطلب العلق وآخر يطلب الخرق وآخر يطلب

الدوانيق وآخر يطلب الالوف فجهة هذا هي جهة هذا وطعمة هذا هي طعمة
هذا وانما يختلفون في اقدار مايطلبون على قدر الحذق والسبب فاحذر رقاهم
وما نصبوا لك من الشرك واحرس نعمتك وما دسوا لها من الدواهي واعمل
على ان سحرهم يسترق الذهن ويختطف البصر قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان من البيان لسحراً وسمع عمر بن عبد العزيز رجلا يتكلم في حاجة
فقال هذا والله السحر الحلال وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خلابة
واحذر احتمال مديحهم فان محتمل المديح في وجهه كمادح نفسه ان مالك لا
يسع مريديه ولا يبلغ رضا طالبيه ولوا رضيتهم باسخاط مثلهم لكان ذلك خسرانا
مبينا فكيف ومن يسخط اضعاف من يرضى وهجاء الساخط اضر من فقد مديح
الراضي وعلى انهم اذا اعتوروك بمناقصهم وتداولوك بسهامهم لم تر ممن ارضيته
باسخاطهم احداً يناضل عنك ولا يهاجي شاعراً دونك بل يخليك غرضاً
لسهامهم ودريئة لنبالهم ثم يقول وما كان عليه لو ارضاهم فكيف يرضيهم
ورضى الجميع شيء لا ينال وقد قال الاول وكيف يتفق لك رضى المختلفين
وقالوا امنع الجميع ارضى للجميع انى احذرك مصارع المخدوعين وارفعك عن
مضاجع المغبونين انك كن لم يزل يقاسي تعذر الامور ويتجرع مرارة العيش
ويتحمل ثقل الكد ويشرب بكاس الذل حتى كاد يمرن على ذلك جلده
ويسكن عليه قلبه وفقر مثلك مضاعف الالم وجزع من لم يعرف الالم اشد
ومن لم يزل فقيراً فهو لا يعرف الشامتين ولا يدخله المكروه من سرور
الحاسدين ولا يلام على فقره ولا يصير موعظة لغيره وحديثاً يبقى ذكره
ويلعنه بعد الممات ولده ودعي من حكايات المستأكلين ورقى الخادعين فبا

زال الناس يحتفظون اموالهم من مواقع السرف ويخبئونها من وجوه التبذير
ودعني مما لا أراه الا في الاشعار المتكلفة والاخبار المولدة والكتب الموضوعة
فقد قال بعض اهل زماننا ذهبت المكارم الا من الكتب فخذ فيما تعلم ودع
تمسك مما لا تعلم هل رأيت احداً قط انفق ماله على قوم كان غناهم سبب
فقره انه سلم عليهم حين افتقر فضلا على غير ذلك أو لست قد رأيتهم بين
محمق ومتجنب عنه وبين من يقول فهلا انزل حاجته بفلان الذي كان يفضله
ويقدمه ويؤثره ويخصه ثم لعل بعضهم ان يتجنى عليه ذنوبا ليجعلها عذراً
في منعه وسبباً الى حرمانه قال الله جل ذكره يوم يكشف عن ساق ويدعون
الى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون
الى السجود وهم سالمون فانا القائم عليك بالموعظة والزجر والامر والنهي
وانت سالم العقل والعرض وافر المال حسن الحال فاتق ان اقوم غداً على
رأسك بالتقريع والتعيير وبالتوبيخ والتأنيب وانت عليل القلب مختل العرض
عديم من المال سيء الحال ليس جهد البلاء مد الاعناق وانتظار وقع السيوف
لان الوقت قصير والحس مغمور ولكن جهد البلاء ان تظهر الخلة وتطول
المدة وتعجز الحيلة ثم لا تعدم صديقا مؤنبا وابن عم شامتا وجاراً حاسداً ووليا
قد تحول عدوا وزوجة مختلعة وجارية مستبيعة وعبداً يحقرك وولداً ينتهرك
فانظر اين موقع فوت الثناء من موقع ما عددنا عليك من هذا البلاء على ان
الثناء طعم ولعلك ألا تطعمه والحمد ارزاق ولعلك ألا تحرمه وما تضيع من
احسان الناس اكثر وعلى ان الحفظ قد ذهب بموت اهله الا ترى ان الشعر
لما كسد أفحم اهله ولما دخل النقص على كل شيء اخذ الشعر منه بنصيبه ولما تحولت

لدولة فى العجم والعجم لا تحوط الانساب ولا تحفظ المقامات لان من كان فى
الريف والكفاية وكان مغمورا بسكر الغناء كثر نسيانه وقلت خواطره ومن
احتاج تحركت همته وكثر تنقيره وعيب الغنى انه يورث البلادة وفضيلة الفقر
انه يبعث الفكر وان انت صحبت الغنى باهمال النفس اسكرك الغنى وسكر الغنى
سبة المستأكلين وهمة الخداعين وان كنت لا ترضى بحظ النائم وبعيش البهائم
واحببت ان تجمع مع تمام نفس المثرى ومع عز الغنى وسرور القدرة فطنة
المخف وخواطر المقل ومعرفة المحارب واستدلال الطالب اقتصدت فى الانفاق
وكنت ممدا للحدثان ومحترسا من كل خداع لست تبلغ حيل لصوص النهار
الحيل سراق الليل وحيل طراق البلدان وحيل اصحاب الكيمياء وحيل
كتجار فى الاسواق والصناع فى جميع الصناعات وحيل اصحاب الحروب
وحيل المستأكلين والمتكسبين ولو جمعت الخبر والسحر والنمائم والسم
لكانت حيلهم فى الناس اشد تغلغلا واعرض وامرى فى عمق البدن وادخل
الى سويداء القلب والى ام الدماغ والى صميم الكبد ولهى ادق مسلكا وابعد
غاية من العرق السارى والشبه النازع ولو اتخذت الحيطان الرفيعة الثخينة
والاقفال المحكمة الوثيقة ولو اتخذت المارق والجواسق والابواب الشداد
والحرس المتناوبين باغلظ المؤن واشد الكلف وتركت التقدم فيما هو احضر
ضررا وادوم شرا ولا غرم عليك فى الحراسة فيه ولا مشقة عليك فى التحفظ
منه انك ان فتحت لهم على نفسك مثل سم الخياط جعلوا فيه طريقا نهجا
ولقما رحبا فاحكم بابك ثم ادم اغلاقه فهو اولى بك وان قدرت على مصمت
لاحيلة فيه فذلك اشبه بحزمك ولو جعلت الباب مبهما والقفل مصمتا

لتسوروا عليك من فوقك ولو رفعت سمكه الى العيوق لنقبوا عليك من تحتك . قال ابو الدرداء نعم صومعة المؤمن بيته قال ابن سيرين العزلة عبادة وحلاوة حديثهم تدعوا الى الاستكثار منهم وتدعو الى احضار غرائب شهواتهم فمن ذلك قول بعضهم لبعض اصحابه كل رخلة واشرب مشعلا ثم تجشأ واحدة لو أن عليها رحا لطحنت ومن ذلك قول الآخر حين دخل على قوم وهم يشربون وعندهم قيان فقالوا اقترح اى صوت شئت قال اقترح نشيش مقلى . ومن ذلك قول المدينى من تصبح بسبع موزات وبقدح من لبن الاوداك تجشأ بجوز الكعبة ومن ذلك قولهم لبعض هؤلاء وقدامهم خبيص ايما اطيب هذا او الفالوذج قال لا اقضى على غائب . ومن ذلك قول ابى الحارث جمين لبعض الملوك جعلت فداك أى شئ في تلك السلة قال بظر امك فاعضني به . ومن ذلك كلام الجارود بن ابى سبرة لبلال بن ابى بردة حين قال له صف عبد الاعلى وطعامه قال يأتيه الخباز فيمثل بين يديه فيقول ما عندك ويقول عندى جدى كذا وعناق كذا وبطة كذا حتي يأتى على جميع ما عنده قال وما يدعوه الى هذا قال ليقتصر كل امرئ في الاكل حتي اذا أتى بالذى يشتهى بلغ منه حاجته قال ثم ما ذا قال ثم يؤتى بالمائدة فيتضايقون حتي يخوى تخوية الظليم فيجدون ويهزل حتي اذا فتروا اكل اكل الجائع المقرور وقال آخر اشتهى ثريدة ذكناء من النافل ورقطاء من الحمص ذات حفافين من اللحم لها جناحان من العراق اضرب فيها ضرب اليتيم عند وصى السوء وسئل بعضهم عن حظوظ البلدان فى الطعام وماقسم لكل قوم منه فقال ذهبت الروم بالجشم والحشو وذهبت فارس بالبارد والحلو وقال عمر لفارس

الشفارق والحموض فقال دوسر المديني لنا الهرائس والقلايا ولاهل البدو اللبا والسلاّء والجراد والكماة والخبزة في الرائب والتمر بالزبد وقد قال الشاعر

الا ليت خبزاً قد تسربل رائباً وخيلا من البرنى فرسانها الزبد

ولهم البرمة والخلاصة والحيس والوطيئة. وقال اعرابي اتينا ببركافواه اليعران نخبزنا منه خبزة زبت فى النار فجعل الجمر يتحدر عنها تحدر الحشو عن البطان ثم ثردها فجعل الثريد يجول في الاهالة جولان الضبعان في الضفرة ثم اتلنا بتمر كاعيان الورلان يوحل فيه الضرس ونعت السويق بانه من عدد المسافر وطعام العجلان وغذاء المتكره وبلغة المريض يشد فؤاد الحزين ويرد من نفس المحدود وجيد فى السمين ومنعوت في الطيب قفاره يجلو البلغم ومسمونه يصفى الدم ان شئت كان ثريداً وان شئت كان خبيصاً وان شئت كان طعاماً وان شئت كان شرابا وقيل لبعض هؤلاء اللعامقة والمستاكلين والسنافيف المتقعين ورئي سمينا مااسمنك قال اكلي الحار وشربي القار والاتكاء على شمالي واكلي من غير مالي وقد قال الشاعر

وإن امتلاء البطن فى حسب الفتى قليل الغناء وهو فى الجسم صالح

وقيل لآخر مااسمنك قال قلة الفكرة وطول الدعة والنوم على الكظة وقال الحجاج للغضبان بن القبعثرى مااسمنك قال القيد والرتعة ومن كان فى ضيافة الامير سمن وقيل لآخر انك لحسن السحنة قال آكل لباب البرّ وصغار المعز وأدهن بخام البنفسج والبس الكتان. والله لو كان من يسئل يعطى لما قام كرم العطية بلؤم المسئلة ومدار الصواب على طيب المكسبة والاقتصاد فى النفقه وقد قال بعض العرب اللهم انى اعوذ بك من بعض

الرزق حين رأى نافجة من ماله من صداق امه وأى سائل كان الحف مسئلة من الحطيئه وألام ومن الام من جرير بن الخطفى وابخل ومن امنع من كثير واشح من ابن هرمة ومن كان يشق غبار ابن ابى حفصة ومن كان يصطلى بنار ابي العتاهية ومن كابى نواس فى بخله أو كابى يعقوب الخزيمى في دقة نظاره وكثرة كسبه ومن كان اكثر نحراً للجزرة لم تخلق من ابن هرمة واطعن برمح لم ينبت واطعم لطعام لم يزرع من الخزيمي. فاين انت عن ابن يسير واين تذهب عن ابن ابى كريمة ولم تقصر فى ذكر الرقاشي ولم تذكر شره إن الاعرابى شر من الحاضر سائل جبار وثابة ملاق ان مدح كذب وان هجا كذب وان سب كذب وإن طمع كذب لايعرفه الا نطف او احمق ولايعطيه الامن يحبه ولا يحبه الا من هو فى طباعه ما ابطأكم عن البذل فى الحق واسرعكم الى البذل في الباطل فان كنتم الشعراء تفضلون والى قولهم ترجعون فقد قال الشاعر

قليل المال تصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير على الفساد

وقد قال الشماخ بن ضرار

لمال المرء يصلحه فيغنى مفاقره اعف من القنوع

وقال أحيحة بن الجلاح

استغن أومت ولايغررك ذونشب من ابن عم ولاعم ولاخال
انى اكب على الزوراء أعمرها إن الكريم على الاقوام ذوالمال

وقال أيضا

استغن عن كل ذى قربى وذى رحم ان الغنى من استغنى عن الناس

والبس عدوك في رفق وفي دعة ... لباس ذى اربة للدهر لباس
ولا يغرنك أضغان مزملة ... قد يضرب الدبر الدامي باحلاس

وقال سهل بن هارون

إذا امرؤ ضاق عني لم يضق خلقي ... من أن يراني غنيا عنه باليأس
فلا يراني إذا لم يرع آصرتي ... مستريا درراً منه بابساس
لا أطلب المال كي أغنى بفضلته ... ما كان مطلبه فقراً الى الناس

وقال ابو العتاهية

انت ما استغنيت عن صا ... حبك الدهر أخوه
فاذا احتجت إليه ... ساعة مجك فوه

وقال احيحة بن الجلاح

ولو أني أشاء نعمت بالاً ... وباكرني صبوح او نشيل
ولاعبني على الانماط نعس ... على انيابهن الزنجبيل
ولكني خلقت اذاً لمال ... فابخل بعد ذلك أو أنيل

وقال آخر

أيا مصلح اصلح ولا تك مفسداً ... فان صلاح المال خير من الفقر
ألم تر أن المرء يزداد عزةً ... على قومه أن يعلموا أنه مثرى

وقال عروة بن الورد

ذريني للغنى اسعى فانى ... رأيت الناس شرهم الفقير
وابعدهم واهونهم عليهم ... وان امسى له نسب وخير
ويقصى في الندى وتزدريه ... حليلته وينهره الصغير

وتلق ذا الغنى وله جلال   يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جم   ولكن الغنى رب غفور

وقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل

تلك عرساى تنطقان على عمـ   ـد لي اليوم قول زور وهتر
سالتانى الطلاق أن رأتا ما   لي قليلا قد جئتمانى بنكر
فلعلى أن يكثر المال عندى   ويعرى من المغارم ظهرى
وترى اعبد لنا وأواق   ومناصيف من خوادم عشر
وتجر الاذيال فى نعمة زو   ل تقولان ضع عصاك لدهر
ويك ان من يكن له نشب يحـ   ـبب ومن يفتقر يعش عيش ضر
ويجنب شر النجى ولكـ   ـن أخا الفقر محضر كل شر

وقال الآخر

وللمال منى جانب لا أضيعه   وللهو منى والبطالة جانب

وقال الاخنس بن شهاب

وقد عشت دهرا والغواة صحابتي   أولائك اخوانى الذين اصاحب
فأديت عنى ما استعرت من الصبي   وللمال منى اليوم راع وكاسب

وقال ابن اذينة الثقفى

أطعت النفس فى الشهوات حتى   اعادتنى عسيفا عبد عبد
إذا ما جئتها قد بعت عتقاً   تعانق او تقبل او تفدى
فمن وجد الغنى فليصطنعه   ذخيرته ويجهد كل جهد

وقال

من يجمع المال ولا يثبته　　ويترك العام لعام جدبه

يهن على الناس هوان كلبه

وقد قيل في المثل الكل قبل المدّ وقال لقيط القم واذر للقاح واحد للـلاح. وقال ابو المافي

ان التراني انكح المجز بنته　　وساق اليها حين زوجها مهراً

فراشا وطيئاً ثم قال لها اتكى　　فقصر كا عندى لان تلد الفقرا

وقال عثمان بن ابى العاص ساعة لدنياك وساعة لآخرتك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهاكم عن قيل وقال وكثرة السوءال واضاعة المال وقال خير الصدقة ما ابقى غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وقال النبي صلى الله عليه وسلم الثلث والثلث كثير انك ان تدع ولدك اغنياء خير من ان يتكففوا الناس وقال ابن عباس وددت ان الناس غضوا من الثلث شيئاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم الثلث والثلث كثير وقال النبي صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثماً أن يضيع من يقوت وانتم ترون ان المجد والكرم ان افقر نفسي باغناء غيرى وان احوط عيال غيرى باضاعة عيالي وقال فى ذلك ابن هرمة

كتاركة بيضها بالعراء　　وملبسة بيض أخرى جناحا

وقال آخر

كمفسد أدناه ومصلح غيره　　ولم يأتمر فى ذاك امر صلاح

وقال الآخر

كرضعة اولاد اخرى وضيعت بنيها ولم ترقع بذلك مرقعا

وقال الله تبارك وتعالى ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وقال ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو فاذن في العفو ولم يأذن في الجهد وأذن فى الفضول ولم يأذن فى الاصول واراد كعب بن ملك ان يتصدق بماله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أمسك عليك مالك فالنبي صلى الله عليه وسلم يمنعه من اخراج ماله في الصدقة وانتم تأمرونه باخراجه فى السرف والتبذير وخرج غيلان بن سلمة من جميع ماله فاكرهه عمر على الرجوع فيه وقال لو متّ لرجمت قبرك كما يرجم قبر ابى رغال وقال الله جل وعز لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله. وقال النبي صلى الله عليه وسلم يكفيك ما بلغك المحل وقال ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى وقال الله تبارك وتعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً. وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المنبتّ لا أرضا قطع ولا ظهراً ابقى وقال الله جل ذكره ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً. ولذلك قالوا خير مالك ما نفعك وخير الامور اوساطها وشر السير الحقحقة والحسنة بين السيئتين وقالوا دين الله بين المقصر والغالي وقالوا فى المثل بينهما يرمى الرامى وقالوا عليك بالسداد والاقتصاد ولا وكس ولا شطط وقالوا بين الممخة والعجفاء وقالوا لا تكن حلواً فتبتلع ولا مرا فتلفظ وقالوا فى المثل ليس الريّ عن التشافّ وقالوا يا عاقد اذكر حلا وقالوا الرشيف أنقع للظمآن وقالوا القليل الدائم اكثر من الكثير المنقطع وقال ابو الدرداء اني لاستجمّ نفسي ببعض الباطل كراهة ان احمل عليها من

الحق ما يملها وقال الشاعر

وانى لحلو تعتريني مرارة   وانى لصعب الرأس غير جوع

وقالوا فى عذل المصلح ولائمة المقتصد الشحيح اعذر من الظالم وقالوا ليس من العدل سرعة العذل وقالوا لعل له عذرا وانت تلوم وقالوا ربّ لائم مليم وقال الاحنف زبّ ملوم لا ذنب له وقال اعطاء السائل تضرية واعطاء الملحف مشاركة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تصلح المسئلة الا فى ثلاث فقر مدقع وغرم مفظع ودم موجع وقال الشاعر

الحر يلحى والعصا للعبد   وليس للملحف غير الرد

وقالوا اذا جد السؤال جد المنع وقالوا احذر اعطاء المخدوعين وبذل المغبونين فان المغبون لا محمود ولا مأجور ولذلك قالوا لا تكن ادنى العيرين الى السهم يقول اذا اعطيت السائلين مالك صارت مقاتلك اظهر لاعدائك من مقاتلهم وقالوا الفرار بقراب أكيس وقال ابو الاسود ليس من العز أن تتعرض للذل ولا من الكرم ان تستدعي اللؤم ومن اخرج ماله من يده افتقر ومن افتقر فلابد له من ان يضرع والضرع لؤم وان كان الجود شقيق الكرم فالانفة اولى بالكرم وقد قال الاول اللهم لا تثر لي ماء سوء فاكون امرأ سوء وقد قال الشاعر

واخط مع الدهر اذا ما خطا   واجر مع الدهر كما يجرى

وقد قال الآخر

ياليت لي نعلين من جلد الضبع   * وشركا من استها لا تنقطع

كل الحذاء يحتذى الحافى الوقع

وقد صدق قول القائل من احتاج اغتفر ومن اقتفى تجوز وقيل لريسيموس تأكل فى السوق قال ان جاع فى السوق أكل في السوق وقال من اجدب انتجع ومن جاع جشع وقال احذروا نفار النعمة فانها نوار وليس كل شارد مردود ولا كل ناد مصروف وقال على بن ابى طالب قل ما ادبر شئ فاقبل وقالوا رب اكلة تمنع اكلات ورب عجلة تهب ريثا وعابوا من قال اكلة وموتة وقالوا لا تطلب أثراً بعد عين وقالوا لا تكن كمن تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن فانظر كيف تخرج الدرهم ولم تخرجه وقالوا اشد من المرزئة سوء الخلف وقال الشاعر

ان يكن ما به أصيب جليلا فذهاب العزاء فيه اجل

ولان تفتقر بجائحه نازلة خير لك من ان تفتقر بجناية مكسبة ومن كان سبباً لذهاب وفره لم تعدمه الحسرة من نفسه واللائمة من غيره وقلة الرحمة وكثرة الشماتة مع الاثم الموبق والهوان على الصاحب وذكر عمر بن الخطاب فتيان قريش وسرفهم في الانفاق ومسابقتهم في التبذير فقال لخرافة احدهم أشدّ عليّ من عيلته يقول ان اغناء الفقير اهون على من اصلاح الفاسد ولا تكن على نفسك اشأم من خوتعة وعلى اهلك اشأم من البسوس وعلى قومك اشأم من عطر منشم ومن سلط الشهوات على ماله وحكم الهوى فى ذات يده فبقى حسيراً فلا يلومن الا نفسه وطوبى لك يوم تقدر على قدم تنتنع به وقال بعض الشعراء

اري كل قوم يمنعون حريمهم وليس لاصحاب النبيذ حريم
اخوهم اذا مادارت الكاس بينهم وكلهم رث الوصال سؤوم

هذا يانى لم أقل بجهالة ولكننى بالفاسقين عليم

وقد كان هذا المعنى فى اصحاب النبيذ اوجد فاما اليوم فقد استوى الناس قال الاضبط بن قريع لما انتقل في القبائل فأساؤا جواره بعد أن تأذى ينى سعد بكل واد بنو سعد خذ بقولي ودع قول ابى العاص وخذ بقول من قال عش ولا تغتر وبقول من قال لايطالب أثر بعد عين وبقول من قال املأ حبك من أول مطرة ودع ما يريبك الى ما لا يريبك اخوك من صدقك ومن اتاك من جهة عقلك ولم يأتك من جهة شهوتك واخوك من احتمل ثقل نصيحتك فى حقك ولم تأمن لاثقه اياك في غدك وقال الآخر

ان اخاك الصدق من لم يخدعك ومن يضير نفسه لينفعك

وقد قال عبيد بن الابرص

واعلمن علماً يقينا انه ليس يرجيك من ليس معك

ولا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك وعين من عقلك على طباعك اوما كان لك أخ نصيح ووزير شفيق والزوجة الصالحة عون صدق والسعيد من وعظ بغيره فان انت لم ترزق من هذه الخصال خصلة واحدة فلا بد لك من نكبة موجعة يبقى أثرها ويلوح لك ذكرها ولذلك قالوا خير مالك ما نفعك ولذلك قالوا لم يذهب من مالك ما وعظك ان المال محروص عليه ومطلوب في قعر البحار وفى رؤس الجبال وفى دغل الغياض ومطلوب فى الوعورة كما يطلب فى السهولة وسواء فيها بطون الاودية وظهور الطرق ومشارق الارض ومغاربها فطلبت بالعزّ وطلبت بالذل وطلبت بالوفاء وطلبت بالغدر وطلبت بالنسك كما طلبت بالفتك وطلبت بالصدق كما طلبت بالكذب وطلبت بالبذاء

وطلبت بالملق فلم تترك فيها حيلة ولا رقية حتى طلبت بالكفر بالله كما طلبت بالايمان
وطلبت بالسخف كما طلبت بالنبل فقد نصبوا الفخاخ بكل موضع ونصبوا الشراك
بكل ربع وقد طلبك من لا يقصر دون الظفر وحسدك من لا ينام دون الشفاء وقد
يهدأ الطالب الطوائل والمطلوب بذات نفسه ولا يهدأ الحريص يقال انه ليس فى
الارض بلدة واسطة ولا بادية شاسعة ولا طرف من الاطراف الاوان واجد
بها المدينى والبصرى والحيرى وقد ترى شنف الفقراء للاغنياء وتسرع الرغبة
الى الملوك وبغض الماشى للراكب وعموم الحسد فى المتفاوتين وان لم تستعمل
الحذر وتأخذ بنصيبك من المداراة وتتعلم الحزم وتجالس اصحاب الاقتصاد
وتعرف الدهور ودهرك خاصة وتمثل لنفسك الغير حتى تتوهم نفسك فقيرا
ضائعا وحتى تتهم شمالك على يمينك وسمعك على بصرك ولا يكون احد اتهم
عند نفسك من ثقتك ولا اولى باخذ الحذر منه من امينك واحتفظت احتفاظا
واستلبت استلابا ذوبوا مالك وتخيفوه والزموه السل ولم يداووه وقد قالوا
ابلى المال ربه وان كان احمق فلا تكونن دون بهلك الاحمق وقالوا لا تعدم
صناع ثلة فلا تكونن دون تلك الصناع وقد قال الاول فى المال المضيع المسلط
عليه شهوات العيال ليس لها راع ولكن خلية وليس مالك المال المغنى من
الاضراس فيقال فيه مرعى ولا اكولة وعشب ولا بعير فقصاراك مع
الاصلاح ان يقومك بيطنك وبحوائجك وبما ينوبك ولا بقاء للمال على قلة
الرعى وكثرة الحلب فكس فى امرك وتقدم فى حفظ مالك فان من حفظ
ماله فقد حفظ الاكرمين والاكرمان الدين والعرض وقد قيل للرمى يراش
السهم وعند النطاح تغلب القرناء واذا رأت العرب مستا كلا وافق عمه

قالت ليس عليك نسجه فاسحب وحرق وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس كلهم سواء كاسنان المشط والمرء باخيه ولا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه فتعرف شأن اصحابك ومنى جلسائه فان كانوا في هذه الصفة فاستعمل الحزم وان كانوا فى خلاف ذلك عملت على حسب ذلك انى لست آمرك الا بما امرك به القرآن ولست أوصيك الا بما اوصاك به الرسول ولا اعظك الا بما وعظ به الصالحون بعضهم بعضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعقلها وتوكل وقال مطرّف بن الشخير من نام تحت صدف مائل وهو ينوى التوكل فليرم بنفسه من طمار وهو ينوى التوكل فان التوقى الذى امر الله به وان التغرير الذى نهى عنه ومن طمع في السلامة من غير تسلم فقد وضع الطمع فى موضع الامانى وانما ينجز الله الطمع اذا كان فيما امر به وانما يحقق من الامل ما كان هو المسبب له وفر عمر من الطاعون فقال له ابو عبيدة اتفر من قدر الله قال نعم الى قدر الله وقيل له هل ينفع الحذر من القدر فقال لو كان الحذر لا ينفع لكان الامر به لغواً فابلاء العذر من التوكل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل قال فى خصومة حسبي الله أبل الله عذراً فاذا اعجزك امر فقل حسبي الله وقال الشاعر

ومن يك مثلى ذا عيال ومقتراً من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليبلى عذراً أو ليبلغ حاجة ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

وقال الآخر

فان يكن القاضى قضي غير عادل فبعد امور لا ألوم لها نفسى

وقال زهير البابيّ ان كان التوكل ان اكون متي اخرجت مالي ايقنت

بالخلف وجعلت الخلف مالا يرجع في كيسي ومتي ما لم احفظ ايقنت بانه محفوظ فاني أشهدكم اني لم اتوكل قط انما التوكل ان تعلم انك متي اخذت بأدب الله تنقلب في الخيرة مجزى نيتك اما عاجلا واما آجلا ثم قال فلم تجر ابو بكر ولم تجر عمر ولم تجر عثمان ولم تجر الزبير ولم تجر عبد الرحمن ولم علم عمر الناس يتجرون وكيف يشترون ويبيعون ولم قال عمر اذا اشتريت جملا فاجعله ضخماً فان لم يبعه الخبر باعه المنظر ولم قال عمر فرّقوا بين المنايا واجعلوا الرأس رأسين ولم قال عثمان حين سئل عن كثرة ارباحه قال لم اردّ من ربح قط ولم قيل لا تشتر عيباً ولا شيبا وهل حجر علي بن ابي طالب على ابن اخيه عبد الله بن جعفر الا في اخراج المال في غير حقه واعطائه في هواه وهل كان ذلك الا في طلب الذكر والتماس الشكر وهل قال احد ان انفاقه كان في الحور والقمار وفي الفسولة والفجور وهل كان الا فيما تسمونه جوداً وتعدّونه كرماً ومن رأى ان يحجر على الكرام لكرمهم رأى ان يحجر على الحلماء لحلمهم واى امام بعد ابي بكر تريدون وأي سلف بعد علىّ تقتدون وكيف نرجو الوفاء والقيام بالحق والصبر على النائبة من عند لعموظ مستأكل وملاق مخادع ومنهوم بالطعام شره لا يبالي باى شئ اخذ الدرهم ومن أى وجه اصاب الدينار ولا يكترث للمنة ولا يبالي ان يكون ابداً منهوماً منوماً عليه وليس يبالي اذا اكل كيف كان ذلك الطعام وكيف كان سببه وماحكمه فان كان مالك قليلا فانما هو قوام عيالك وان كان كثيراً فاجعل الفاضل لعدة نوائبك ولا يأمن الايام الا المضال ولا يغتر بالسلامة الا المغفل فاحذر طوارق البلاء وخدع رجال الدهاء سمنك في اديمك وغثك خير من سمين غيرك

لووجدته فكيف ودونه اسال حداد وابواب شداد قالت امرأة لبعض العرب
ان تزوجتني كنيتك فانشأ يقول

اذا لم يكن لي غير مالك مسني خصاص وبان الحمد مني والاجر
وما خير مال ليس نافع اهله وليس لشيخ الحيّ في أمره أمر

وقال الملوط القريعي

أبا هانئ لا تسئل الناس والتمس بكفيك ستر الله فالله واسع
فلو تسئل الناس التراب لاوشكوا إذا قلت هاتوا أن يملوا فيمنعوا

ثم رجع الحديث الى احاديث البخلاء والى طارف معانيهم وكلامهم
قال ابن حسان كان عندنا رجل مقل وكان له أخ مكثر وكان مفرط البخل
شديد النفج فقال له يوما أخوه ويحك انا فقير معيل وانت غني خفيف الظهر
لا تعينني على الزمان ولا تواسيني ببعض مالك ولا تفرّج لي عن شيء والله
ما رأيت قط ولا سمعت بابخل منك قال ويحك ليس الامر كما تظنّ ولا
المال كما تحسب ولا انا كما تقول في البخل ولا في اليسر والله لو ملكت
الف الف درهم لو هبت لك منها خمس مائة الف درهم يا هؤلاء فرجل
يهب في ضربة واحدة خمس مائة الف يقال له بخيل . وأما صاحب الثريدة
البلقاء فليس عجبي من بلقة ثريدته وسائر ما كان يظهر على خوانه كعجبي من
شيء واحد وكيف ضبطه وحصره وقوى عليه مع كثرة احاديثه وصنوف
مذاهبه وذلك اني في كثرة ما جالسته وفي كثرة ما كان يفتن فيه من
الاحاديث لم اره خبر أن رجلا وهب لرجل درهما واحداً فقد كان يفتن
في الحزم والعزم وفي الحلم والعلم وفي جميع المعاني الا ذكر الجود فاني لم اسمع

هذا الاسم منه قط خرج هذا الباب من لسانه كما خرج من قلبه ويؤكد
ما قلت فيه ما حدثني به طاهر الاسير فانه قال ومما يدل على أن الروم ابخل
الامم انك لا تجد للجود في لغتهم اسما يقول انما سمي الناس مايحتاجون الى
استعماله ومع الاستغناء يسقط التكلف وقد زعم ناس ان مما يدل على غش
الفرس انه ليس للنصيحة فى لغتهم اسم واحد يجمع المعانى التي يقع عليها هذا
الاسم وقول القائل نصيحة ليس يراد به سلامة القلب فقد يكون ان يكون
الرجل سليم الصدر ولم يحدث سبب من اجله يقصد الى المشورة عليك
بالذى هو أرد عليك على حسب رأيه فيك وجماع ذلك فى لغتهم اسم للسلامة
واسم لارادة الخير وحسن المشورة وحملك بالرأى على الصواب فالنصيحة
عندهم اسماء مختلفة اذا اجتمعت دلت على مادل عليه الاسم الواحد فى لغة
العرب فمن قضى عليهم بالغش من هذا الوجه فقد ظلم . (وحدثنى) ابرهيم
ابن عبد العزيز قال تغديت مع راشد الاعور فأتونا بجام فيه بياح سبخي
الذى يقال له الدراج فجعلت آخذ الواحدة فاقطع رأسها ثم اعزله ثم اشقها
باثنين من قبل بطنها فآخذ شوكة الصلب والاضلاع فاعزلها وارمى بما في
بطنها وبطرف الذنب والجناح ثم اجمعها في لقمة واحدة وآكلها وكان راشد
يأخذ البياحة فيقطعها قطعتين فجعل قطعة فى لقمة لا يلقى رأسا ولا ذنبا
فصبر لي على لقم عدة فلما بلغت المجهود منه قال اى بنى اذا كان الطعام
فكل خيره بشره (قال) وكان يقول لم انتفع بأكل التمر قط الا مع الزنج
واهل اصبهان فاما الزنجي فانه لا يتخير واما انا فاتخير واما الاصبهانى فانه يقبض
القبضة ولا يأكل من غيرها ولا ينظر الى ما بين يديه حتى يفرغ من القبضة

وهذا عدل والتخير فرقة وجور لا جرم ان الذى يبقى من التمر لا ينتفع به العيال اذا كان قدام من يتخير وكان يقول ليس من الادب ان تجول يدك في الطبق وانما هو تمر وما اصاب . وزعم سرى بن مكرم وهو ابن اخي موسى ابن جناح قال كان موسى يامرنا ألا نأكل ادام احد منا مشنو ولا نشرب الماء وطايبه فلما رآنا لا نطاوعه دعا ليلة بالماء ثم خط باصبعه خطاً فى أزرة كانت بين ايدينا فقال هذا نصيبي لا تدرضوا له حتي انتفع بشرب الماء واحاديثه فى صدر الكتاب وهذا منها وقال المكي لبعض من كان يتمشي ويفطر عند الباسبياني ويحكم كيف تسيغون طعامه وانتم تسمعونه يقول انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً ثم ترونه لا يقرأها الا وانتم على العشاء ولا يقرأ غير هذه الآية انتم والله ضد الذى قال

ألبان ابل ثعلة بن مساور ما دام يملكها على حرام

وطعام عمران بن اوفى مثله مادام يسلك في البطون طعام

إن الذين يسوغ في اعناقهم زاد يمن عليهم للئام

قال فتي تعجب اعجب من خمسين رجلا من العرب فيهم ابو رافع الكلابي وهو شاعر ندي يفطرون عند ابى عثمان الاعور فافطارى من طعام نصراني اشد من افطارى من طعام مسلم يقرأ القرآن ويقول الحق . (وحدثني) ابو المنجوف السدوسي قال كنت مع ابى ومعنا شيخ من موالي الحى فررنا بناطور على نهر الابلة ونحن تعبون فجلسنا اليه فلم يلبث ان جاءنا بطبق عليه رطب سكر وجيسوان اسود فوضعه بين ايدينا فأكل الشيخ الذى كان معنا فلما رأيت ابى لا يأكل لم آكل ولي الى ذلك حاجة فاقبل الناطور على

ابى فقال لم لا تأكل قال والله انى لاشتهيه ولكن لا اظن صاحب الارض
اباح لك اطعام الناس من الغريب فلوجئتنا بشئ من السهريز والبرنى لاكلنا
فقال مولانا وهو شيخ كبير السن ولكنى انا لم انظر فى شئ من هذا قط
(قال) المكى دخل اسماعيل بن غزوان الى بعض المساجد يصلى فوجد الصف
تاما فلم يستطع ان يقوم وحده فجذب ثوب شيخ فى الصف ليتأخر فيقوم
معه فلما تأخر الشيخ ورأى اسماعيل الفرج تقدم فقام فى موضع الشيخ
وترك الشيخ قائما خلفه ينظر فى قفاه ويدعو الله عليه وكان ثمامة يحتشم ان
يقعد على خوانه من لا يأنس به ومن رأيه ان يأكل بعض غلمانه معه فحبس
قاسم التمار يوما على غدائه بعض من يحتشمه فاحتمل ذلك ثمامة فى نفسه ثم عاد
بعد ذلك الى مثلها ففعل ذلك مرارا حتى ضج ثمامة واستفرغ صبره فاقبل
عليه فقال ما يدعوك الى هذا لو اردتهم لكان لسانى مطلقا وكان رسولى
يؤدى عنى فلم تحبس على طعامى من لا آنس به قال انما اريد ان اسخيك فانفى
عنك التبخيل وسوء الظن فلما ان كان بعد ذلك اراد بعضهم الانصراف فقال له
قاسم اين تريد قال قد تحرك بطنى فاريد المنزل قال فلم لاتتوضأ ههنا فان
الكنيف خال نظيف والغلام فارغ نشيط وليس من ابى معن حشمة ومنزله منزل
اخوانه فدخل الرجل فتوضأ فلما كان بعد ايام حبس آخر فلما كان بعد ذلك
حبس آخر فاغتاظ ثمامة وبلغ فى الغيظ مبلغا لم يكن على مثله قط ثم قال هذا
يحبسهم على غدائى لان يسخينى يحبسهم على ان يخرؤا عندى لم لان من لم
يخرء الناس عنده فهو بخيل على الطعام وقد سمعتهم يقولون فلان يكره ان
يؤكل عنده ولم اسمع احدا قط قال فلان يكره ان يخرأ عنده وكان قاسم شديد

الاكل شديد الخبط قذر المؤاكلة وكان اسخى الناس على طعام غيره وابخل الناس
على طعام نفسه وكان يعمل عمل رجل لم يسمع بالحشمة ولا بالتجمل قط فكان
لا يرضي بسوء ادبه على طعام ثمامة حتي يجرمه ابنه ابراهيم وكان بينه وبين
ابراهيم ابنه فى القذر بقدر ما بينه وبين جميع العالمين فكانا اذا تقابلا على خوان
ثمامة لم يكن لاحد على أيمانهما وشمائلهما حظ فى الطيبات فأتوه يوماً بقصعة
صخمة فيها ثريدة كهيئة الصومعة مكللة باكليل من عراق باكثر ما يكون من
العراق فاخذ قاسم الذى يستقبله ثم اخذ يمنة واخذ ما بين يدى من كان بينه
وبين ثمامة حتي لم يدع الا عرقاً قدام ثمامة ثم مال على جانبه الايسر فصنع
مثل ذلك الصنيع وعارضه ابنه وحاكاه فلما ان نظر ثمامة الى الثريدة مكشوفة
القناع مسلوبة عارية واللحم كله بين يديه وبين يدى ابنه الا قطعة واحدة بين يديه
تناولها فوضعها قدام ابراهيم ابنه ولم يدفعها واحتسب بها فى الكرامة والبرّ
فقال قاسم لما فرغ من غدائه اما رأيتم اكرام ثمامة لابني وكيف خصه فلما
حكى هذا لي قلت ويلك ما اظن ان فى الارض عرقاً اشأم على عيالك منه
هذا احرجه الغيظ وهذا الغيظ لا يتركه حتي يتشفى منك فان قدر لك على
ذنب فقد والله هلكت وان لم يقدر عليه اقدره لك الغيظ وابواب التجنى
كثيرة وليس احد الا وفيه ما ان شئت جعلته ذنباً فكيف وانت ذنوب من
قرنك الى قدمك وكان ثمامة يفطر ايام كان في اصحاب القساطيط ناساً فكثروا
عليه واتوه الرقاع والشفاعات وفى حشوة المتكلمين اخلاق قبيحة وفيهم على
اهل الكلام وعلى ارباب الصناعات محنة عظيمة فلما رأى ثمامة ما قد دهمه
اقبل عليهم وهم يتعشون فقال ان الله عز وجل لا يستحيي من الحق كلكم

واجب الحق ومن لم تجئنا شفاعته فاكرمه كمن تقدمت شفاعته كما انا لو استطعنا
ان نعمكم بالبر لم يكن بعضكم احق بذلك من بعض فكذلك انتم اذا اعجزنا
أو بدا لنا فليس بعضكم احق بالحرمان من بعض او بالحمل عليه اوبالاعتذار
اليه من بعض ومتي قربتكم وفتحت بابى لكم وباعدت من هو اكثر منكم
عدداً واغلقت بابى دونهم لم يكن فى ادخالى اياكم عذر لى ولا فى منع الآخرين
حجة فانصرفوا ولا تعودوا (قال) ابو محمد العروضى وقعت بين قوم عربدة
فقام المغنى يحجز بينهم وكان شيخا معيلا بخيلا فمسك رجل بحلقه فعصره
فصاح معيشتي معيشتي فتبسم وتركه. (وحدثنى) ابن ابى كريمة قال وهبوا
للكنانى المغني خابية فارغة فلما كان عند انصرافه وضعوها له على الباب فلم
يكن عنده كراء حمالها وادركه ما يدرك المغنين من التيه فلم يحملها فكان
يركلها ركلة فتدحرج وتدور بمبلغ حمية الركلة ويقوم من ناحية كى لا يراه
انسان ويرى ماتصنع ثم يدنو منها ثم يركلها اخرى فتدحرج وتدور ويقف
من ناحية فلم يزل يفعل ذلك الى ان بلغ بها المنزل.. (قالوا) كان عبد النور
كاتب ابراهيم بن عبد الله بن الحسن قد استخفى بالبصرة في عبد القيس من
امير المؤمنين ابى جعفر وعماله وكان فى غرفة قدامها جناح وكان لا يطلع
رأسه منها فلما سكن الطلب شيئا وثبت عنده حسن جوار القوم صار يجلس
في الجناح يرضى بأن يسمع الصوت ولا يرى الشخص لما في ذلك من الأنس
عند طول الوحشة فلما طالت به الايام ومرت ايام السلامة جعل فى الجناح
خرقا بقدر عينه فلما طالت الايام صار ينظر من شق باب كان مسموراً ثم
ما زال يفتحه الاول فالاول الى ان صار يخرج رأسه ويبدى وجهه فلما لم ير

شيئا يريبه قعد في الدهليز فلما زاد في الانس جلس على باب الدار ثم صلى معهم في مصلاهم ودخل ثم صلى بعد ذلك وجاس والقوم عرب وكانوا يفيضون في الحديث ويذكرون من الشعر الشاهد والمثل ومن الخبر الايام والمقامات وهو في ذلك ساكت اذ اقبل عليه ذات يوم فتي منهم خرج عن ادبهم واغفل بعض ما راضوه به من سترهم فقال له ياشيخ انا قوم نخوض في ضروب فربما تكلمنا بالمثلبة وانشدنا الهجاء فلو اعلمتنا ممن انت تجنبنا كل ما يسوءك ولو اجتنبنا أشعار الهجاء كلها وأخبار المثالب باسرها لم نأمن ان يكون ثناؤنا ومديحنا لبعض العرب مما يسوءك فلو عرفتنا نسبك كفيناك سماع ما يسوءك من هجاء قومك ومن مديح عدوك فلطمه شيخ منهم وقال لا أم لك محنة كمحنة الخوارج وتنقير كتنقير العيابين ولم لاتدع ما يريبك الى ما لا يريبك فسكت الا عما توقن بانه يسره (قال) وقال عبد النور ثم ان موضعي نبا بي لبعض الامر فتحولت الى شق بني تميم فنزلت برجل فاخذته بالثقة وا كنت تقسى الى ان اعرف سبيل القوم وكان للرجل كنيف الي جانب داره يشرع في طريق لاينفذ الا ان من مر به في ذلك الشارع رأى مسقط الغائط من خلاء ذلك الجناح وكان صاحب الدار ضيق العيش فاتسع بنزولي عليه فكان القوم اذا مروا به ينظرون الى موضع الزبل والغائط فلا يذهب قلبي الى شئ مما كانوا يذهبون اليه فبينا انا جالس ذات يوم اذا انا باصوات ملتفة على الباب واذا صاحبي ينتفي ويعتذر واذا الجيران قد اجتمعوا اليه وقالوا ما هذا الثلط الذي يسقط من جناحك بعد ان كنا لانرى الا شيئاً كالبعر من يبس الكعك وهذا ثلط بعير عن اكل

غض ولولا انك اتجمت على بعض من تستر وتوارى لأظهرته وقد قال الاول

السترُ دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخير من ستر

ولولا ان هذا طلبة السلطان لما توارى فلسنا نأمن من ان يجر على الحى بلية ولست تبالى اذا حسنت حالك فى عاجل ايامك الى ما ينبغى بك الحال وما تلقى عشيرتك فاما ان تخرجه الينا واما ان تخرجه عنا قال عبدالنور فقلت هذه والله القيافة لا قيافة بنى مدلج انا لله خرجت من الجنة الى النار وقلت هذا وعيد وقد اعذر من انذر فلم اظن ان اللؤم يبلغ ما رأيت من هؤلاء ولاظننت ان الكرم يبلغ مارأيت من أولئك شهدت الاصمعى يوماً واقبل على جلسائه يسئلهم عن عيشهم وعما يأكلون ويشربون فاقبل على الذى عن يمينه فقال ابا فلان ما أدمك قال اللحم قال أكل يوم لحم قال نعم قال وفيه الصفراء والبيضاء والحمراء والكدراء والحامضة والحلوة والمرة قال نعم قال بئس العيش هذا ليس هذا عيش آل الخطاب كان عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ورضوانه يضرب على هذا وكان يقول مدمن اللحم كمدمن الخمر ثم سأل الذى يليه قال ابا فلان ما ادامك قال الادام الكثيرة والالوان الطيبة قال أفى ادامك سمن قال نعم قال فتجمع السمن والسمين على مائدة قال نعم قال ليس هذا عيش آل الخطاب كان ابن الخطاب رحمة الله عليه ورضوانه يضرب على هذا وكان اذا وجد القدور المختلفة المطعوم كدرها فى قدر واحدة وقال ان العرب لو اكلت هذا لقتل بعضها بعضاً ثم يقبل على الآخر فيقول ابا فلان ما ادمك قال اللحم السمين والجدى الرضع قال فتأكله بالحوارى قال نعم قال ليس هذا عيش آل الخطاب كان ابن الخطاب

يضرب على هذا اوما سمعته يقول اترونى لا اعرف الطعام الطيب لباب البر بصغار المعزى ألا تراه كيف يتقى من اكله ويتحل معرفته ثم يقبل على الذى يليه فيقول ابا فلان ما ادمك فيقول اكثر ما آكل لحوم الجزر وتتخذ منها هذه الثلايا ونجعل بعضها شواء قال افتأكل من اكبادها واسنمتها وتتخذ لك الصباغ قال نعم قال ليس هذا عيش آل الخطاب كان ابن الخطاب يضرب على هذا اوما سمعته يقول اترونى لا اقدر ان اتخذ اكباداً وافلاذاً وصلائق وصنابا الا تراه كيف ينكر أكله ويستحسن معرفته ثم يقول للذى يليه ابا فلان ما ادمك فيقول الشبارقات والاخبصة والفالوذجات قال طعام العجم وعيش كسرى ولباب البر بلعاب النحل بخالص السمن حتى اتى على آخرهم كل ذلك يقول بئس العيش هذا ليس هذا عيش آل الخطاب كان ابن الخطاب يضرب على هذا فلما انقضى كلامه اقبل عليه بعضهم فقال ياأبا سعيد ما أدمك قال يوما قفار ويوما لحم عيش آل خطاب ثم قال قال ابو الاشهب كان الحسن يشترى لاهله كل يوم بنصف درهم لحما فان غلا فبدرهم فلما حبس عطاؤه كانت مرقته بشحم ونبئت عن رجل من قريش انه كان يقول من لم يحسن يمنع لم يحسن يعطى وانه قال لابنه أى بنى انك ان اعطيت فى غير موضع الاعطاء اوشك ان تستعطى الناس فلا تعطى ثم أقبل علينا فقال هل علمتم ان اليأس أقل من القناعة واعزان الطمع لا يزال طمعاً وصاحب الطمع لا ينتظر الاسباب ولا يعرف الطمع الكاذب من الصادق والعيال عيالان شهوة مفسدة وضرس طحون واكل الشهوة اثقل من اكل الضرس وقد زعموا ان العيال سوس المال وانه لا مال لذى عيال وانا اقول ان الشهوة

تبلغ مالا يبلغ السوس وتأتى على ما يقصر دونه العيال وقد قال الحسن ما عال احد قط عن قصده وقيل لشيخ من أهل البصرة ما لك لا ينمى لك مال قال لانى اتخذت العيال قبل المال واتخذ الناس المال قبل العيال وقد رأيت من تقدم عياله ماله فجبره الاصلاح ورفده الاقتصاد واعانه حسن التدبير ولم ار لشوائى تدبيراً ولا لشرهي صبراً وقال اياس بن معاوية ان الرجل يكون عليه الف فيصلح فتصلح له الغلة ويكون عليه الفان فينفق الفين فيصلح فتصلح له الغلة فيكون عليه الفان فينفق ثلاثة آلاف فيبيع العقار فى فضل النفقة وذكر الحديث عن ابى لينة قال كنت أرى زياداً وهو امير يمر بنا على بغلة في عنقها حبل من ليف مدرج على عنقها وكان سلم بن قتيبة يركب بغلة وحده ومعه أردية آلاف رابطة ورآم الفضل بن عيسى على حمار وهو امير فقال بذلة نبي وقعود جبار ولو شاء ابو سيارة ان يدفع بالعرب على جمل مهرى أو فرس عتيق لفعل ولكنه اراد هدى الصالحين وحمل عمر على برذون فهملج تحته فنزل عنه فقال لاصحابه جنبونى هذا الشيطان ثم قال لاصحابه لاتطلبوا العز لغير ما اعزكم الله به .

قد كنت اعجب من بعض السلف حيث قال ما اعرف شيئاً مما كان الناس عليه الا الاذان وانا اقول ذلك ولم يزل الناس فى هبوط مارفعوا بالاسراف ومارفعوا البنيان للمطاولة وان من اعجب مارأيت فى هذا الزمان او سمعت مفاخرة موسى بن عمران لابى عبيد الله بن سلمان في ايهما كان اسبق الى ركوب البراذين ومالتاجر والبرذون ومارکوب التاجر للبراذين الا كركوب العرب للبقر لو كانوا اذا جلسوا في الخيوش واتخذوا الحمامات فى الدور واقاموا

وظائف الثلج والريحان واتخذوا القيان والخصيان استرد الناس ودائعهم واسترجعت القضاة اموال الايتام والحشرية منهم لعادوا الى دينهم وعيشهم واقتصادهم واذا رآهم اصحاب الغلات واهل الشرف والبيوتات اتقوا ان يكونوا دونهم فى البزة والهيئة فهلكوا واهلكوا زعم ابو يعقوب الخريمى ان جعفر بن يحيى اراد يوماً حاجة كان طريقه اليها على باب الاصمعى وانه دفع الى خادم له كيساً فيه الف دينار وقال له سأنزل في رجعتى الى الاصمعى وسيحدثني ويضحكني واذا رأيتني قد ضحكت فضع الكيس بين يديه فلما دخل فرأى حبا مقطوع الراس وجرة مكسورة العروة وقصعة مشعبة وجفنة أعشاراً وزاده على مصلى بال وعليه بركان اجرد غمز غلامه بعينه ألا يضع الكيس بين يديه ولا يدفع اليه شيئاً فلم يدع الاصمعى شيئاً مما يضحك الثكلان والغضبان الا اورده عليه فما تبسم فقال له انسان ما ادرى من اى امريك اعجب أمن صبرك على الضحك وقد اورد عليك ما لا يصبر على مثله ام من تركك اعطاءه وقد كنت عزمت على اعطائه وهذا خلاف ما اعرفك به قال ويلك من استرعى الذئب فقد ظلم ومن زرع سبخة حصد الفقر انى والله ان لو علمت انه يكتم المعروف بالفعل لما ارتفقت بنشره له باللسان واين يقع مديح اللسان من مديح آثار الغنى على الانسان فاللسان قد يكذب والحال لا تكذب لله در نصيب حيث يقول

فعاجوا فأثنوا بالذى انت اهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب

اعلمت ان ناووس باروبه امدح له من شعر زهير لآل سنان بن ابى حارثة لان الشاعر يكذب ويصدق وبنيان المراتب لا يكذب مرة ويصدق

مرة قلت بعائد الى هذا بمعروف ابداً كان الاصمعي يتعوذ بالله من الاستقراض والاستقراض فانعم الله عليه حتى صار هو المستقرض منه والمستقرض ماعنده فاتفق ان اتاه في يوم واحد رجلان وكان احدهما يطلب القرض والآخر يطلب القرض هجما عليه معاً اثقله ذلك وملأ صدره ثم اقبل على صاحب السلف فقال تتبدل الافعال بتبدل الحال ولكل زمان تدبير ولكل شيء مقدار والله في كل يوم في شأن كان الفقيه يمر باللقطة فيتجاوزها ولا يتناولها كي يمتحن بحفظها سواه اذ كان جل الناس في ذلك الدهر يردون الامانة ويحوطون اللقطة فلما تبدلوا وفسدوا وجب على الفقيه احرازها والحفظ لها وان يصبر على ما نابه من المحنة واختبر به من الكلفة وقد بلغني ان رجلا اتى صديقاً له يستقرض منه مالا فتركه بالباب ثم خرج اليه مؤتزراً فقال له مالك قال جئت للقتال واللطام والخصومة والصخب قال ولم قال لانك في اخذ مالي بين حالين اما ان تذهب به واما ان تمطلني به فلو اخذته على طريق البر والصلة لاعتددت عليك بحق ولوجب عليك به شكر واذا اخذته من طريق السلف كانت العادة في الديون والسيرة في الاسلاف الرد او التقاضي واذا تقاضيتك اغضبتك واذا اغضبتك اسمعتني ما اكره فتجمع علىّ المطل وسوء اللفظ والوحشة وافساد اليد في الاسلاف وانت اظلم فاغضب كما غضبت فاذا نقلتني الى حالك فعلت فعلك وصرت انا وانت كما قال العربي انا تئق وصاحبي مئق فما ظنك بتئق من الغيظ مملوء من الغضب لاني متأق من الموق مملوء من النكران ولكني ادخل الي المنزل فاخرج اليك مؤتزراً فاعجل لك اليوم ما اخرته الى غد وقدعلمت ان ضرب الموعظة دون ضرب

الحقد والسخيمة فتربح صرف ما بين الالمين وفضل ما بين الشتمين وبعدفانا اضن بصداقتي لك واشح على نصيبي منك من ان اعرضه للفساد وان اعينك على القطيعه ولا تامنى على ان كنت عندى واحداً من اهل عصرك فان كنت عند نسك فوقوم وبعيداً من مذهبهم فلا تكاف الناس عم الغيب فتغلهم ثم قال ومازالت العارية مؤداة والوديعة محفوظة فلماقالوا أحق الخيل بالركض المعار بعد ان كان يقال احق الخيل بالصون المعار وبعد ان قيل لبعضهم ارفق به قال انه عارية وقال الآخر فاقتل فسدت العارية واستد هذا الباب ولماقالوا

شمر قميصك واستعد لنابل ... واحكك جبينك للقضاء بثوم

واخفض جناحك ان مشيت تخشعا ... حتى تصيب وديعة ليتيم

وحين اكلت الامانات الامناء والاوصياء ورتع فيها المعدلون والصرافون وجب حفظها ودفنها وكان اكل الارض لها خيرامن اكل الخؤون الفاجر واللئيم النادر وهذا مع قول اكثم بن صيفي في ذلك الدهر لو سئلت العارية اين تذهبين قالت اكسب اهلى ذما وانااليوم انهى عن العارية والوديعة وعن القرض والقرض واكره ان تخالف قولي فعلي اما القرض فلما انبأتكم واما القرض فليس يسعه الا بيت المال ولو وهبت لك درهماواحدا لفتحت على مالى بابا لا يسده الجبال والرمال ولو استطعت ان اجعل دونه ردماً كردم ياجوج وماجوج ان الناس فاغرة افواههم نحو من عنده دراهم فليس يمنعهم من النهس الا الياس وان طمعوا لم تبق راغية ولا ثاغية ولا سبد ولا لبد ولا صامت ولا ناطق الا ابتلعوه والنهود اتدرى ماتريد بشيخك انما تريد ان تفقره فاذا افقرته فقد قتلته وقد تعلم ماجاء في قتل النفس المؤمنة فلم اشبه قول

الاصمعى لهذا الرجل حين قال اضن بك واشح على نصيبى منك من ان اعرضه للفساد الا بقول ثمامة حين قال لابن سافرى يا عاض بظر امه بالنظر منى اقول لك وبالشفقة منى اسبك وذلك انه ندم حين اعضه فرأى ان هذا القول يجعل ذلك منه يداً ونعمة وشهدت ثمامة واتاه رجل قال لي اليك ايضاً حاجة قحفقال ثمامة ولى اليك ايضاحاجة قال وما حاجتك قال لست اذكرها لك حتي تضمن لي قضاءها قال نعم قال فحاجتي الا تسئلنى هذه الحاجة قال انك لا تدرى ما هي قال بلى قد دريت قال فاهى قال هى حاجة وليس يكون الشئ حاجة الا وهى تخرج الى شئ من الكلفة قال فقد رجعت عما اعطيتك قال لكنى لا اردما اخذت فا قبل عليه آخر فقال لي حاجة الى منصور بن النعمان قال قل لي حاجة الى ثمامة بن اشرس لانى انا الذى اقضى لك الحاجة ومنصور يقضيها لي ثم قال فانا لا اتكلم فى الدراهم من قلوب الناس لان الحوائج تنقص فمن سألته اليوم ان يعطيك سألنى غداً أن اعطى غيرك فتعجيلى تلك العطية لك اروح لي ليس عندى دراهم ولو كان عندى دراهم لكانت نوائبى القائمة الساعة تستغرقها ولكني اؤنب لكم من شئتم علىّ لكم من التانيب كل ماتريدون قلت له فاذا اتيت رجلا فى امر لم تتقدم فيه بمسئلة كيف يكون جوابه لك فضحك حتي استند الى الحائط . وجاءمرة ابو همام المسوط يكلمه فى مرمة داره التي تطوع ببنائها فى رباط عبادان فقال ذكرتنى الطعن وكنت ناسياً قد كنت عزمت على هدمها حين بلغنى ان الجبرية قد نزلتها قال سبحان الله تهدم مكرمة وداراً قد وقفتها للسبيل قال فتعجب من ذا قد اردت ان اهدم المسجد الذى كنت بنيته ليزيد بن هاشم

حين تركه ان يبنيه في الشارع وبناه في الرائغ وحين بلغني انه يخلط في الكلام وبعين الشمرية على المنزلة فلو أراده ابو همام وجد من ثمامة مربدا جميع مساحة الارض وكان حين يستوى لك اللفظ لا ينظر في صلاح المعانى من فسادها . وتمشى رجل الى الغاضرى قال ان صديقك العادمى قد قطع عليه الطريق قال فاى شئ تريد قال ان تخلف عليه قال فليس عليه قطع الطريق بل على قطع واتى ابن سكاب الصيرفي صديق له يستلف منه مالا فقال لو شئت ان اقول لقلت وان اعتل اعتللت وان استمير بعض كلام من يستلف منه اخوانه فعلت ولبس ارى شيئاً خيراً من التصحيح وقشر العصا ليس افعل فان التمست لي عذراً فهو اروح لقلبك وان لم تفعل فهو شر لك. وضاق الفيض بن يزيد ضيقاً شديداً فقال والله ما عندنا من شئ نعول عليه وقد بلغ السكين العظم والبيع لا يكون الا مع طول المدة والرأى ان نترل هذه النائبة بمحمد بن عباد فانه يعرف الحال وصحة المعاملة وحسن القضاء ومالنا من السبب المنتظر فلو كتبت اليه كتابا لسره ذلك ولسد منا هذه الخلة القائمة الساعة فتناول القلم والقرطاس ليكتب اليه كتاب الواثق المدل لا يشك انه سيتلقى حاجته بمثل ما كان هو المتلقى لها منه ومضى بعض من كان في المجلس الى محمد بن عباد ليبشره بسرعة وورود حاجة الفيض اليه فأتاه امر لا يقوم لكتابه ليشغله بحاجته اليه عن حاجته اليه فكتب اليه مالي يضعف والدخل قليل والعيال كثير والسعر غال وارزاقنا من الديوان قد احتبست وقد تفتحت علينا من ابواب النوائب في هذه الايام ما لم يكن لنا في حساب فان رأيت أن تبعث الى بما امكنك فعجل به فان بنا اليه اعظم الحاجة فورد

الكتاب على القيض قبل كتابه اليه فلما قرأه استرجع وكتب اليه يا اخى
تضاعفت على المصيبة حتي جمت الي خلة عيالك خلة عيالى وقد كنت على
الاحتيال لهم وسأضطرب فى وجوه الحيل غير هذا الاضطراب وسأتحرك فى
بيع ماعندى ولو يمض الطرح فلما رجع الكتاب الى ابن عباد سكن والتى
صاحبه فى اشد الحركة واتعب التعب . وكان رجل من ابناء الحربية له
سخاء واريحية وكان يكثر من استزارة ابن عباد ويتلف عليه من الاموال من
طريق الرغبة في الادباء وفى مشايخ الظرفاء وكان يظن بكرمه ان زيارته ابن
عباد في منزله زيادة فى المؤانسة وقد كان بلغه امساكه ولكنه لم يظن انه لاحيلة
له فى سببه فأتاه يوما متطرئا وقال جئتك من غير دعاء وقد رضيت بما حضر
قال فليس يحضر شيء وقولك بما حضر لا بد من ان يقع على شيء قال فقطعة
مالح قال وقطعة مالح ليس هى شيء قال بلى فنحن نشرب على الريق قال لوكان
عندنا نبيذ كنا فى عرس قال فانا ابعث الى نبيذ قال فاذا صرت الى تحويل النبيذ
فحول ايضاً ما يصلح للنبيذ قال ليس يمنعني من ذلك ومن احضار النقل
والريحان الا ان احتسب لك هذه الزورة بدعوة وليس يجوز ذلك الا بأن
يكون لك فيها أثر قال محمد فقد انفتح لي باب لكم فيه صلاح وليس
عليّ فيه فساد في هذه النخلة زوج ورشان ولهما فرخان مدركان وان نحن
وجدنا انسانا يصعدها فانها سحيقة منجردة ولم يطيرا فانهما قدصارا ناهضين
جعلنا الواحد طباهجة والآخر كرد جا فانه يوم كردناج فطلبوا في الجيران
انسانا يصعد تلك النخلة فلم يقدروا عليه فدلوهم على اكار لبعض اهل الحربية
فمازال الرسول يطلبه حتي وقع عليه فلما جاء ونظر الى النخلة قال هذه لا تصعد

ولا يرتقى عليها الا بالتبليا والبربند فكيف ارومها انا بلا سبب فسألوه ان يلتمس لهم ذلك فذهب فغبر مليا ثم اتاهم به فلما صار فى اعلاها طار احدهما وانزل الآخر فكان هو الطباهج والكرداناج وهو الغذاء وهو العشاء وكتب ابراهيم بن سيابة الى صديق له يساويه فى الادب ويرتفع عليه فى الحال وكان كثير المال كثير الصامت يستسلف منه بعض ما يرتفق به الى ان يأتيه بعض ما يؤمل فكتب اليه صديقه هذا يعتذر ويقول ان المال مكذوب له وعليه والناس يضيفون الى الناس فى هذا الباب ما ليس عندهم وانا اليوم مضيق وليست الحال كما تحب واحق من عذر الصديق العاقل فلما ورد كتابه على ابن سيابة * كتب اليه ان كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وان كنت ملوماً فجعلك الله معذوراً

قال عمرو الجاحظ احتجنا عند التطويل وحين صار الكتاب طويلا وكبيراً الى ان يكون قد دخل فيه من علم العرب وطعامهم وما يتمادحون به وما يتهاجون به شئ وان قل ليكون الكتاب قد انتظم جمل هذا الباب ولو لا ان يخرج من مقدار شهوة الناس لكان الخبر عن العرب والاعراب اكثر من جميع هذا الكتاب الطعام ضروب والدعوة اسم جامع وكذلك الزلة ثم منه العرس والخرس والاعذار والوكيرة والنقية والمأدبة اسم لكل طعام دعيت اليه الجماعات قال الشاعر

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقر

وجاء فى الحديث القرآن مأدبة الله وقد زعم ناس ان العرس هو الوليمة لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن أو لم ولو بشاة وكان ابن عون

والاصمعي من بعده يذمان عمرو بن عبيد ويقولان لا يجيب الولائم بجملان طعام الاملاك والاعراس والسبوع والختان وليمة والعرس معروف الا ان المفضل الضبي زعم ان هذا الاسم مأخوذ من قولهم لاعطر بعد عروس وكان الاصمعي يجعل العروس رجلا بعينه كان بنى على اهله فلم يتعطر له فسمى بعد لذلك كل بان على اهله بذلك الاسم ومثل هذا لا يثبت الا بان يستفيض فى الشعر ويظهر في الخبر واما الخرس فالطعام الذى يتخذ صبيحة الولادة للرجل والنساء وزعموا ان اصل ذلك مأخوذ من الخرسة والخرسة طعام النفساء قالت جارية ولدت حين لم يكن لها من يخدمها وعارس للنفساء تخرسى لا مخرسة لك وفى الخرسة يقول مساور الورّاق

اذا اسدية ولدت غلاماً فبشرها بلؤم في الغلام
تخرسها نساء بنى دبير بأخبث ما يجدن من الطعام

وقال ابن القميئة

شركم حاضر وخيركم د ر خروس من الارانب بكر

فالخروس هى صاحبة الخرسة والاعذار طعام الختان يقال صبي معذور وصبيّ معذر جميعاً وقال بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو يريد تقاربهم فى الاسنان كنا اعذار عام واحد وقال النابغة

فنكحن ابكاراً وهن بأمة اعجلنهن مظنة الاعذار

فزعموا انهم سموا طعام الاعذار بالاعذار للملابسة والمجاورة كان الاصمعي يقول قد كان للعرب كلام على معان فاذا ابتذلت تلك المعانى لم تتكلم بذلك الكلام فمن ذلك قول الناس اليوم ساق اليها صداقها وانما كان

هذا يقال حين كان الصداق ابلا وغنما وفى قياس قول الاصمعى ان اصحاب التمر الذين كان التمر دياتهم ومهورهم كانوا لايقولون ساق فلان صداقه (قال) ومن ذلك قول الناس اليوم قد بنى فلان البارحة على اهله وانما كان هذا القول لمن كان يضرب على اهله فى تلك الليلة قبته وخيمته وذلك هو بناؤه ولذلك قال الاول

لو نزل الغيث ابنين امرءا كانت له قبة سحق بجاد

و كان الاصمعى يعد من هذا اشياء ليس لذكرها ها هنا وجه ومن طعامهم الوكيرة وهو طعام البناء كان الرجل يطعم من يبنى له واذا فرغ من بنائه تبرك باطعام اصحابه ودعائهم ولذلك قال قائلهم

خير طعام شهد العشيره العرس والاعذار والوكيره

ويسمون ماينحرون من الابل والجزر من عرض المغنم النقيعة قال الشاعر

انا لنضرب بالسيوف رؤسهم ضرب القدار نقيعة القدام

والعقيقة دعوة على لحم الكبش الذى يعق عن الصبى والعقيقة اسم للشعر نفسه والاشعار هى العقائق وقولهم عقوا عنه اى احلقوا عقيقته ويقولون عق عنه وعق عليه فسمى الكبش لقرب الجوار وسبب الملتبس عقيقة ثم سموا ذلك الطعام باسم الكبش وكان الاصمعى يقول لايقولن احدكم اكلت ملة بل يقول اكلت خبزة وانما الملة موضع الخبزة وكذلك يقول فى الرواية والمزادة يقول الراوية هو الجمل وزعموا انهم اشتقوا الراوية الشعر من ذلك فاما الدعاء الى هذه الاصناف فمنه المذموم ومنه الممدوح فالمذموم القرى والممدوح الجفلى وذلك ان صاحب المادبة وولي الدعوة اذا جاء رسوله والقوم

فى اخويتهم وانديتهم فقال أجيبوا الى طعام فلان فجعلهم جفلة واحدة وهى الجفالة فذلك هو المحمود واذا انتقر فقال قم انت يا فلان وقم انت يا فلان فدعا بعضاً وترك بعضاً فقد انتقر قال الهذلي

وليلة يصطلى بالفرث جازرها يختص بالنقرى المثرين داعيها

يقول لايدعو فيها الا اصحاب الثروة واهل المكافأة وهذا قبيح وقال فى ذلك بعض ظرفائنا

آمر بالجدى وبالمائدة من كان يرجو عنده الفائده

لوكان مكوكان فى كفه من خردل ماسقطت واحده

وقال طرفة بن العبد

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقر

ولما غزا بسطام بن قيس الشيبانى مالك بن المنتفق الضبي واثبته عاصم ابن خليفة الضبي شدعليه فطعنه وهو يقول.

هذا وفى الجفلة لايدعونى

ويروى فى الجفلة لا يدعونى كانه حقد عليه حين كان يدعو اهل المجلس ويدعه والطعام المذموم عندهم ضربان احدهما طعام المجاوع والحطمات والضرائك والسباريت واللئام والجبناء والفقراء والضعفاء من ذلك الغث والدعاع والهبيد والقرامة والقرة والعسوم ومنقع البرم والقصيد والقدوالحيات فاما الفظ فانه وان كان شرابا كريها فليس يدخل فى هذا الباب وكذلك المجدوح فاما الفظ فانه عصارة الفرث اذا اصابهم العطش في المفاوز واما المجدوح فانهم اذا بلغ العطش منهم المجهود نحروا الابل وتلقوا البانها بالجفان

كيلا يضيع دمائها شيء فاذا برد الدم ضربوه بأيديهم وجدحوه بالميدان جدحا
حتي ينقطع فيعتزل ماؤه من ثفله كما يخلص الزبد بالمخيض والجبن بالانفحة
فيتصافنون ذلك الماء ويتبلغون به حتي يخرجوا من المفازة وقال الشاعر

لم يأكل الفث والدعاع ولم ... يجر هبيد لحيه مهتبد

وقال امية بن ابى الصلت

ولا يتنازعون عنان شرك ... ولا اقوات اهلهم العسوم
ولا قرن يقزز من طعام ... ولا نصب ولا مولى عديم

وقال معاوية بن ابى معاوية الجرمي فى القرة وهو يعير بنى اسد وناسا
من هوازن وهما ابنا القملية

ألم تر جرما انجدت وابوكم ... مع القمل في حفر الاقيصر شارع
اذا قرة جاءت يقول اصب بها ... سوى القمل انى من هوازن ضارع

والقرامة نحاتة القرون والاظلاف والمناسب وبرادتها والعلهز القردان
ترض وتعجن بالدم والقرة الدقيق المختلط بالشعر كان الرجل منهم لا يحلق
رأسه الا على رأسه قبضة من دقيق ليكون صدقة على الضرائك وطهوراً له
فمن اخذ ذلك الدقيق للاكل فهو معيب وفى اكل الحيات يقول ابن مناذر

فأياكم والريف لا تقربنه ... فان لديه الحتف والموت قاضيا
وهم طردوكم عن بلاد ابيكم ... وانتم حلول تشتوون الافاعيا

وقال القطامي فى اكلهم القد

تعممت في طل وريح تلفنى ... وفي طرمساء غير ذات كواكب
الى حيزبون توقد النار بعد ما ... تلفعت الظلماء من كل جانب

فسلمت والتسليم ليس يسرها ولكنه حق على كل جانب
فلما تنازعنا الحديث سألتها من الحي قالت معشر من محارب
من المشترين القد في كل شتوة وان كان ريف الناس ليس بناضب

وقال الراعي

بكى منذر من ان يضاف وطارق يشد من الجوع الازار على الحشا
الى ضوء نار يشتوى القد اهلها وقد تكرم الاضياف والقد يشتوى

وقد يضيقون فى شراب غير المجدوح والفظ فى المغازى والاسفار فيمدحون من آثر صاحبه ولا يذمون من اخذ حقه منه وهو ماء المصافنة والمصافنة مقاسمة هذا الماء بعينه وذلك ان الماء اذا نقص عن الريّ اقتسموه بالسواء ولم يكن للرئيس ولصاحب المرباع والصفيّ وفضول المقاسم فضل على اخسّ القوم وهذا خلق عام ومكرمة عامة في الرؤساء قال الفرزدق

فلما تصافنا الاداوة اجهشت الى غضون العنبرى الجراضم
على ساعة لو ان في القوم حاتماً على جوده ضنت به نفس حاتم

وبذلك المذهب من الأثرة مدح الشاعر كعب بن مامة حين آثر بنصيبه رفيقه النمرىّ فقال

ما كان من سوقة اسقى على ظما خمراً بماء اذا ناجودها بردا
من ابن مامة كعب ثم عىّ به زوّ المنية الا حـــرة وقدا
اوفى على الماء كعب ثم قيل له رد كعب انك وراد فما وردا

وفى المصافنة يقول الاسدى

كأن اطيطا يابنة القوم لم ينخ قلائص يحكيها الحى المنقع

ولم يسق قوما فارسي على الحصا ... صباب الاداوى والمطيات جنح

ويزعمون ان الحصاة التى ان اغمرها الماء في الاناء كانت نصيب احدهم تسمى المقلة وهذا الحرف سمعته من البغداديين ولم اسمعه من اصحابنا وقد برئت اليك منه وقال ابن جحوش فى المصافنة

ولما تعاورنا الاداوة أجهشت ... الى الماء نفس العنبرى الجراضم

وآثرته لما رأيت الذى به ... على النفس اخشى لاحقات الملاوم

فجاء بجلمود له مثل رأسه ... ليشرب حظ القوم بين الصرائم

وقد يصيب القوم فى باديتهم ومواضعهم من الجهد ما لم يسمع به فى امة من الامم ولا في ناحية من النواحى وان احدهم ليجوع حتى يشد على بطنه الحجارة وحتي يعتصم بشدة معاقد الازار وينزع عمامته من رأسه فيشد بها بطنه وانما عمامته تاجه والاعرابى يجد في رأسه من البرد اذا كان حاسراً ما لا يجده احد لطول ملازمته العمامة ولكثرة طيها وتضاعف أثنائها ولربما اعتمّ بعمامتين ولربما كانت على قلنسوة خدرية وقال مصعب بن عمير الليثى

سيروا فقد جن الظلام عليكم ... فبئس امرؤ يرجو القرى عند عاصم

دفعنا اليه وهو كالذيخ خاطياً ... نشد على اكبادنا بالعمائم

وقال الراعي في ذلك

يشب لركب منهم من ورائهم ... فكلهم امسى الى ضوءها سرى

الى ضوء نار يشتوى القد اهلها ... وقد تكرم الاضياف والقد يشتوى

فلما اناخوا واشتكينا اليهم ... بكوا وكلا الخصمين مما به بكا

بكا منذر من ان يضاف وطارق ... يشد من الجوع الازار على الحشا

ومما يدل على ماهم فيه من الجهد وعلى امتداحهم بالأثرة قول الغنوى

لقد علمت قيس بن عيلان اننا نضار وأنا حيث ركب عودها
اذا الماء بعد اليوم عدق بعضه يعض ويبلى شح نفس وجودها
وأنا مقارحين يتكر النضا اذا الارض أمست وهي جدب جنودها

وقال فى ذلك العجير السلولي

من المهديات الماء بالماء بعد ما رمى بالمقارى كل قار ومعتم

وقال آخر فى مثل هذا

لنا ابل يروين يوماً عيالنا ثلاث فان يكثرن يوماً فاربع
تمدهم بالماء لا من هوانهم ولكن اذا ما قل شئ ويمنع
على أنها تعشى أولئك بيتها على اللحم حتى يذهب الشر اجمع

وقال ابو سعيد الخدرى اخذت حجراً فعصبته على بطنى من الجوع واتيت النبي صلى الله عليه وسلم اسأله فلما سمعته وهو يخطب من يستعف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله رجعت ولم اسأله قال اعرابى جعت حتى سمعت من مسامعى دويا فخرجت ارتغ الصيد فاذا بعفارة واذا هو جرو ذئب فذبحته واكلته وادهنت واحتذيت ولما قدم المذيرة القادسية على سعد بسبعين من الظهر وعند سعد ضيق شديد من الحال نحروها واكلوا لحومها وادهنوا بشحومها واحتذوا جلودها وذكر الاصمعى عن عثمان الشحام عن ابى رجاء العطاردي قال لما بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ فى القتل هربا فاشتوينا فخذ ارنب دفيناً والقينا عليها جمالنا فلا انسى تلك الاكلة . وكان الاصمعى اذا حدث بهذا الحديث قال نعم الأدام الجوع ونعم شعار المسلمين

التخفيف وذكروا عن عبد الملك بن عمير عن رجل من بني عذرة قال خرجت زائراً لاخوال لي بهجر فاذا هم في برث احمر باقصى هجر في طلوع القمر فذكروا ان اتانا تعتاد نخلة فترفع يديها وتمطو بفيها وتأخذ الحلقان والمنسبتة والمنصفة والموة فتنكبت قوسي وتقلدت جفيري فاذا هي قد اقبلت فرميتها فخرت لفيها فادركت فتورت سرتها ومعرفتها فقدحت ناري وجمعت حطبي ثم دفنتها ثم ادركني ما يدرك الشباب من النوم فما استيقظت الا بحر الشمس في ظهري ثم كشفت عنها فاذا لها غطايط من الودك كتداعي طئ وغطيف وغطفان ثم قمت الى الرطب وقد ضربه برد الشجر فجنيت الموة والحلقان فجعلت اضع الشحمة بين الرطبتين والرطبة بين الشحمتين فاظن الشحمة سمنة ثم سلاءة واحسبها من حلاوتها شهدة احدرها من الطور . وانا أتهم هذا الحديث لان فيه ما لا يجوز ان يتكلم به عربي يعرف مذاهب العرب وهو من احاديث الهيثم وقال مدينى لاعرابى اى شئ تدعون وأى شئ تأكلون قال نأكل ما دب ودرج الا ام حبين فقال المدينى لتهن أم حبين العافية وقال الاصمعى تعرق اعرابى عظما فلما اراد ان يلقيه وله بنون ثلاثة قال له احدهم اعطنيه قال وما تصنع به قال اتعرقه حتي لا تجد فيه ذرة مقيلا قال ما قلت شيئاً قال الثانى اعطنيه قال وما تصنع به قال اتعرقه حتى لا تدرى ألعامه ذلك هو ام للعام الذى قبله قال ماقلت شيئاً قال الثالث اعطنيه قال وما تصنع به قال اجعله مخة ادام قال انت له وقال الآخر

فانك لم تشبه لقيطاً وفعله ... وإن كنت أطعمت الارز مع التمر

وقال الآخر

إذا الفاض منها بعضها لم تجد لها ... دويا لما قد كان منها مدانيا

وإن حاولوا أن يشبعو هار أيتها ... على الشبع لا تزداد الا تداعيا

معودة الارحال لم توف مرقبا ... ولم تمتط الجون الثلاث الاثافيا

ولا اخترعت من نحو مكة شقة ... الينا ولا جازت بها الديس واديا

ولكنها في أصلها موصلية ... مجاوزة فيها من البحر جاريا

أتتنا تزجيها المجاذيف نحونا ... وتعقب فيما بين ذاك المراديا

فقلت لمن هذى القدور التي ارى ... تجيل عليها الريح تربا وسافيا

فقالوا وهل يخفى على كل ناظر ... قدور رقاش إن تأمل رائيا

فقلت متي باللحم عهد قدوركم ... فقالوا إذا مالم يكن عواريا

ألا ضحى الى الاضحي والا فانها ... تكون كنسج العنكبوت كما هيا

فلما استبان الجهد لى في وجوههم ... وشكواهم أدخلتهم فى عياليا

فكنت اذا ما استشرفونى مقبلا ... إشاروا جميعاً لجة وتداعيا

ومما قالوا فى صفة قدورهم وجفانهم وطعامهم مما انا كاتبه لك وهم وان كانوا فى بلاد جدب فانهم احسن الناس حالا في الخصب فلا تظنن من كل مايصنعون به قدورهم وجفانهم وثريدهم وحيسهم باطل وحدثنى الاصمعى (قال) سألت المنتجع بن نبهان عن خصب البادية فقال ربما رأيت الكلب يتخطي الخلاصة وهى له معرضة شبعاً وقال الافوه الاودى

تهنا لثعلبة بن قيس جفنة ... يأوى اليها فى الشتاء الجوع

ومذانب لا تستعار وخيمة ... سوداء عيب نسيجها لا يرقع

وكأنما فيها المذانب حلقة   ودم الدلاء على دلوج ينزع

وقال معن بن اوس وهو يذكر قدر سعيد بن العاص في بعض ما يمدحه

اخو شتوات لا تزال قدوره   تحل على ارجائها ثم ترحل

اذا ما امتطاها الموقدون رأيتها   لوشك قراها وهي بالجزل تشمل

سمعت لها لغطا اذا ما تغطمطت   كهدر الجمال رزما حين تجفل

ترى البازل الكوماء فيها باسرها   مقبضة في قعرها ما تجنجل

كأن الكهول الشهب في خجراتها   تعارش في تيارها حين تحفل

اذا التطمت أمواجها فكأنها   غوائب دهم في المحلة قبل

اذا احتدمت امواجها فكأنما   يزعزعها من شدة الغلي أوكل

تظل رواسيها ركودا مقيمة   لمن نابه فيها معاش وما كل

وضاف الفرزدق ابا السحماء سحيم بن عامر احد بنى عمرو بن مرثد فاحمده وذكر في احماده قدره فقال

سألنا عن ابي السحماء حتى   أتينا خير مطروق لسارى

فقلنا يا أبا السحماء انا   وجدنا الازد ابعد من نزار

فقام يجر من عجل اليتا   أسابي النعاس مع الازار

وقام الي سلافة مسلحب   رثيم الانف مربوب بقار

تدور عليهم والقدر تغلي   بابيض من سديف القوم وارى

كأن تطلع الترغيب منهم   عذارى تطلعن الى عذارى

وقال الكميت في صفة القدر

اوز تغمس في لجـــة   تغيب مرارا وتطفو مرارا

كان النطامط من غليها   اراجيز أسلم تهجو غفارا

واما ماذكروا من صفات القدور من تعبير بعضهم بمضافه وكما انشدنى محمد بن يسير قال لما قال الاول

ان لنا قدر ذراعين عرضها   وللطول منها اذرع وشبار

قال الآخر وما هذه اخزى الله هذه قدرا ولكنى اقول

بوأت قدرى فوضعتها   برابية من بين ميث واجرع

جعلت لها هضب الرجام وطخفة   وغولا اثافى دونها لم تنزع

بقدر كأن الليل شحنة قعرها   ترى الفيل فيها طاميا لم يقطع

يعجل للاضياف وارى سديفها   ومن يأتها من سائر الناس يشبع

قال ابو عبيدة ولما قال الفرزدق

وقدر كحيزوم النعامة احمشت   باجذال خشب زال عنها هشيمها

قال ميسرة ابو الدرداء وما حيزوم النعامة والله ما تشبع هذه الفرزدق ولكنى اقول

وقدر كجوف الليل احمشت غليها   ترى الفيل فيها طافيا لم يفصل

وقال عبد الله بن الزبير يمدح اسماء بن خارجة

الم تر ان المجد ارسل يبتغى   حليف صفاء قابلا لا يزايله

تخير اسماء بن حصن فبطنت   بفعل العلى ايمانه وشمائله

ومما يجوز فى هذا الباب وان لم يكن فيه صفة قدر قول الفرزدق فى العذافر بن زيد احد بنى تيم اللات بن ثعلبة

لعمرك ما الأزراق يوم اكتيالها   باكثرها خيرا من خوان العذافر

ولو ضافه الدجال يلتمس القرى وحل على خبازه بالعساكر
بعدة ياجوج وماجوج جوعاً لاشبعهم شهراً غداء المذافر

وقال ابن عبدل في بشر بن مروان بن الحكم

لو شاء بشر كان من دون بابه طماطم سود أو صقالبة حمر
ولكن بشراً أسهل الباب للتي لبشر عندها الحمد والاجر
بعيد مراد العين ما رد طرفه حذار النواشي باب دار ولا ستر

وقالوا في مناقضات اشعارهم في القدور قال الرقاشي

لنا من عطاء الله دهماء جونة تناول بعد الاقربين الاقاصيا
جعلنا الآلاء والرجام وطخفة لها فاستقلت فوقهن اثافيا
مؤدية عنا حقوق محمد اذا ما اتانا بائس الحال طاويا
اتى ابن يسير كي ينفس كربها اذا لم يرح وافى مع الصبح غاديا

فاجابه ابن يسير فقال

وثرماء ثلماء النواحي ولا ترى ابحد عيبا سوى ذاك باديا
ينادي ببعض بعضهم عند طامتي الا ابشروا هذا اليسيري جائيا

وقال ابن يسير في ذاك

قدر الرقاشي لم تقر بمنقار مثل القدور ولم تقتض من غار
لكن قدر ابي حفص اذا نسبت يوماً ربيبة آجام وانهار

فاعترض بينهما ابو نواس الحسن بن هانئ الحكمي يذكر قدر الرقاشي بالهجاء ايضاً فقال

ودهماء تثفيها رقاش إذا شتت مركبة الآذار أم عيال

يغص بحيزوم البعوضة صدرها وتنزلها عفواً بغير جعال

ولو جئتها ملآى عبيطا مجزلا لاخرجت ماؤها بعود خلال

هي القدر قدر الشيخ بكر بن وائل ربيع اليتامى عام كل هزال

وقال فيها ايضاً

رأيت قدور الناس سوداً على الصلى وقدر الرقاشيين زهراء كالبدر

ولو جئتها ملآى عبيطا مجزلا لاخرجت ما فيها على طرف الظفر

يثبتها للمعتفى بفنائهم ثلاث كحظ الثاء من نقط الحبر

تبين فى محرائها أن اعوده سليم صحيح لم يصبه أذى الجمر

تروح على حى الرباب ودارم وسعد وتعروها قراضبة الفرز

وللحى عمرو نفحة من جفالها وتغلب والبيض اللهاميم من بكر

إذا ما تنادوا بالرحيل سعى بها امامهم الحولى من ولد الذر

وقال بعض التميميين وهو يهجو ابن حيار

لو أن قدراً بكت من طول ما حبست من الجفوف بكت قدر ابن حيار

ما مسها دسم مذ فض معدنها ولا رأت بعد نار القين من نار

والشعوبية والآزادمردية المبغضون لآل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ممن فتح الفتوح وقتل المجوس وجاء بالاسلام تزيد خشونة عيشهم وخشونة ملبسهم وتنقص من نعيمهم ورفاغة عيشهم وهم أحسن الامم حالا مع الغيث واسوأهم حالا اذا خفت السحاب حتى ربما طبق الغيث الارض بالكلاء والماء فعند ذلك يقول المصرم والمقتر مرعى ولا اكولة وعشب ولا بعير وكلاء تيجع له كبد المصرم ولذلك قال شاعرهم

وجنبت الجيوش أبار بيت　　وجاد على مسارحك السحاب

واذا نظرت في اشعارهم علمت انهم قد اكلوا الطيب وعرفوه لان الناعم من الطعام لايكون الا عند اهل الثراء واصحاب العيش قال زياد بن فياض يذكر الدرمك وهو الحوارى

ولاقت فتى قيس بن عيلان ماجداً　　اذا الحرب هرتها الكماة الفوارس

فقام الى البرك الهجان بسيفه　　وطارت حذار السيف دهم قناعس

فصادف حد السيف قباء جلمداً　　فكاست وفيها ذو غرارين نائس

فاطعمها شحماً ولحما ودرمكا　　ولم يثننا عنه النسيم الحنادس

وقال

تظل فى درمك وفاكهة　　وفى شواء ما شئت أو مرقه

وقال جرير

تكلفنى معيشة آل زيد　　ومن لي بالمرقق والصناب

وقال النمر بن تولب

لها ماتشتهى عسل مصفى　　وان شاءت فحوارى بسمن

ومن اشرف ماعرفوه من الطعام ولم يطعم الناس احد منهم ذلك الطعام الا عبد الله بن جدعان وهو الفالوزق مدحه بذلك امية بن ابى الصلت فقال.

الى ردح من الشيزى عليها　　لباب البر يلبك بالشهاد

ولهم الثريد وهو فى اشرافهم عام وغلب عليه هاشم حين هشم الخبز لقومه وقد مدح به فى شعر مشهور وهو قوله

عمرو العلا هشم الثريد لقومه　　ورجال مكة مسنتون عجاف

ومن الطعام الممدوح الحيس وتزعم مخزوم ان اول من حاس الحيس سويد بن هرمى وقال الشاعر

واذا تكون شديدة ادعى لها　　　واذا يحاس الحيس يدعي جندب

والخبز عندهم ممدوح وكان عبدالله بن حبيب العنبرى احد بنى سمرة يقال له آكل الخبز لانه كان لا يا كل التمر ولا يرغب في اللبن وكان سيد بنى العنبر فى زمانه وهم اذافخروا قالوا منا آكل الخبز ومنا مجير الطير يعنى ثوب ابن شحمة العنبرى وهم يقدمون اللحم على التمر الا تراه يقول

* فرتنى عبيد تمرها وفريتها　　　سنام مصراة قليل ركوبها

فهل يستوى الشحم السنام اذاشتا　　　وتمر جوااثا حين يلقى عسيبها

وليس يكون فوق عقر الابل واطعام السنام شيء والعقر هو النجدة واللبن هو الرسل قال الهذلي

لو ان عندى من قويم رجلا　　　لمنعوني نجدة ورسلا

وقال الهذلى

الا إن خير الناس رسلا ونجدة

وقال المرار بن سعد الفقعسى

لهم ابل لا من ديات ولم تكن　　　مهوراً ولا من مكسب غير طائل

ولكن حماها من شماطيط غارة　　　حلال العوالي فارس غير مائل

مخيسة فى كل رسل ونجدة　　　ومعروفة ألوانها فى المعاقل

وقد وصفوا الثريد فقال الراعى

فباتت تعد النجم من مستحيرة　　　سريع على ايدى الرجال جمودها

وقال آخر

تريد كأن السمن فى حجراته ... نجوم الثريا أو عيون الضياون

وقال ابن هرمة

إلى ان أتاهم بشيزية ... تمدكوا كبها الشبك

وقال كامل بن عكرمة

فقرب بينهم خبزاً ركوداً ... كساها الشحم ينهصر انهصارا

يدف بها غلاماه جميعاً ... تردهما الى الارض انهصارا

فاصبح سورهم فيها وعلى ... لو أن العلم صنفها أشارا

فهذا فى صفة الثريد وقال بشر بن ابى خازم

ترى ودك السديف على لحاهم ... كلون الراد لبده الصقيع

وقال الآخر

جلا الاذفر الاحوى من المسك فرقه ... وطيب الدهان رأسه فهو أنزع

اذا النفر السود اليمانون حاولوا ... له حوك برديه أرقوا وأوسعوا

وقال الزبير بن عبد المطاب

فأنا قد خلقنا اذ خلقنا ... لنا الحبرات والمسك الفتيت

ولو لا الحمس لم يلبس رجال ... ثيابا غرة حتى يموتوا

ثيابهم شمال أو عباء ... بها دنس كما دنس الحميت

فميز كما ترى بين الناس الاشراف واهل الثروة وغيرهم وقال الاعشى

للشرف العود فأكنافه ... ما بين جمران فينصوب

خير لها إن خشيت جحرة ... من ربها زيد بن أيوب

متكئاً تقرع ابوابه   يسعى عليه العبد بالكوب

وقال ابو الصلت بن ربيعة

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعا   في رأس غمدان دارمنك امحلالا

وليس هذا من باب الافراط وباب الافراط كقول جران العود حين وصف قسه وعشيقته فقال

فاصبح في حيث التقينا غنيمة   سوار وخلخال ومرط ومطرف

ومنقطعات من عقود تركنها   كجمر الغضا في بعض ماتتخطارف

ومن ذلك قول عدى بن زيد

يا لبيني اوقدى النارا   إن من تهوين قد حارا

رب نار بت ارقبها   تقضم الهندى والغارا

وقال الآخر

ارى فى الهوى نارا لظبية أوقدت   تشب وتذكى بعدهن وقودها

تشب بعيدان اليلنجوج موهنا   وبالرند احيانا فذاك وقودها

قد ذكرنا الطعام الممدوح ما هو وذكرنا احد صنفى الطعام المذموم والصنف الآخر الخزيرة التي تعاب بها مجاشع بن درام وكنحو السخينة التي تعاب بها قريش قال خداش بن زهير

ياشدة ما شددنا غير كاذبة   على سخينة لو لا الليل والحرم

وقال عبد الله بن همام

إذاً لضربتهم حتي يعودوا   بمكة يلعقون بها السخينا

وقال جرير

وضع الخزير فقيل اين مجاشع　　فحشا جحافله هجف هبلع

والخزير لم يكن من طعامهم وله حديث والسخينة كانت من طعام قريش وهجى الانصار وعبد القيس وعذرة وكل من كان يقرب النخل باكل التمر فقال الفرزدق :

لست بسعدى على فيه حبرة　　ولست بعبدى حقيبته والتمر

وتهجى اسد باكل الكلاب وباكل لحوم الناس والعرب اذا وجدت رجلا من القبيلة قد اتى قبيحاً ألزمت ذلك القبيلة كلها كما تمدح القبيلة بفعل جميل وان لم يكن ذلك الا بواحد منها فتهجو قريشاً بالسخينة وعبد القيس بالتمر وذلك عامّ في الحيين جميعاً وهما من صالح الاغذية والاقوات كما تهجو باكل الكلاب والناس وان كان ذلك انما كان رجلا واحدا فلملك اذا اردت التحصيل تجده معذوراً قال الشاعر

يا فقعسى لم اكلته لمه　　لو خافك الله عليه حرمه

فما اكلت لحمه ولا دمه

وقال في ذلك مساور بن هند

اذا أسدية ولدت غلاماً　　فبشرها بلؤم في الغلام

تخرسها نساء بني دبير　　بأخبث مايجدن من الطعام

ترى اظفار أعقد ملقيات　　براثنها على وضم الثمام

وقال

بني اسد ان يمحل العام فقعس　　فهذا إذاً دهر الكلاب وعامها

وقال الفرزدق

اذا اسدى جاع يوماً ببلدة　　وكان سميناً كلبه فهو آكله

وقال شريح بن اوس وهو يهجو أبا المهوش الاسدى

غيرتنا تمر العـــراق وبره　　وزادك أير الكلب حشحشه الجمر

وتهجى اسد وهذيل والعنبر وباهلة باكل لحوم الناس قال الشاعر في هذيل

وانتم اكلتم سحفة ابن محدم　　زباب فلا يأمنكم احد بعد

تداعوا له من بين خمس واربع　　وقد نصل الاظفار وانسبأ الجلد

ورفعتم جردانه لرئيسكم　　معاوية الفلحاء يا لك ما شكد

وقال حسان فيهم

إن سرك الغدر صرفاً لا مزاج له　　فائت الرجيع وسل عن دار لحيان

قوم تواصوا بأكل الجار بينهم　　فالشاة والكلب والانسان سيان

وهجا شاعر بلعنبر وهو يريد ثوب بن شحمة وفيه حديث

عجلتم ماصادكم علاجى　　من العنوق ومن النعاج

حتى اكلتم طفلة كالعاج

ولما عير ثوب بن شحمة باكل الفتى لحم المرأة الى ان نزل هو من الجبل فقال

يا بنت عمى ما ادراك ما حسبي　　اذ لا تجن خبيث الزاد اضلاعى

انى لذو مــرة تخشى بوادره　　عند الصباح بنصل السيف قراع

فهجا ثوب بن شحمة باكل لحوم امرأة وكان ثوب هذا اكرم نفساً عندهم من ان يطعم طعاما خبيثا ولو مات عندهم جوعاً وله قصص ولقد اسر حاتم الطائى وظل عنده زمانا وقال الشاعر يهجو باهلة بمثل ذلك

إن غناقا اكلته باهله غشوا عظامه وكاهله

واصبحت ام غناق ثاكله

وهجيت بذلك اسد جميعاً بسبب رملة بنت فائد بن حبيب بن خالد بن نضلة حين اكلها زوجها واخوها ابو ارب وقد زعموا ان ذلك انما كان منهما من طريق الغيظ والغيرة فقال ابن دارة ينعى ذلك عليهم

أفى أن رويتم واحتلبتم شكيكم فخرتم وفيم الفقعسى من الفخر

ورملة كانت زوجة لفريقكم وأخت فريق وهى مخزية الذكر

أبا أرب كيف القرابة بينكم واخوانكم من لحم أكفالها عجر

وقال

عدمت نساء بعد رملة فائد بنى فقعس تأتيكم بأمان

وباتت عروساً ثم اصبح لحمها جلا فى قدور بينكم وجفان

وقال البراء بن ربعى اخو مضرس بن ربعى يعير كلباً وهو اخوه فقال

ياصلت ان محل بيتك منتن فارحل فان العود غير صليب

واذا دعاك الى المآقل فائد فاذكر مكان صدارها المسلوب

والآن فادع أبا رجال إنها شنعاء لاحقة بأم حبيب

وابو رجال هذا عمها وقال في ذلك معروف الدبيرى

اذا ماضفت ليلا فقعسيا فلا تطعم له ابداً طعاما

فان اللحم انسان فدعه وخير الزاد مامنع الحراما

وعيرت كلب والقين بن جسر باكل الخصى وذلك بسبب النساء وذلك ان احدا منهم لما اطعم خصيبه بسبب العبث بامرأة سار مع من ركبوا

ذلك منه فيهم مثل السيرة فقال بعض من ركب ذلك

ابلغ لديك بنى كاب واخوتهم كابا فلا تجبروا بعدي على احد
هذى الخصى فكاوها من تقوسكم كما كلتم خصاكم فى بنى اسد

وهذا الباب يكثر ويطول وفيما ذكرنا دليل على ماقصدنا اليه من تصنيف الحالات فان اردته مجموعا فاطلبه في كتاب الشعوبية فانه هناك مستقصى والاعرابى اذا اراد القرى ولم ير نارا نبح فيجاوبه الكاب فيتبع صوته ولذلك قال الشاعر

ومستنبح اهل الثرى يطلب القرى الينا وممساه من الارض نازح

وقال الآخر

غوى حدس والليل مستحلس الندى لمستنبح بين الرميثة والحصر

ويدلك على انه ينبح وهو على راحلته لينبحه الكلب قول حميد الارقط

وعاو عوى والليل مستحلس الندى وقد ضجعت للغور تالية النجم

فنهم من يبرز كلبه ليجيب ومنهم من عنعه ذلك قال زياد الاعجم وهو يهجو بنى عجل

وتكعم كلب الحى من خشية القرى وقدرك كالعذراء من دونها ستر

وقال آخر

نزلنا بعمار فاشلى كلابه علينا فكدنا بين بيتيه نوءكل
فقلت لاصحابى اسر اليهم أذا اليوم أم يوم القيامة اطول

وقال آخر

اعددت للضيفان كلبا ضاريا عندى وفضل هراوة من ارزن

وقال اعشى بنى تغلب

اذا حلت معاوية بن عمرو　　على الاطواء خنقت الـكلابا

وانشدنى ابن الاعرابى وزعم انه من قول المجنون

ونار قد رفعت لغير خير　　رجاه لمن تأوبنى الرعا

تأوبنى طويل الشخص منهم　　يجر ثماله يرجو العشا

فكان عشاءه عندى خزير　　بتمر متينه فيه النوا

وقال فى خلاف ذلك حسان بن ثابت

اولاد جفنة حول قبر ابيهم　　قبر ابن مارية الكريم المفضل

يغشون حتي ما تهر كلابهم　　لا يسألون عن السواد المقبل

وقال المرار الحمانى فى كلبه

الف الناس فما ينبحهم　　من أسيف يبتغى الخير وحر

وقال عمران بن عصام

لعبد العزيز على قومه　　وغيرهم منن غامره

فبابك الين ابوابهم　　ودارك ماهولة غامره

وكلبك آنس بالمعتفين　　من الأم بابنتها الزائره

وكفك حين ترى السائلين　　أندى من الليلة الماطره

فنك العطاء ومنا الثناء　　بكل محبرة سائره

وفى انس الكلاب بالناس لطول الرؤية لهم شعر كثير وقال الشاعر

يا أم عمرو أنجزى الموعودا　　وارعي بذاك أمانة وعهودا

ولقد طرقت كلاب اهلك بالضحى　　حتى تركت عقورهن رقودا

يضربن بالاذناب من فرح بنا   متوسدات أذرعا وخدودا

وقال ذو الرمة

وأتنى كلاب الحى حتى الفننى   ومدت نسوج العنكبوت على رجلى

وقال الآخر

بات الحويرث والكلاب تشمه   وسرت بابيض كالهلال على الطوى

هذا البيت يدخل فى هذا الباب وقال الآخر

لو كنت أحمل خمراً يوم زرتكم   لم ينكر الكلب انى صاحب الدار
لكن اتيت وريح المسك يفعمنى   والعنبر الورد اذ كيه على النار
فأنكر الكلب ريحى حين أبصرنى   وكان يعرف ريح الزق والقار

وقال هلال بن خثعم

انى لعف عن زيارة جارتى   وانى لمشنوء الىّ اغتيابها
إذا غاب عنها بعلها لم اكن لها   زووراً ولم تأنس الى كلابها
وما انا بالدارى احاديث بيتها   ولا عالم من اى حوك ثيابها

وقال ابن هرمة فى فرح الكلاب بالضيف لعادة النحر

وفرحة من كلاب الحى يتبعها   محض يزف به الراعى وترعيب

وقال ابن هرمة

ومستنبح نبهت كلبي لصوته   فقلت له قم باليفاع فجاوب
فجاء خفى الشخص قد رامه الطوى   بضربة منتوق الغرارين ذائب
فرحبت واستبشرت حين رأيته   وتلك التي الق بها كل ثائب

وفى معنى الكلب من النباح يقول ابن اعيا فى الحطيئة

ألا قبح الله الحطيئة انه　　على كل ضيف ضافه فهو سالح
دفعت اليه وهو يخنق كلبه　　ألا كل كلب لا ابا لك نابح
بكيت على مذق خبيث قريته　　ألا كل عبسيّ على الزاد نابح

وقد قالوا فى صفة ابواب اهل المقدرة والثروة اذا كانوا يقومون بحق النعمة قال الراجز

ان الندى حيث ترى الضغاطا

وقال الآخر

يزدحم الناس على بابه　　والشرع السهل كثير الزحام

وقال الآخر

واذا افتقرت رأيت بابك خاليا　　وترى الغنى يهدى لك الزوارا

وليس هذا من الاول انما هذا مثل قوله

ألم تر بيت الفقر يهجر اهله　　وبيت الغنى يهدى له ويزار

وهذا مثل قوله

اذا ما قل مالك كنت فرداً　　وأى الناس زوار المقل

والعرب تفضل الرجل الكسوب والنز الطلوب ويذمون المقيم الفشل الدثر والكسلان ولذلك قال شاعرهم وهو يمدح رجلا

شتي مطالبه بعيد همه　　جواب أودية برود المضجع

ومدح آخر نفسه فقال

فان تأتيانى فى الشتاء وتلمسا　　مكان فراشى فهو بالليل بارد

وقال آخر

الى ملك لاينقص النأى عزمه خروج تروك للفراش الممهد
وقال الآخر
فذاك قصير الهم يملأ عزمه من النوم اذ ملتى فراشك بارد
وقال آخر
أبيض بسام برود مضجعه اللقمة الفرد مراراً يشبعه
وهم يمدحون اصحاب النيران ويذمون اصحاب الاخماد قال الشاعر
له نار تشب بكل ريح اذا الظلماء جللت القناعا
وماان كان أكثرهم سواما ولكن كان ارحبهم ذراعا
وقال مزرد بن ضرار
فابصر ناري وهي شقراء أوقدت بعلياء نشز للعيون النواظر
جعلها شقراء ليكون أضوء لها وكذلك النار اذا كان حطبها يابساً كان أشد لحمرة ناره واذا كثر دخانه قل ضوءه وقال الآخر
ونار كسجر العود يرفع ضوءها مع الليل هبات الرياح الصوارد
وكلما كان موضع النار اشد ارتفاعا كان صاحبها اجود وامجد لكثرة من يراها من البعد الا ترى النابغة الجعدى حين يقول
منع الغدر فلم اهمم به واخو الغدر اذا هم فعل
خشية الله وانى رجل انما ذكرى كنار بقبل
وقالت خنساء السلمية
وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
وليس يمنعني من تفسير كل ما يمر الا اتكالي على معرفتك وليس هذا

الكتاب نفعه الا لمن روى الشعر والكلام وذهب مذاهب القوم أو يكون قد شدا منه شدواً حسناً ومما يدل على كرم القوم أيمانهم الكريمة واقسامهم الشريفة قال معدان بن جواس الكندى

إن كان ما بلغت عنى فلامني ... صديقي وحزت من يدى الانامل
وكفنت وحدى منذراً فى ردائه ... وصادف حوطا من أعادى قاتل

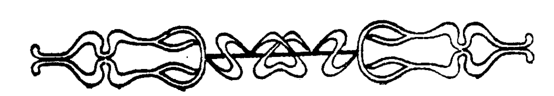
وقال الاشتر مالك بن الحارث في مثل ذلك أيضا

بقيت وحدي وانحرفت عن العلى ... ولقيت اضيافى بوجه عبوس
ان لم أشن على ابن حرب غارة ... لم تخل يوما من نهاب نفوس
خيلا كأمثال السعالى سربا ... تعدو ببيض في الكريهة شوس
حمى الحديد عليهم فكأنه ... لمعان برق أو شعاع شموس

وقال ابن سيحان

حرام كنتي منى بسوء ... واذكر صاحبي ابداً بذام
لقد احرمت ود بنى مطيع ... حرام الدهن للرجل الحرام
وحرهم الذى قد يستروه ... ومجلسهم بمتلج الظلام
وان جنف الزمان مددت حبلا ... متينا من حبال بنى هشام
وريق عودهم ابداً رطيف ... إذا ما اغبر عيدان اللئام

﴿ تم كتاب البخلاء ﴾





﴿ فهرست القوافي ﴾

(ى)

فهرست الاسماء

(ا)

(ق)

(ك)

(و)

(ى)

